جين دونيللي

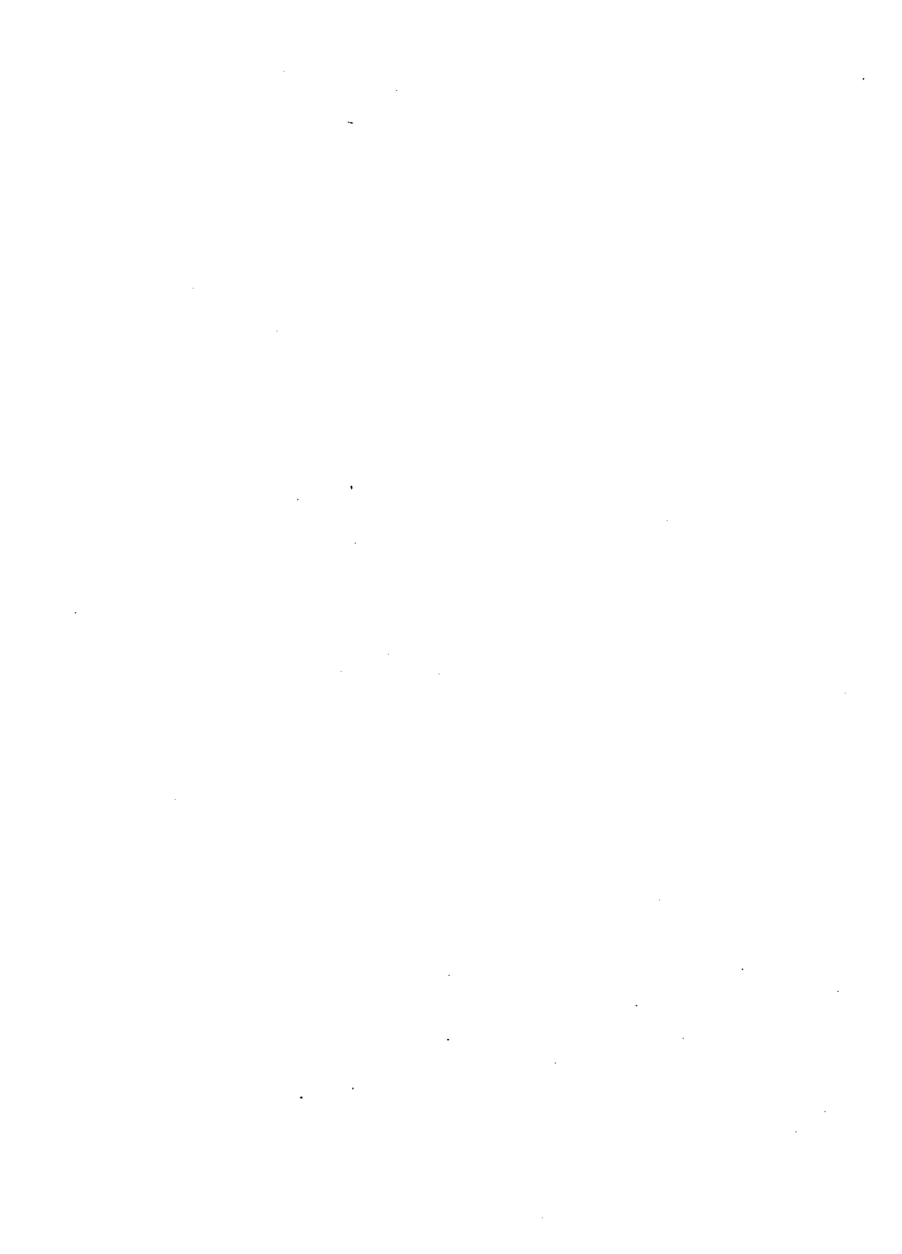
عِدْ فقيراً مثلي!

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

LOVE FOR A STRANGER

١ـ غريب في البيت

أوقفت ليز باثام سيارتها في الساحة الصغيرة خلف المبنى المخصص لسكن العازبات وتوجهت الى حيث تشغل بمفردها شقة متواضعة. راحت تسرع الخطى كي لا تلتقي أياً من جيرانها، فحالتها النفسية لا تسمح لها بسماع كلام أحد. في شقتها كل شيء يوحي بأن ساكنتها تستعدّ للقيام برحلة ما. الحقائب مفتوحة في غرفة النوم، والثياب الصيفية الموضبة فيها تدل على أن وجهة السفر مكان غني بأشعة الشمس. فثياب البحر المتنوعة الالوان مكدسة بترتيب على السرير، والاثواب القطنية والحريرية الجديدة تحتل القسم الأكبر من الحقائب. منذ لحظات كانت مقتنعة بَأن باري مايسون سيعرض عليها الزواج خلال عطلتهما في ربوع اسبانيا، لكنها الآن فقدت كل شيء وخيم جو مجروح من الفرح على الغرفة وعلى ثيابها التي طالما تخيلتها جهازاً لعرسها. لم تقو على المكوث طويلاً أمام سراب الهناء القابع أمامها، فخرجت وأحكمت اغلاق الباب بعصبية ظاهرة. أرادت ان تسجن ذكرى عابرة اختصرت فيها الدنيا، وأن تحبس شعوراً بالفرح لم يبصر النور. جلست في غرفة الاستقبال ذات الألوان الباهتة والمفروشة بطريقة توحي بالرصانة بالرغم من صغر حجمها. لم تلبث أن خانتها أعصابها، فاسندت رأسها الى حافة مقعدها البني مستسلمة الى دموع ساخنة بللت وجنتيها بسرعة.

تمنت لو باستطاعتها الصراخ، ولا شعورياً علا انينها فلم ترَ بدأً من البكاء ما دامت وحدها، لا تراها عين ولا تسمعها اذن. لم تبك منذ زمن طويل، وهي المعروفة بصلابتها، لكن الأمر مختلف كلياً الآن. ما حدث

منذ دقائق عشر عاد ينهش ذاكرتها محيياً فيها لحظات واجهت فيها اندثار أحلامها وانهيار عالمها الصغير الذي بنته في قلبها.

كان من المفترض ان تغادر الى اسبانيا غداً صباحاً، بعدما اتفقت مع باري على لقاء ثنائي صديق يملك قصراً صغيراً في بلدة دينيا. وعدت نفسها بأشياء كثيرة ستحققها هناك وأهمها عزم باري على طلب يدها في ذلك الجو الرومنطيقي. تخيلت الخاتم الذي سيشتريه لها، والحفل الذي وعدها صديقهما وزوجته باحيائه بعد مراسم الزفاف، فيسهرون حتى الفجر في صخبهم المعهود وفرحهم العامر. يجب أن تكون الآن مع باري، لكن ذهابها الى مكتبه القريب من شقتها في مدينة نورسرن لاصطحابه الى الغداء وما حدث هناك، قلب مقاييس حياتها رأساً على عقب وزعزع أمنيات كثيرة دغدغت مخيلتها لفترة طويلة.

يعمل باري في حقل البناء ويعتبر من الناجحين في هذه المهنة. أعماله منتشرة في مختلف المناطق واسمه بدأ يشق طريقه في عالم الشهرة. لكنه وصولي الى حد الجشع ولا يتوانى عن فعل أي شيء لنيل مآربه. كان جالساً وراء مكتبه منهمكاً في قراءة الاوراق الكثيرة المنثورة أمامه، حين دخلت ليز مبتسمة تردد في قرارة نفسها كم هي محظوظة في وقوعها على رجل مثل باري، بوسامته الساحرة وشعره الاشقر وقامته الطويلة ومنكبيه العريضين. خاصة وأنها لا تعدّ جميلة ولا تتمتع حتى بقسط ضئيل من البهاء. فهي طويلة القامة نحيفة من غير رشاقة، عظمتا وجهها نافرتان مما أثر على وجنتيها فغارتا في وجهها المدبب. جلدها رقيق الى حد برزت معه عظام المعصمين والترقوتين بشكل ظاهر.

كانت قليلة الخبرة ومنكمشة على نفسها. الى أن بدأت مؤخراً تختبر الحياة خارج نطاق عملها وأبعد من باب شقتها، فاكتسبت مشيتها قليلاً من الرشاقة واعتادت اضفاء بعض الدلال على كلامها. لكن هذا لم يضع حداً لتساؤلات ليز الكثيرة عن سبب تعلق شاب وسيم كباري بفتاة مثلها.

دعاها باري للجلوس متابعاً مراجعة أوراقه بوجه عابس:

- تفضلي بالجلوس يا عزيزتي.

- هل هناك مشاكل؟

نزع نظارتيه واضعاً الأوراق على الطاولة ثم نظر اليها شارحاً:

ـ حقل البناء مليء بالمشاكل، خاصة عندما تواجهنا اجراءات شكلية عقيمة. حان موعد مهمتك الثانية. هل بامكانك تدبير قرض آخر منهم؟
ـ أتعني تدبير المال لشراء المعداتَ؟
أجاب موضحاً:
ـ أعني هل سيدفعون لك الآن؟ ستبدأين مهمتك فور عودتنا فهل سيدفعون سلفاً؟
ـ كلا.
لم يكن جوابها مجرد ردّ متسرّع أو تمنّع بسيط، فقد بدأت لتوّها تشق طريقها الى عالم الشهرة ولو بتواضع. لن تغامر بكل شيء وتجثو أمام رئيستها طالبة الاحسان. هذا من شأنه ان يسيء الى سمعتها، خاصة وان الفنانة الشقراء التي تعمل في خدمتها الآن، منهمكة بمشاريع مهمة ولن تدفع أي مبلغ سلفاً. تمتمت قائلة:
ـ لا أمل في ذلك يا باري.
ـ بامكانك المحاولة أليس كذلك؟
حاولت ليز صرفه عن عزمه:
ـ لا وقت لدينا للمحاولة، فنحن مسافران غداً لتمضية العطلة.
اجاب باري ببرودة يشوبها اللؤم:
ـ بوسعنا تأجيل موعد السفر.
ـ لا. على كل حال عدة شهور لن تغيّر من الأمر شيئاً.
لم يرق الامر لباري وهو الذي اعتاد رؤ يتها تبذل ما بوسعها لما فيه خير مؤ سسته، فاستثمرت فيها كل ما ادخرته طوال سنة كاملة، واتفقا على ان تترك له مهمة ادارة اعمال المؤ سسة واضعة كل ثقتها به. كانت شريكته في ما يتعلق بالدفع والمصاريف ولا علاقة لها بالارباح.
حاول اقناعها مجدداً:
ـ ليز حبيبتي. اننا بأمس الحاجة الى المال في الوقت الحاضر فنحن على شفير الافلاس.
سمعت ليز هذا الكلام قبلاً. فجميع رجال الأعمال يعانون المشكلة نفسها. تمنت لو يصدق انها غير قادرة على القيام بالمهمة الجديدة وقالت تبرر موقفها:

ـ لن تقدم بولا كافيل على دفع المزيد وأنا متأكدة من ذلك. سبق وأخبرتك عنها، ولن يكون تصرفاً صائباً ان نحن طلبنا منها أكثر من ذلك. انها من أشهر الممثلات على الاطلاق. وتحصل على دعم أحد أكبر أثرياء المنطقة وبالرغم من هذا فهي تحافظ على أموالها بعناية كبيرة.

حدجها باري بنظرات باردة، لا حياة فيها وكأنه يمنعها من معرفة ما يخالجه. لكن الأمر لم يخف عليها، كانت تعي معنى نظراته هذه وتعرف ما تختزنه من شعور بالخيبة والغضب. حاولت ان تقول له انها بالرغم من كل المخاطر ستحاول الحصول على ما يريد، علّه يغير هذه النظرات ويبتسم كما اعتاد ان يفعل في الماضي القريب. تعرفت الى باري منذ ثمانية عشرة شهراً. سنة ونصف حاكت الايام خلالها قصة حب حميمة. نسجت خيوطها بين قلبيهما. عاشاها ساعة فساعة حباً وهناءاً ولم يعرفا فيها الخصام أبداً. كانت تتقبل كل شيء منه وتنفذ كل ما يطلبه. أما الآن، فعليها الآ تتراجع، يجب أن تكتشف حقيقة علاقتهما. تريد أن تعرف مكانتها في قلبه ودورها في حياته.

ـ يبدو أني لن أحصل على فائدة من أموالي الموظفة لديك. كل ما فعلته حتى الآن هو الدفع.

أجابها بعصبية ظاهرة:

ـ ستستعيدين كل ما دفعته. وأنت تعلمين.

ـ اذا لم يشهر افلاسك أولاً، أليس كذلك؟

لم يأبه للبرودة التي غشت كلماتها ورد باحتقار:

ـ أجل.

أدركت ليز ان المشاجرة باتت أمراً محتماً. كانت دائماً تتفادى الاسترسال في معارضته والتمادي في أمور لا مجال لاقناعه فيها، فترضخ صاغرة لارائه قبل تفاقم المناقشات فيهما لكن، لا مجال للانكفاء هذه المرة مهما كان الثمن. لم تعط ليز للمال أهمية فلذلك لم تمتلك ثروة بل ادخرت مبلغاً صغيراً كان حصيلة عملها في حقل هندسة ديكور المنازل وزخرفتها لمدة سنتين. كانت تفكر في بلوغها الثانية والعشرين من عمرها وبالسنين المقبلة. في العام الفائت احتفظت بما يساعدها على شراء ما يلزمها من طعام وشراب واستثمرت ما تبقى في مؤسسة باري. من جهة، عاملها باري منذ

البداية على أنها حبيبته الاولى والأخيرة. وازداد تعلقه بها وتودده اليها حين اكتشف انها سترث لاحقاً ثروة هائلة. لكنها لم ترث عن عمتها لويزا غير منزل قديم يحوي اثاثاً لم تجد من يبغي شراءه. فخاب أمل باري وتغيّرت معاملته لها في الآونة الأخيرة. واكتشفت ليز متأخرة السبب الحقيقي لتعلقه بها، انه المال عاملها كمصدر للمال لا أكثر.

خاطبته وعيناها مسمّرتان الى أسفل مكتبه:

ـ أنت لا تحبني، أليس كذلك؟ ما كنت لأعني لك شيئاً لولا انتفاعك مني.

نهض باري واقترب منها بتودد قائلا:

ـ وما الضرر في ان تكوني نافعة. اني أحبك حباً جماً. لكننا نمرّ الآن في أزمة ضيق هائلة، وبامكان ذلك المبلغ أن ينجدنا (وحملها بين ذراعيه يدللها وأكمل) ما بك يا حبيبتي؟ الا يمكنك تلفيق قصة ما لاقناعها بدفع المبلغ؟ قولي لها انك تحتاجين المال لاتمام ترتيب شقتك أو مكتبك.

ـ لا أقدر أن ألفّق هكذا كذبة.

لم يقو باري على الاحتمال أكثر ففقد هدوءه فجأة وراح يكيل لها الاهانات. اتهمها بالانانية وتفضيل مهنتها على أعماله، ونعتها بالحقيرة والجشعة، وتمادى في الخروج عن طوره واصفاً اياها بالعانس. ثم أخبرها انه سيسافر صباح غد الى اسبانيا بمفرده، وكأنه يعطيها فرصة للتفكير بالأمر بعد أن أفهمها أن علاقتهما باتت مهددة اذا لم توافق على تنفيذ ما يطلبه منها. كيف يعقل أن يتهمها بالجشع وهي التي لم تأل جهداً في تدبير المال له طوال السنة المنصرمة؟ وزفرت زفرة طويلة مستعيدة وصفه اياها بالعانس بالرغم من عدم تجاوزها الثانية والعشرين من عمرها. كل ما تفوهت به في تلك الجلسة المشؤومة كان كلمة الوداع. تمتمت بها شفتاها بانكسار وخيبة وخرجت من مكتبه لتستقل سيارتها عائدة الى شقتها.

لم تتحرك من مكانها في غرفة الاستقبال لبعض الوقت، تحاول جاهدة طرد تلك الصور القاتلة من مخيلتها. يخطىء باري ان ظنها قد انصاعت لمشيئته وبدأت مفاوضاتها مع بولا للحصول على المبلغ. انه يعلم كم تمقت الخصام والمشاجرة بقدر ما تكره العواصف الرعدية. ويعرف كم تتوق للهدوء. لن تكون هذه المرة ليز التي يعهد، ولن تدعه يمعن في استغلالها

بعد الآن. لقد انتهى زمن الانصياع لاوامره وتنفيذ مشيئته.
ستفكر بنفسها وبمستقبلها بعد ان فقدت نهائياً الشعور بالأمان قربه. مسحت دموعاً غزيرة ترقرقت على خديها وقامت الى غرفتها تعيد توضيب أمتعتها في الخزانة. أحست بالارتياح عندما أقفلت آخر جرار وألقت نظرة عابرة على الحقائب الفارغة. زالت الفوضى من الغرفة وستزيلها من حياتها بعدما باتت قادرة على السيطرة على نفسها.

تناولت سماعة الهاتف وأدارت القرص وطلبت التكلم مع السيدة كافيل فأجابتها السكرتيرة:

- اهلا يا ليز. أنا ماري ادموندز، سافرت بولا الى أميركا. هل هناك مشكلة ما؟

- لا انما... هل بامكاني البدء بالعمل منذ الآن؟ كنت أعتزم الافادة من عطلتي كما تعلمين، لكني عدلت عن ذلك مفضلة مباشرة العمل فوراً.

- سألحق ببولا غداً بعد أن أخبر المسؤول عن المنزل بقدومك. أنا متأكدة من أن مباشرتك العمل قبل الموعد المقرر سيسعدها كثيراً.

عرف عن ماري طيبة قلبها وسنحت لليز فرصة التعرف اليها عندما قامت للمرة الأولى بزيارة منزل بولا الجديد، للحصول على بعض القياسات والمعلومات. عادت والتقتها حين سافرت ليز الى لندن لمناقشة بعض التفاصيل مع السيدة كافيل.

أحبت ليز عملها اكثر من أي شيء آخر، فهو بالنسبة اليها فرصة لاثبات جدارتها واظهار موهبتها. لم يسبق للعمل ان خذلها أو اضرّ بها كما فعل الأخرون، والآن بعدما بدأت تفكر بنفسها فستولي عملها ما يستحقه من اهتمام وتقدير. انهت شراكتها مع باري ولكن متأخرة، فقد لقنتها درساً قاسياً لن تنساه بسهولة، لم يبتسم لها الحظ في الحب وما جنت منه سوى العذاب والقهر ولم يبق لديها سوى الاهتمام بمهنتها بالرغم من ضآلة المردود. تناولت حقيبة صغيرة وضعت فيها ثياب العمل وبعض أدوات التجميل والمساحيق المختلفة التي قد تحتاجها خلال اقامتها المؤقتة في محيط بلدة ويلش حيث يقع منزل بولا. كانت قد خططت للعودة الى شقتها في نهاية كل أسبوع لملاقاة باري لكن مشاريعها تغيّرت بأكملها الآن وسيمضي وقت طويل قبل ان تفكر بالعودة الى هذا المكان. أقفلت باب شقتها

باحكام وخرجت الى حيث أوقفت سيارتها، فوضعت أمتعتها في الصندوق الخلفي وأدارت المحرك بعجلة ومضت في طريقها لا تلوي على شيء. لمعت ليز في القيادة كما لمعت في عملها. لكن بالرغم من شغفها بالسيارات لم تحاول أبداً السير بسرعة. فموت والديها بحادث سيارة ترك أثراً بليغاً في نفسها، لم تقو السنوات على محوه. قطعت مسافة طويلة على الطريق الساحلي من غير ان تشعر بتعب أو ملل وبدأت تتخلّص تدريجاً من شحنات الحزن التي سيطرت عليها. كانت تستمع الى المذياع ينقل أغنيات محببة الى قلبها، وتمتع الطرف بمناظر خلابة توزعت الى جانبي الطريق. تتشوق للوصول الى منزل بولا، فعملها هو الأهم منذ ان بدأت مهنتها.

بعد ساعات من القيادة وصلت الى بلدة ويلش وشعور من الغبطة قد حل مكان العصبية التي رافقت بداية نهارها. انها تحب العيش في الريف والارتماء في أحضان الطبيعة. منذ صغرها وهي تحلم بامتلاك كوخ صغير ضائع في غابة خضراء تزينها الورود وتسرح فيها مختلف أنواع الماشية. سلكت طريقاً جبلياً تظلل جانبيه أشجار وارفة مرّت عليها ريشة الربيع فبدت براقة زاهية، تنتصب بشموخ على بساط وزدي شاسع وحافل بكل أنواع الزهور والرياحين. في نهاية الطريق بدا تيرجلين، المنزل الذي قطعت ليز لأجله كل هذه المسافة. اقتربت منه غير مصدقة انها على وشك دخول أجمل بيوت بلدة ويلش نظراً لموقعه الرائع في وسط رابية خضراء، يحيط به سور من الخشب الأبيض القديم، تقطع امتداده بوابات حديدية زرعت على جوانبها أشجار السرو الضخمة. تخطت ليز المدخل الرئيسي لتجد نفسها في ساحة عريضة بدت حزينة لما اصابها اليباس وأذبلها العطش. أمام باب المنزل ترقد عدة درجات، غشي الغبار السميك رخامها، تؤدي الى شرفة تزنر المنزل، صارت مرتعاً خصباً للطحالب ومختلف الاعشاب البرية الأخرى.

تذكرت ليز اليوم الذي رافقت فيه ماري الى هذا المكان بعد أن أعجبت بولا بطريقتها في هندسة ديكور الفندق الصغير قرب بحيرة بانيها، وتحويلها أياه من منزل قديم متواضع الى نزل رائع حديث. سألتها بولا الاهتمام بهندسة هذا المنزل المهجور الذي اقتنته مؤخراً. وعادت بها الذاكرة الى تجولها وماري في الغرف الفارغة الآ من بعض قطع الاثاث المنثورة هنا

وهناك ومغطاة بملاءة نهشها الغبار على مرّ الأيام. أمضتا ساعات فيها تخططان وتدرسان طريقة ملئها بالمفروشات الفاخرة. فالمال لم يشكل يوماً عائقاً في وجه بولا كافيل. كل ما يهمها هو حصولها على أفضل الاشياء، فلذلك استلمت ليز في اليوم التالي شيكاً موقعاً باسم السيد جايمس فنتون لشراء ما يلزمها لبعث الحياة في هذا المنزل. سمعت ليز بهذا الاسم من قبل، فهو من أقطاب الصناعة في المنطقة ويملك أكبر مجموعة من المصانع فيها، عدا كونه صديقاً حميماً للسيدة كافيل، مما يفسر مشاركته لها في سكن المنزل. فطلب يومها من ليز تخصيص غرفة لتكون مكتباً له، واضافة خزانة كبيرة أخرى في غرفة النوم لتستوعب ثيابه وحقائبه.

لم يتوقف فضول ليز عند هذا الحد فاستدرجت ماري الى اخبارها حقيقة ما يجري. كونها سكرتيرة بولا، تمكنت ماري من الاطلاع على دقائق الأمور والاسرار فأخبرت ليز بسر ما زال خافياً عن الجميع. بولا ومليونيرها الجذاب سيتزوجان قريباً وسيسكنان هنا.

أحبت ليز المنزل منذ زارته للمرة الأولى، فلم تدخر جهداً الآ وبذلته في وضع تصاميم تنال اعجاب بولا. أحبت العيش فيه لفترة والانزواء بين جدرانه في احضان الهدوء والعمل. ستقدم لبولا ولمليونيرها العتيد منزلاً يليق بالمناسبة السعيدة.

أحست ليز بأنها قطعت شوطاً طويلاً في الشرود وراء ذكرياتها، فنفضت ما علق من غبار عن ثوبها، ومررت يدها على شعرها تصففه بسرعة ثم طرقت الباب. انتظرت لحظات من غير أن تسمع جواباً. كل شيء يغرق في هدوء ثقيل، وكل ما حولها ينبىء بأن الحياة هجرت هذا المكان منذ وقت غير قصير. عادت الى سيارتها لتلقي نظرة على الجهة الخلفية للمنزل حيث الاسطبل والموقف المخصص للسيارات. فجأة، تذكرت باري والرحلة الى اسبانيا. لم تشعر بالندم على مجيئها الى هنا بدلاً من السفر معه، فهو لم يكن يحبها بل أحب مالها واستغلها، فهنأت نفسها على اكتشاف ذلك وابتعادها عنه قبل فوات الأوان.

قامت بدورة حول الأسطبل في الساحة الخلفية. فوجدتها خالية من السيارات وكل الأبوابَ موصدة. استنتجت أن المسؤول عن المنزل قد أوقف سيارته في الداخل وأقفل عليها، فقرعت الباب الخلفي لكنها لم

تسمع ادنى حركة في الداخل. فأعادت الكرة ثانية وثالثة من غير جدوى. حركت المزلاج بيدها فوجدت الباب غير موصد. أيقنت ليز عندها أن ماري اتصلت بالمسؤول تعلمه بقدومها فترك لها الباب ونادت بأعلى صوتها:

- مرحباً. هل يوجد أحد هنا؟

اقتصر الجواب على صدى صوتها. لم تشأ البقاء خارجاً، ففتحت الباب على مصراعيه ودخلت لتجد نفسها في الممر المؤدي الى المطبخ، حيث وقفت مشدوهة أمام حالته المزرية. كانت بولا على حق حيث طلبت تغيير جميع محتوياته وابدالها بأخرى جديدة تتناسب مع حسن تصميمه بالرغم من قدمه.

استرعى انتباه ليز وجود غلاية على فرن الطهي وآنية فخارية على حافة حوض الغسيل الرخامي. أحست برغبة مفاجئة لاحتساء فنجان شاي، فصاحت مرة أخرى:

- هل يشاركني أحد شرب الشاي؟

وعندما لم تسمع جواباً، ملأت الغلاية ماء ووضعتها على النار.

جلست ترشف الشاي على مهل متمنية لو تبقى وحيدة في هذا المنزل الهادىء. كانت تتوق دائماً الى هذا النوع من المنازل، حيث تجد نفسها وجهاً لوجه مع الحقيقة والصدق. فالجدران أفضل من البشر، لا ترى في وجوهها رياء أو كذباً بل صمتاً وخضوعاً بعيدين عن الاستغلال والمهاترة. ليت بمقدورها العيش هنا، تطلب حاجاتها على الهاتف وتطبخ وتغسل بنفسها كما فعلت في السابق عندما زارت المكان برفقة ماري. كل صباح كانت تمر سيارة شحن صغيرة محملة بكل أصناف البقالة والمأكولات تبيعها لساكني هذه البقعة، فتوفر عليهم مشقة الذهاب الى ويلش. لم تلتق يومها بالمسؤول عن البيت، ولا تريد ان تلقاه الآن كي تستمتع بهذا السكون أطول وقت ممكن.

أحست بانتعاش عند انتهائها من شرب الشاي، وتناولت تفاحة من كيس موضوع على خزانة صغيرة قرب الباب. خرجت بعدها لتأتي بحقيبتها من السيارة واتجهت مباشرة الى الغرفة التي شغلتها في المرة السابقة. غرفة صغيرة في الجهة الخلفية من المنزل، يصعد اليها بسلم

خشبي صغير. أثاثها كناية عن سرير واحد وخزانة خشبية قديمة نقشت عليها رسوم نافرة. بهت لون جدرانها الاخضر الى حد الاصفرار مما أضفى عليها جواً من الوحدة والكآبة. قبل مجيئها الى هنا، وضعت ليز تصميماً جديداً لهذه الغرفة. ستطلي ثلاثة جدران باللون الابيض وتغطي الرابع بورقة بيضاء كبيرة، طبعت عليها قلوب صغيرة زهرية اللون ستغير لون الباب الى أزرق يتناسب ولون الستائر التي ستعلقها على النوافذ. ستكون غرفة رائعة، لكنها لن تبدأ العمل فيها الآ بعد انتهائها من الغرف الاخرى. أي انها لن تتمكن من التمتع بهندستها الجديدة أكثر من عدة أيام. لم يكن السرير مرتباً هذه المرة، وقد نزع الغطاء عنه فلم يبق سوى فرشة يعلوها الغبار. يجب ان تجد المسؤول ليرتب لها السرير قبل توضيب أمتعتها فالشمس توشك على المغيب وهي بحاجة للنوم باكراً بعد نهارها المتعب. خرجت تتمشى في أرجاء المنزل تتفحص الغرف. شعرت بالارتياح بالرغم من حالة الاثاث الرديئة. فهذا أهم تحد واجهته حتى الآن. انها معركتها الاولى وستخوض غمارها بتصميم وحماس. ستقلب الفراغ والوحشة حياة وديناميكية، وستتحول هذه الغرف الصماء الى غرف تضج بالحياة والالوان. دخلت غرفة بولا ففاحت رائحة العفن منها، انها بحاجة الى هواء نقي شأن كل غرف البيت الاخرى. أضاءت المصباح وحاولت فتح احدى النوافذ، لكنها لم تتمكن من تحريك المزلاج. فهمت بمغادرة الغرفة حين وقع بصرها على رجل يقترب من باب المنزل. تناولت قطعة خشبية وجدتها على الارض ومررتها تحت المزلاج وراحت تجذبها بكل قواها الى أعلى حتى تمكنت من فتح النافذة واطلت منها منادية:

- مساء الخير. أنت المسؤول هنا، أليس كذلك؟

اذهلته المفاجأة، فوقف في مكانه من غير حراك. بدا بثيابه الداكنة وقبعته الكبيرة اشبه بصخرة صماء، ومضت لحظات طويلة أجاب بعدها بصوت اجش:

- أجل أنا المسؤول، لكن من انت؟

أدركت ليز من كلامه أن ماري لم تعلمه بقدومها فقالت مفسرة:

- جئت لأباشر. . .

لم يدعها تكمل كلامها بل قاطعها صائحاً:

ـ ابعدي عنقك عن تلك النافذة، فألواح الزجاج بحاجة الى اصلاح.
تراجعت ليز بسرعة وأقفلت النافذة، ونزلت السلالم متجهة الى المدخل وجدته بانتظارها في قاعة الاستقبال وقد أنار الطابق السفلي بأكمله. توقفت دقيقة مبهورة بالاضواء ثم سألت:
ـ ما هذا، أنوار كاشفة؟
حدق الرجل فيها لفترة متأملاً قميصها الفضفاض وسروالها الأزرق الواسع ثم قال بتهكم:
ـ يبدو أنك ألفت المنزل بسرعة.
أرادت أن تعلل ظهورها بهذه الطريقة وتخبره بأنها ستشغل المنزل معه لعدة أشهر. لكنها عدلت عن ذلك مفضلة الاستفهام قبلا:
ـ ألم تنبئك الآنسة ادموندز بقدومي؟
ـ كلا.
كان متوسط القامة، داكن الشعر والعينين، يشبه الغجريين بلون بشرته يستمع اليها بغير اهتمام ممرراً يده على لحيته المهملة. أكملت ليز نزولها ثم توقفت في نهاية السلالم مبقية على مسافة غير قصيرة بينهما، فوجودها بمفردها معه أثار خشيتها:
ـ جئت الى هنا لأتمم هندسة ديكور المنزل وسأبدأ العمل قبل الموعد المقرر.
ـ لماذا؟
لم تعجبها حشريته ومع ذلك قررت اطلاعه على السبب، لعل المحادثة تغير قليلاً من سحنته المتجهمة وتبدل نبرات صوته.
ـ كنت سامضي عطلتي خارج البلاد لكني عدلت عن ذلك، فاتصلت بالآنسة ادموندز التي وافقت على بدء العمل ما دمت هنا.
لم ينفك ينظر اليها بعينين تنبىء بالشك والريبة، فاكملت بصوت خافت:
ـ أنا آسفة لعدم اعلامك بالأمر.
ـ ربما اتصلوا وأنا خارج المنزل.
أيدت ليز استنتاجه بحماس:
ـ هذا ما حصل بالتأكيد. أنا ليز باثام، وسكتت برهة، ما اسمك؟

- طوم ريدينغ.
- انت المسؤول هنا، أليس كذلك؟
- أجل.
تساءلت ليز عن كيفية عيشه هنا بمفرده، وماذا سيحل به بعد أن تنتقل بولا الى هنا. الى أين سيذهب؟ كيف يمضي أوقاته. انه أكبر من أن يكون طالباً يستغل هذا الهدوء للتحضير لامتحان، ولا يبدو عليه كاتب أو شاعر. لا بد وأنه يقوم بهذا العمل بصورة مؤقتة.
خاطبها طوم وكأنه يقرأ ما يجول في خاطرها:
- أعمل هنا في تشذيب الازهار ورعايتها حتى تستعيد الحدائق عافيتها السابقة. اني أحميها من اليباس وأوفر لها الريّ.
أسعدها كلامه عن الاهتمام بالحدائق، فهي تضفي على المكان سحراً خارقاً. وهي بشوق كبير لتراها مزهرة وغناءة اثناء عملها في المنزل. فقالت مبتسمة:
- وأنا سأعمل هنا على تحسين المنزل وجعله يبدو جديداً وجميلاً. سيكون عملي في الداخل طوال الوقت، فلن أزعجك.
رمقها بنظرة تشع فطنة ودهاءاً وعلق مبتسماً بفتور:
- بما أني أعمل كل النهار خارجاً وأنت في الداخل، فهذا يعني ان هناك مكاناً لنا في هذا المنزل. أية غرفة اخترت؟
- نقلت أغراضي الى الغرفة التي شغلتها أثناء زيارتي الاولى لهذا المكان. آه، تذكرت السرير غير جاهز فيها.
- كل ما تحتاجينه موجود في الخزانة.
- شكراً.
- ستحتاجين مكتباً وغرفة لمعداتك على ما أظن. فاختاري الغرفة التي تناسبك.

لم تتغيّر نبرته، فما زالت خالية من الترحيب والمجاملة. لم تلمه، فهو موظف ويعمل مثلها في خدمة بولا. تقدم الى أسفل السلالم حيث تقف وتوقف أمامها بقامة تفوق قامتها طولاً بعدة سنتيمترات. بدا قاسي الملامح بمنكبيه العريضين وعضلاته المفتولة وعبوس وجهه، فعمله المضني في الحديقة يتطلب جهداً لا يتوافر الاّ عند الذين بمثل قوته. أحست ليز

بنظراته تلتهمها، فجاهدت كي تتخلص من بريقهما الخاطف. لم ينجدها سوى معاودته الكلام:
ـ اني استعمل المطبخ كغرفة للجلوس، وأشار بيده الى باب صغير، وغرفة المؤونة هذه استعملها للنوم في الوقت الحاضر. لا أدري أين سينتهي بي الأمر عندما تنجزين مهمتك، وأردف، لا تبدأي العمل في هذه الغرفة قبل أن تحيطيني علماً.
التقطت ليز أنفاسها وهي تراقبه يتجه الى المطبخ ثم قالت:
ـ سمحت لنفسي بتناول فنجان من الشاي وتفاحة. أرجو المعذرة على وقاحتي، فقد نسيت أن أجلب معي طعاماً.
ـ لا بأس، فيوجد ما يكفي من الطعام هنا.
فرحت ليز بوجود طوم معها، بالرغم من حاجتها الى الاختلاء بنفسها. خاصة وأنه خبير بالاهتمام بالحدائق ورعاية الازهار. قد تستعين برأيه في اتمامها عملها، فحاولت الاستفسار عن طبيعة مهمته:
ـ ماذا ستزرع في الحديقة؟
ـ من الأفضل ان تهتمي بترتيب غرفتك الآن. ستجدين في الخزانة كل ما يلزمك للسرير. في هذا الوقت سأستحم وبعدها يمكنك موافاتي الى هنا لتناول العشاء، اذا أردت. ستعرفين كل شيء عن الحدائق وتخبريني عن خططك لهندسة المنزل، أثناء العشاء.
ـ هل يهمك أمر المنزل؟
جلس القرفصاء على الأرض، ثم مد رجليه أمامها وأجاب:
ـ يحتمل أن أعيش فيه، طبعاً في الجناح المخصص للخدم. هل يدخل هذا الجناح ضمن نطاق عملك؟
ـ أجل.
ـ هذا خبر سار.
ابتسمت ليز بهدوء:
ـ قل لي أية غرفة ستشغل، فربما يمكنني...
قاطعها طوم موضحاً:
ـ مهلك يا آنسة، فأنا أنال ما أعطى فقط.
تحولت ابتسامتها هذه المرة الى ضحكة أثارت دهشتها، فعليها أن تكون

أكثر احتراساً. انه انسان غريب فيفترض بها ان تختار كلماتها بتروٍ وان تتجنب رفع الكلفة بهذه السرعة.

نزع طوم سترته البنية وعلقها وراء الباب ولاحظت ليز ثقباً كبيراً فيها فتساءلت لماذا لم تخيطه زوجته أم انه غير متزوج؟ لكنها لم ترد الخوض في مسائل شخصية فاكتفت باعلامه:

- سأستحم بدوري وأعود خلال خمسة عشرة دقيقة.

عمدت في غرفتها الى تجهيز سريرها، فستحتاجه للحصول على قدر كاف من الراحة هذه الليلة. أعجبها الهدوء المحيط بالمكان، فلا صوت جيران يزعجها، ولا زحمة سيارات تقلق راحتها كما كان يحدث بالقرب من شقتها. لا رسائل ولا مكالمات، فباري لن يحاول الاتصال بها الليلة فهي متأكدة من أنه يتوقع مكالمتها له غداً لتعتذر منه ولتطلب اعطاءها فرصة أخرى لتحاول الحصول على المبلغ الذي يطلبه.

دخلت تستحم وتنفض عنها تعب النهار وقذارته، ووقفت أمام المرآة تتحسس وجهها بأصابعها. أخرجت من حقيبة صغيرة بعض المساحيق مسحت بها وجنتيها وجفنيها، وخططت أهدابها باللون الازرق الناعم ليتناسب مع لون عينيها الداكن. سرحت شعرها الناعم بعناية وتركته يتهدل بحرية على كتفيها. تعلم ليز انها لولا هذه المساحيق لبدت في حالة يرثى لها، هذا لم يضايقها أبداً بل اعتبرته لمصلحتها يحميها من تحرش الشبان بها. لم تسمع مديحاً أو تغزلاً سوى بأعمالها وبطريقتها في التعاطي مع الآخرين فأعمالها الرائعة أثارت اعجاب الكثيرين، والغرف الجميلة الزاخرة بالرومانسية والاثارة، التي ابتكرتها لاقت استحسان متذوقي فن الديكور. شخصيتها الحالمة وتوقها الى الخلق والابتكار أثّرا بشدة على عملها. شعرت منذ صغرها بميل جارف الى الفن والاعمال التي تتطلب ذوقاً مرهفاً، فاشبعت ميولها باضفاء الجمال والابداع على كل شيء عملت فيه. لكنها لم تتمكن أبداً من الحصول على ذرة من هذا الجمال لنفسها، فاتخذت قراراً بانفاق كل ما ستدخره من مال على نفسها فربما تستعيض بذلك عما افتقدته من جاذبية ويعيد اليها ثقتها بنفسها بعدما فقدتها اليوم من جديد.

كان طوم في المطبخ يهتم بتحضير العشاء مرتدياً قميصاً رقيقة صفراء

اللون بعدما حلق لحيته وشاربيه من غير ان يخفف ذلك من قساوة تقاسيم وجهه. جلست ليز في مواجهته تسترق النظر اليه بين الحين والآخر تحتار كيف تصفه. أبشع هو أم جميل. وانتهى بها الامر الى الاقرار بامتلاكه وجهاً ملفتاً للنظر له أنف مستقيم جامد وشفتان رقيقتان، عينان ساحرتان مع حاجبين متصلين وذقن عريضة.

لاحظ طوم نظراتها فسألها ببرودة:

ـ هل عرفتني؟

ارتبكت ليز واحتارت كيف تخفي حياءها:

ـ كيف ذلك ونحن لم نلتق من قبل؟

ـ أعلم ذلك، كنت أهزر. أرجو أن يعجبك الطعام.

أحسن ترتيب الطاولة من غير ان يتكبد عناء الطهي، فأنواع الطعام اقتصرت على بضعة أصناف من الجبن وتشكيلة من المخللات اضافة الى شرحات صغيرة من لحم الغنم المقدد وصحن صغير من المربى وقطعة من الزبدة. لم تشأ ليز البدء بالأكل قبل الاستفهام عن أمر يراودها:

ـ نحن الاثنان فقط؟ أعني، ألا يوجد أحد غيرنا؟

ـ هل توقعت وجود شخص آخر؟ سيدتي، اعداد المنزل لم يكتمل بعد وما نحن سوى عابري سبيل.

لم تعجبها كلمة سيدتي، أحست بشيء من التهكم فيها. لا بد وأنها طريقته في مناداة بولا. وتساءلت ان كان طوم من الصنف المفضل لدى السيدة كافيل، فلا أحد يعلم حتى الآن حقيقة ذوقها تجاه الرجال. حاولت طرد هذه الافكار من مخيلتها فتناولت قطعة من اللحم وراحت تقطعها في طبقها. لم يخف على طوم ما تفكر به فقال يطمئنها:

ـ لا تدعي وجودنا هنا بمفردنا يقلقك كثيراً.

لم تكن في قرارة نفسها قلقة، فهي تعلم أن رجلا مثله لن يقدم على الحاق الاذى بها خاصة وأن سيماء التعقل والاتزان بادية بوضوح على محياه. مظهره لا يوحي بارتكاب حماقات من هذا النوع.

جاوبته متلعثمة:

ـ لست قلقة. كنت أتساءل فقط ان كانت زوجتك هنا أم...

قاطعها بوقاحة:

- ستفاجئني كثيراً بقدومها، لأني غير متزوج.
ندمت ليز على تسرعها وحشريتها، فقد بدت كالفتيات اللواتي يلتقين رجالاً دون السبعين من عمرهم، فيبادرن الى طرح السؤال عينه: هل انت متزوج؟ أحست بالحرج فأخذت نفساً عميقاً واعتذرت:
- كوني معك لا يضايقني البتة، فسيان عندي وجودي مع رجل أو مع خمسين كل ما يهمني هو انجاز مهمتي في الوقت المحدد.
ابتسم بفتور وعلق:
- وجودك مع خمسين رجلاً أمر مختلف، فنسبة الامان تصبح أعلى بكثير. والآن استعذرك فعلي أن أذهب لاقطع بعض الاخشاب وهذا من شأنه أن يحرمني من طاقاتي المختلفة. اطمئني، فلن تلقي أية متاعب مني.
كان يجلس قبالتها يرشف فنجان الشاي بهدوء وارتياح فراحت تتأمله من جديد. لا بد أنه يتمتع بعافية وحيوية هائلتين حتى يقوم بهذا العمل المتعب. استوضحته قائلة:
- لا اخالك ستقطع كل اشجار الحديقة.
- لا طبعاً، فأنا لا ألجأ الى ذلك الاّ بوجود سبب قاهر يدعوني الى ذلك. أحاول فقط شق ممر للعبور بينها. لم أحدث أي تغيير في الحديقة، فمنظرها الحالي جميل جداً، ولا تحتاج الاّ لقليل من الترويض.
رددت ليز كلمته بذهول:
- ترويض!
وضع قليلاً من السكر في فنجانها وقدمه اليها موضحاً:
- اعني ترويض الطفيليات والاشواك، فالأزهار بحاجة الى فرصة لتنمو لأن الاعشاب والاشجار تكاد تخنقها.
- انها تشبه الادغال.
- كما الحياة تماماً.
تشبيهه للحياة في محله، وهذا سبب مجيئها الى هنا. فقالت برضى:
- انا لا أحتاج لزرع ورودي سوى الى نزع ورق الجدران القديم واحلال الجديد مكانه..
ابتسم، فبدا اكثر فتوة وأقل تحفظاً وكان حديث العشاء قد نجح في اذابة جبل الجليد وهدم جدار التكلف بينهما أجابه بشيء من التحبب:

ـ وأنا سألجم تلك الادغال في الخارج لأمنعها من مضايقة زهورك، وأردف، ها نحن قد شكلنا فريق عمل متجانساً. فما رأيك؟

احتارت ليز في أمرها وشعرت بأن القدر يتلاعب بها كورقة خريفية تتقاذفها ريح تشرين، وتتحكم بها الصدف. هذا الصباح كانت شريكة باري وها هي الآن تعمل برفقة رجل يختلف كلياً عنه. ستختلف الخاتمة هذه المرة وستكون هناك نتيجة تفتخر بها. تفوهت ببضع كلمات كانت كافية لتظهر مدى اغتباطها بواقعها الجديد:

ـ هذا يسعدني كثيراً!

٢- وقفة عند الغروب

دقائق ثقيلة صامتة خيمت على الغرفة، بينما راحت ليز تقطع شريحة اللحم في طبقها بهدوء وتأن. فجأة علا صوت ريدينغ قاطعاً جو الصمت هذا.

- بأية غرفة ستبدأين عملك؟

- بغرفة النوم الرئيسية، فالتعليمات تنص على انهائها وقاعة الاستقبال أولاً. سأقوم غداً بنزع الطلاء القديم وأوراق الجدران البالية في غرفة النوم.

- لا شك في أنها مهنة شاقة.

أومأت ليز برأسها مبتسمة. وعاد يسألها:

- هل تقومين بها بمفردك؟

- أجل.

- لماذا لا تكتفين باعداد هندسة الديكور ثم تكلفين عاملاً بهذه المهمة الصعبة؟

- لأني أستمتع بالقيام بها، خاصة، وأن هذا المنزل هو أضخم مهمة أنالها.

تسرعت في كلامها، فصراحتها لم تكن في محلها وهي تقرأ ذلك بوضوح في عينيه.

فقال بلهجة يغلب عليها الشك:

- أتظنين أنه بامكانك القيام بذلك؟

أحست بشيء من التحدي في كلامه، فلم تشأ التراجع. انها قادرة على

انجاح عملها ولو كلفها ذلك حياتها. سيكون من أجمل الانجازات وستمضي الليل والنهار لاتمامه.

اجابته بثقة وحماس:

- بكل تأكيد.

لم يكتف بجوابها بل نظر اليها بعينين ثاقبتين يحاول النفاذ بهما الى أعماقها وقال بتهكم:

- لا يبدو أنك تتمتعين بما يكفي من قوة وعزم.

- بل على العكس. لا تدع المظاهر تخدعك. اهتم بحماية الازهار وساحول هذا المنزل المهجور الى مسكن رائع.

ألقت نظرة سريعة الى المطبخ تتصوره بعد أن تنهي عملها فيه، ثم وقفت قرب الباب تحدق في أرجاء المنزل. شعرت أنه يراقبها وأحست بنظراته تكتنفها. انه جزء من الحلم الذي تعيشه وهو المسؤول عن القسم الخارجي منه وعليها ان تعتاد على وجوده معها في المنزل. سألها طوم باهتمام واضح:

- كم مضى عليك في هذه المهنة؟

أجابت ليز ببساطة:

- حوالى العشرين عاماً.

- ماذا؟

- كنت أمارسها في بيوت خشبية صغيرة وأنا طفلة.

وعادت بها الذاكرة الى أيام طفولتها حينما انتقلت وهي في الرابعة من عمرها الى منزل عمتها لويزا بعد وفاة والديها، وبيدها منزلها الخشبي الصغير. لم تحطها عمتها بالحنان والعطف، وعاملتها معاملة قاسية بالرغم من تقدمها بالسن. كانت من عائلة ماندرلي المحافظة فلم تستسغ فكرة وضع ليز في ميتم، ولا قبلت أن تعهد الى احدى العائلات بتربيتها. فعاشت ليز في كنف عمتها، في جو من الوحدة، سلواها الوحيدة منزلها الخشبي الصغير. انه السر الذي رافق نموها، فحلمت ببناء بيت مثله والعيش فيه مع عائلتها بسعادة وهناء.

مرت أعوام عمدت ليز خلالها الى تزيين منزلها الصغير وطلاء خشبه من جديد، فحولت غرفه القديمة الى اخرى زاهية وجميلة. كبرت وكبر معها

الحلم في امتلاك منزل كبير تهندسه بيدها وتختار بنفسها الاثاث. لكن عمتها، التي دأبت على التردد الى ميتم قريب، قامت باهداء المنزل الخشبي الى أحد الاطفال ففقدت ليز أعز الاشياء الى قلبها. فبالرغم من اقتناعها أنها تخطت مرحلة التلهي بأمور كهذه، فقد افتقدته وشعرت بأن السر الذي نما معها قد ضاع الى الابد. فقدت منزلها الصغير والعائلة السعيدة التي طالما حلمت بوجودها. . . صحت من شرودها على صوت طوم يسألها:

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

طوم ريدينغ من النوع الذي ينتظر جواباً على كل سؤال يطرحه.

- بعد تركي المدرسة عملت في متجر لبيع ورق الجدران. كمسؤولة عن صالة العرض حيث علّقت أنواع الورق الى جانب قطع من الأثاث. كنت أشرح للزائرين عن اصناف الورق وأساعدهم في اختيار ما يناسبهم وما يتناسق مع ألوان غرفهم، وابتسمت متابعة، ما زلت أفعل ذلك الى اليوم، اختار زبائني من بين الوافدين الى المدينة فأتكفل بتصميم ديكور منازلهم وأضعهم في قاعات استقبال أو غرف نوم جديدة.

رفع طوم حاجبيه تعجباً من غير أن يزعج ذلك ليز، بل بدت متمتعة بحديثها وأكملت بزهو:

- انها مهنة شاقة لا ينجح فيها الا المحترفون. الزبائن يصغون اليّ بكل حواسهم، وهنا يكمن سرّ النجاح.

بدا غارقاً في كرسي قديم، مرتاحاً لكونه في المطبخ، ينصت اليها وعلامات الدهشة لا تفارق محياه. سألها مبتسماً:

- وأنا، أين ستضعينني؟

نظرت اليه تحاول معرفة ذوقه في العيش من خلال ملابسه وطريقة جلوسه:

- يكفيك كوخ صغير في جبال الروكي. انك تبدو كالصياد.

- أخطأت، لست صياداً. لم تنهي حديثك عن عملك في ذاك المتجر.

أكملت كلامها واعدة نفسها بأن تطرح بدورها بعض الاسئلة عندما تنتهي:

- آه أجل. كان مالك المتجر، السيد كول يقدم الى زبائنه خدمات مجانية مقابل شرائهم بضاعته. وبربارة زوجته اقترحت أن أرافق الزبائن الى

منازلهم للاطلاع على الأماكن التي تحتاج اعادة تزيين، وأخذت نفساً عميقاً وأكملت، صرت أذهب الى المنازل وأساعد العمال أحياناً في نزع الطلاء والورق القديم عن الجدران. عندها بدأت اكتسب خبرة في مهنتي.

ـ ثم بدأت تبحثين عن الشهرة.

ـ آمل ان يكون تيرجلين بداية الطريق اليها. كنت محظوظة جداً في حصولي على هذه المهمة.

ـ حقاً؟

وضعت قطعة لحم في فمها. مضغتها جيداً ثم أجابت:

ـ بكل تأكيد، فالحظ حليفي في ميدان العمل.

. . . وتذكرت حظها العاثر في الحب، وكيف عدل دوغلاس عن الزواج منها بعدما خاب ظنه في تركة عمتها واكتشافه أنها لا تساوي سوى ذلك المنزل القديم الذي رفضت عمتها قبل وفاتها ادخال أي تعديل عليه. فبقي الخشب ذو اللون القاتم على حاله، وطلاء الجدران حافظ على ألوانه الهادئة. كانت قيمته معدومة قبل أن تسارع ليز بعيد الجنازة الى اعادة تزيينه وادخال بعض التعديلات الأساسية عليه. ربما أزعج عملها هذا عمتها في لحدها، لكنه در عليها ضعفي قيمته يوم كان في حالته المزرية. حذفت بعد ذلك دوغلاس من حياتها، وقررت العمل بمفردها. فانتقلت الى شقة جديدة بعد ما ساعدها السيد كول وزوجته على استئجار مكتب تستقبل فيه زبائنها.

أنستها الأيام دوغلاس وطوى الزمن ذكرياتها معه الى الأبد. حتى جاء اليوم الذي التقت فيه باري، ونشأت بين الاثنين علاقة حميمة توجتها باستثمار معظم ثمن منزلها في مؤسسته. وثقت به لكنها اضطرت في النهاية الى اخراجه هو الآخر من حياتها. لدغت من الجحر مرتين، لكن هذه المرة تعلّمت الدرس ولن تسمح لنفسها بالوقوع في الخطأ بعد الآن. . . قطع طوم افكارها سائلا بحشرية:

ـ محظوظة في العمل فقط؟

لم يكن في نيتها الدخول في التفاصيل واطلاعه على دقائق الأمور. لكن من البلاهة ان تتظاهر بعد ادراكها القصد من سؤاله، فارتأت الابتسام وتغيير الموضوع:

ـ لسنا كلنا بولا كافيل كي نحظى بالشهرة والزواج من مليونير.
ـ ـ هل ستتزوج مليونيراً؟
احتارت كيف ترد على سؤ اله، فماري ادموندز لم تؤكد لها الخبر مكتفية بالتلميح:
ـ لا أدري. لكن مع وجود جايمس فنتون في الجوار فكل شيء وارد، وهو المشهور ببراعته في اقتناص قلوب الفتيات.
علق طوم بفتور:
ـ الأمر يتوقف على بولا، فهي قادرة أيضاً على سلب عقول الرجال.
ـ لا أخال السيد فنتون يقبل بأن يشاركه أحد قلب بولا.
أثار الحديث ذكرى ما زالت نارها متأججة في قلبها وتمنت لو كانت بمفردها الآن، لاستسلمت لدموعها. لكن طوم معها ولن تكشف كل أوراقها امامه وتظهر بمظهر المغلوب على أمره. سألته:
ـ هل تعرفت اليه؟
ـ فنتون؟ أجل. لكنه لم يقل الكثير، فقد تلقيت الأوامر من الآنسة كافيل.
ـ لدينا مصدر أوامر مشترك.
بلغت شهرة بولا كافيل كل حدب وصوب، وشعبية برامجها التلفزيونية في ارتفاع مضطرد. أما ليز فلم تر فيها ما يميزها عن غيرها. لم تعتمد بولا في اختيارها الموظفين طريقة ثابتة، بل كانت تنتقيهم بطريقة تغلب عليها الاعتباطية. وعندما سألت ليز ماري ادموندز عن كيفية تدبرها وظيفتها لدى بولا، اعترفت السكرتيرة بأن العمل مع السيدة كافيل ليس مريحاً كما يظنه الكثيرون. تساءلت ليز عن كيفية تلقيه أوامر بولا وطريقتها في الكلام معه، فمهما كان أجره مغرياً فلا يبدو عليه انه يحب الخنوع والرضوخ لأوامر الآخرين. قالت مستفهمة، تمعن النظر في سحنته السمراء وعضلاته المفتولة:
ـ كيف حصلت على هذه الوظيفة؟
ـ كنت أعمل في الجوار وعرفت أن العجوز الذي كان يعتني بهذه الحدائق ترك العمل وسافر قبل بيع المنزل. كان في السبعين من عمره وهذا سبب الاهمال الذي تعانيه الحدائق (وأكمل بعد تنهيدة طويلة) عندما تم

بيع المنزل انتقلت الى هنا بعد أن قابلت شخصاً يدعى جيليان.
لم تسمع ليز بهذا الأسم من قبل.
- من هو هذا الرجل وماذا يفعل؟
- انه المسؤول عن العمال هنا، فتيرجلين منزل كبير والعمل فيه يتطلّب وجود عمال عديدين. انه يزورنا باستمرار وستلتقين به قريباً.
لم تهتم بمعرفة المزيد عن السيد جيليان فليس هو من وظفها هنا. عادت تسأله عن عمله:
- هل هذه المهنة الوحيدة التي تجيد؟
- أجل، فقد ورثتها عن أبي. لكني عملت في مجالات أخرى وفشلت.
شعرت مرة أخرى بظمأ شديد لمعرفة أخباره وماضيه من غير ان تدري لذلك سبباً. تريد ان تعرف أين عمل من قبل ومع من يعيش؟ لكنها لم تتمكن من ارواء ظمئها فقد سبقها الى الكلام:
- هل لديك عائلة؟
- كلا، وأنت؟
- وأنا أيضاً لا عائلة لي.
انهما يعانيان الحرمان نفسه. لكن عدم وجود العائلة لا يعني العيش وحيداً. لا بد وأن لديه اصدقاء كثيرين يمضي برفقتهم أوقات الراحة وأيام العطلة، فبالرغم من عدم اعتنائه كفاية بنفسه، فهذا لم يؤثر كثيراً على جاذبيته.
- هل ستبقى هنا؟
- لفترة.
أيقنت ليز انه من الذين لا يستقرون في مكان، فعلقت:
- لو كنت مكانك لبقيت هنا.
ابتسم طوم ورد مشككاً:
- حقاً؟ أين تسكنين؟ أود ان اعلم بأي نوع من المنازل خصصت نفسك.
عليها ان تقر حقيقة ما تملك:
- لا أملك منزلاً في الوقت الحاضر بل شقة صغيرة.
لكنها يوماً ما ستنتقل الى منزل. لن يكون طبعاً بحجم تيرجلين، انما

سيتسع لها ولعائلتها وستملؤه حباً وحناناً وتفاهماً.

استيقظت ليز باكراً بعد ليلة هادئة نعمت خلالها بساعات نوم طويلة ما برحت تفكر في يوم أمس، فبدلاً من ان تكون مع باري الآن على أحد شواطىء اسبانيا ينعمان بدفء الشمس، ها هي الآن في منزل ريفي لا علاقة له بماضيها.

اقتربت من النافذة وازاحت الستارة تستقبل خيوط الشمس ووهج النهار. لم تشعر بالاسف مما ضاع فالمهم أنها في النهاية ربحت نفسها. عادت لتجلس على حافة السرير، واسندت رأسها على ركبتيها تحدق في أقسام الغرفة مخاطبة الجدران:

- بات موعدك مع الجمال قريباً، فتحلّي بالصبر.

علت ضحكتها فجأة، لأنها في الحقيقة لم تكن تخاطب الجدران الصماء بل نفسها.

استحمت وارتدت سروالاً واسعاً وقميصاً فضفاضاً، ثم ربطت شعرها الى الوراء وخرجت متجهة الى الاسفل. رائحة الطعام تملأ المطبخ فوقفت قرب الباب ترقب طوم في ثياب البارحة يرشف قهوته بهدوء.

- صباح الخير.

- أهلاً يا ليز، ادخلي.

- أتزعجك مشاركتي لك في تناول الفطور؟

- أبداً، فالأكل في انتظارك. بيض مع البندورة وبعض الجبن والعسل.

- شكراً.

قدم لها كرسياً وسألها باهتمام:

- ماذا تفضلين للعشاء؟

يبدو انهما سيتناولان الطعام معاً باستمرار. ولم لا ما دامت الأمور تسير على ما يرام. فقالت وهي تملأ طبقها:

- لا فرق عندي بين نوع وآخر من الطعام.

سكب لها فنجاناً من القهوة فرشفت منه معلقة بزهو:

- يا لها من قهوة رائعة.

أسند طوم رأسه الى حافة الكرسي ينظر اليها بعينين باسمتين لامعتين. فارتبكت وندمت على مديحها المتسرع. سألها والبسمة لا تفارق ثغره:

ـ أين كنت ستمضين العطلة؟
ـ في اسبانيا.
ـ ولماذا عدلت عن الذهاب؟
ـ تشاجرت مع رفيق رحلتي.
لم تشعر بأي اكتئاب وكأن النار المتأججة فيها قد خمدت وهدأ سعيرها، فالزمن لن يعود الى الوراء ومن الافضل ان تنسى الماضي وما فيه.
ـ ما رأيك بزجاجة من عصير العنب الاسباني تعوضين بها ما فاتك؟
ظنته في بادىء الأمر يسخر منها لكنها ما لبثت ان شاركته الضحك معلقة:
ـ اين سنجد العصير الاسباني في هذا المكان الموحش؟
ـ لدينا هاتف.
ـ لا أظنك تقترح الاتصال بأقرب محل ونطلب ارسال الزجاجة.
ـ حسناً، سأركب دراجتي.
ـ ان كنت ستستعمل الدراجة فأنا أفضل لو نتناول عصير البرتقال.
ـ يوجد القليل منه في الثلاجة.
ابتسمت ليز متمتمة:
ـ عظيم، سأستمتع بشربها وكأني في اجازة.
ـ ولن ينقصك سوى التمتع بأشعة الشمس، الا اذا شاركتني تقطيع الاخشاب في الخارج.
ـ لا شكراً. لدي ما يكفيني من العمل.
وقف طوم يعتذر عن تركها وحدها لاضطراره الى البدء بالعمل، ارتدى قبعته وخرج مقفلاً الباب خلفه. أكملت ليز طعامها تفكر بما دار من حديث بينها وبينه. باتت أكثر اقتناعاً بصواب الخطوة التي قامت بها.
قررت ليز بعد طول تفكير أن تستعمل غرفة الطعام الواسعة مكاناً لوضع حاجياتها المهنية. فالطاولة الكبيرة الموجودة هنا تكفي لاستيعاب أوراقها وآلات عملها. قريباً ستستبدلها بطاولة أصغر حجماً بيضوية الشكل مع كراسي جلدية جديدة، مما سيضفي جواً من الرومانسية. أزاحت ستارة النافذة فملأ النور أرجاء الغرفة، ووضعت حقيبة العمل على الطاولة وركزت قربها معداتها لتكون جاهزة عندما تدعو الحاجة. صعدت بعد

ذلك الى غرفة النوم الرئيسية حيث بهتت ألوان الجدران وتمزّق الورق الملصق عليها، فبالرغم من جودة العمل واتقانه لم يصمد أمام الاهمال طيلة سنوات عديدة. ألقت نظرة على الحديقة حيث يعمل طوم بكد ونشاط فائقين في جزّ رؤوس الاعشاب المتطاولة، كاشفاً عن صدره الداكن ومنكبيه العريضين. قريباً ستتحوّل هذه الأرض المتوحشة الى نعيم حقيقي يحوي أجمل أنواع الورود والنباتات.

اتكأت الى الجدار تمعن النظر فيه. لا يبدو عليه انه من عمال المناجم، أو أنه سجين سابق. لكن ليس لذلك أهمية الآن طالما لم يبدر منه ما يدفعها الى اساءة الظن به. هاجسها الوحيد في الوقت الحاضر ان تقوم بالعمل وتنهي مهمتها في الموعد المحدد. راحت تنزع الورق عن الجدران بسهولة، وحماس. ستحاول الانتهاء من تنظيف الغرفة قبل حلول الظلام، واذا بقي متسع من الوقت ستبدأ عملية التزيين الليلة.

اعتادت ان تغني اثناء عملها، فالغناء يساعدها على التركيز ويمدها بالنشاط لكن هذه المرة خفضت صوتها قدر المستطاع كي لا يتهادى الى مسمعي طوم. وبين الحين والآخر كانت تسترق النظر اليه الى أن رآها مرة ولوح لها بيده، فعقدت المفاجأة لسانها وكبلت يدها وبقيت مسمرة في مكانها من غير حراك لأنه اكتشف انها تراقبه ولم تستعد طبيعتها الاّ بعد فترة. وجودها بمفردها اثناء العمل يريحها لأنها تفضل العمل على طريقتها الخاصة. لكن احياناً تواجهها مشاكل لا يمكن لغير الرجال ان يحلوها لذلك ستحاول الحصول على موافقة بولا للاستعانة بعاملين أو ثلاثة لمساعدتها. حالفها الحظ في تيرجلين، فأصابت عصفورين بحجر واحد. حصلت على العمل، وحظيت بمن يؤنس وحدتها. ستقوم بنزهة في الحديقة هذا المساء لتطلع على ما أحرزه من تقدم، فقد مضى على عمله هنا أسابيع عديدة ولا بد أنه شارف على الانتهاء.

سمعت رنين الهاتف، فهرولت الى الطابق السفلي نحو غرفة الاستقبال لكنها ما ان وصلت الى منتصف الطريق حتى تخلت عن جريها ووقفت مكانها من غير حراك. قد يكون المتكلم باري نفسه. فموعد سفره لم يحن بعد وربما ذهب الى شقتها ولم يجدها، فأخبره أحدهم أنها غادرت البارحة بعد الظهر وتمكن بما لديه من اساليب من اكتشاف مكانها. لم يكف الهاتف

عن الرنين فالأمر يبدو طارئاً. فتحت باب المدخل علّ الصوت يطرق مسمعي طوم، ثم صاحت بأعلى صوتها:

ـ الهاتف يرن.

هرع طوم بأقصى سرعته نحو المنزل مستغرباً امتناعها عن الرد على المكالمة:

ـ هل في عقد العمل ما يمنعك من رفع سماعة الهاتف.

علا الاحمرار وجنتيها محتارة كيف تشرح له، فقالت متلعثمة:

ـ قد تكون المخابرة لي، اذا كان المتكلم رجلاً يدعى باري مايسون... فلا أريد أن يعلم بوجودي هنا.

دخل طوم غرفة الاستقبال ولم تعد ليز تسمع الرنين. مرت دقائق طويلة عاد بعدها طوم يطمئنها:

ـ كانت المخابرة لي، لاعلامي أنك في طريقك الى هنا.

بعث كلامه في نفسها ارتياحاً انعكس ابتسامة على ثغرها. فقد أثارت لتوها ضوضاء لا لزوم لها أبداً. وقف قبالتها، ينتظر تفسيراً مقنعاً لما حدث.

ـ هل مايسون هو الذي كان سيرافقك في رحلتك الى اسبانيا؟

ـ أجل.

ـ الا يعلم بوجودك هنا؟

ـ كلا، طالما لم يتحدث بعد الى سكرتيرة السيدة كافيل. كنت أفضل أن يتصل بي هنا لأشرح له الأمر، وسكتت برهة ثم أردفت، لكني بت أحبذ ذهابه الى اسبانيا من غير أن اسمع كلمة منه.

ـ يبدو انه مجنون.

ابتسمت بارتياح وقالت:

ـ يسرني سماع رأيك به.

رفع طوم رأسه ناحية الطابق العلوي سائلاً:

ـ كيف تجري الأمور فوق؟

ـ على أحسن ما يرام.

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة، شعرت ليز بحاجة الى استراحة قصيرة فقالت مقترحة:

ـ ما رأيك بفنجان من القهوة؟
ـ فكرة حسنة.

حملت غلاية الماء الساخن وفنجانين وضعت فيهما قليلاً من القهوة ولحقت بطوم الى الخارج. كان يقف قرب الحائط الفاصل بين الحديقة والمنزل، حيث يمتد سياج حديدي مزخرف يزنر الحديقة. وقفت الى جانبه يطلان على مشهد لم تر مثله في حياتها. واد سحيق يحتضن في مقره نهراً صغيراً ينساب كالافعى بين البساتين الخضراء وصفوف متناسقة من المنازل الخشبية العتيقة. سكون طاغ يغشي المكان ولا يخرقه سوى طنين حشرات خافت. وزقزقة عصافير تملأ الشجيرات وراء المنزل. تمتمت ليز مفتونة:

ـ يا لروعة هذا المشهد. لن يجد سكان تلك البلدة مكاناً أكثر هدوءاً وسلاماً.

لم ينبسا ببنت شفة، يرشفان القهوة بهدوء ودهشة، مستسلمين الى احضان السكون. مدت ليز يدها نحوه تتناول فنجانه الفارغ وبادرته مبتسمة:

ـ هل تتناول الغداء عادة.
ـ قليل من الخبز والجبن أحمله معي الى حيث أعمل. فوجبتي الاساسية أتناولها في السادسة.

لديها متسع من الوقت لتنهي عملها وتعمد الى تحضير العشاء قبل السادسة، فاجابت:

ـ حسناً سألقاك في السادسة.

عملت بعزم حتى انتهت من نزع الورق عن جدران غرفة النوم فأصبحت جاهزة لتلقي الطلاء الجديد، ولم يبق عليها سوى سد بعض الفجوات قبل ذلك. جلست القرفصاء قرب الحائط واضعة خشبة، عليها بعض الطين، على ركبتيها وراحت تمزج الكتلة اللزجة بيديها غير آبهة لما ستتركه من آثار. فجأة حجب خيال ضخم الضوء عنها. ارتدت ليز الى الوراء واستدارت لتفاجأ بطوم يقف أمامها. لا بد ان انغماسها في عملها منعها من سماع خطواته. نظرت الى عقارب ساعتها تكاد تشير الى السابعة. مضى الوقت بسرعة من غير ان تشعر، فضربت كفاً بكف بانفعال:

ـ يا الهي، كنت سأحضر العشاء.
ـ انه حاضر، وأنت؟
ـ اعتقد ذلك.
همت بالنهوض فلم تفلح، فمد يده يساعدها.
ـ شكراً، أظن أني أطلت الجلوس على ركبتي.
نزعت قبعتها عن رأسها وتركت شعرها يتهدل بحرية على كتفيها، ثم فكت الحبل الذي يربط قطعة الخشب بخصرها. خرج طوم من الغرفة قائلاً بلهجة شبه ودودة:
ـ لديك عشر دقائق لتستعدي، سأكون بانتظارك في المطبخ.
تحسست يدها بعد انصرافه وكأنها تتلمس بصماته عليها. كان ناعماً، لطيفاً فأحست انه يحملها بين ذراعيه ويطير بها قبل أن يضعها أرضاً.
رتبت أغراضها وهرعت الى الحمام تغتسل بحيوية لم تألفها في نفسها من قبل. تحس بدفء منعش في أوصالها وبتغيير مفاجىء في داخلها.
تناولا طعامهما من غير أن يتكلما كثيراً، وكأنهما خشيا انتهاك حرمة ذاك السكون المسيطر، عدا عن كون ليز تتمتع بطبيعة هادئة الى حدّ التحفظ. نظرت اليه عند انتهائها من الأكل فرأته يبتسم لها، فارتبكت وحولت ناظريها ناحية الوادي تتظاهر باللامبالاة:
ـ لا أصدق ان هناك مكاناً أجمل من هذا في العالم كله.
بقي طوم يحدّق فيها من غير أن يحرك ساكناً، تشعر بسهام عينيه تنفذ الى أعماقها. كانت سعيدة في قرارة نفسها لوجود شخص معها يشاركها الاستمتاع بهذه المناظر، فاردفت قائلة:
ـ لست واثقة من قولي لأني لم أسافر قبلاً. هل تخطيت الحدود من قبل؟
ـ عملت في كندا لفترة.
أدركت ليز عندئذ أنها كانت على خطأ عندما اختارت لمسكنه كوخاً صغيراً في جبال الروكي، فقد سافر وعرف بلاداً اخرى وعادات وتقاليد مختلفة. لم يبد طوم استعداداً لاعطاء المزيد من المعلومات، فتابعت كلامها:
ـ اني اعشق السفر وأتوق الى القيام برحلة أجوب فيها العالم بأسره.
ـ عند حصولك على المال والشهرة؟
ـ امامي كثير من العمل المضني لأحصل على هذا كله.

تناولت تفاحة صغيرة ونهضت عن كرسيها قائلة:
- سأقوم بنزهة، هل ترافقني؟
تفضل التنزه وحدها، لكن الظلام سيخيم عما قريب اضافة الى انها تجهل الطرقات والمعابر المحيطة بالمنزل. اعتبرت دعوتها له أمراً طبيعياً فهي لا تريد ان تهيم على وجهها في هذا المكان المقفر. أما في داخلها فالأمر لم يكن طبيعياً أبداً، تحس بحاجة ماسة الى وجوده بجانبها وبصوت هاتف في أعماقها يدفعها للقيام بهذه النزهة والقاء نظرة على الحدائق. لم يضع طوم ثانية واحدة وهب واقفاً وهتف بحماس:
- سأريك الحدائق وأعرفك على المكان.
سارت ليز بجانبه بحذر مخافة الانزلاق اثناء نزولهما الدرجات القليلة أمام المدخل. سلكا الممر الضيق في وسط الحديقة تحيط بهما الاعشاب اليابسة وتطل عليهما في بعض الاماكن ورود حاصرها الشوك حتى كاد يخنقها.
- كم مضى على وجودك هنا يا طوم؟
- عدة أيام.
- فقط؟ ظننتها عدة أسابيع.
- هل هناك ما يدل على ذلك؟
- لم أقصد هنا بالذات. اليست هذه حديقة الزهور؟
أومأ برأسه ايجاباً ورد موضحاً:
- نلت الوظيفة منذ ستة أسابيع، لكني لم أتمكن من الالتحاق فوراً بعملي.
- هل ستلقى هذه الازهار الجميلة مصير الشوك؟
ابتسم طوم ابتسامة باردة وأجاب بجدية:
- الا ترغبين برؤية حديقة ساحرة، حيث كل شيء في مكانه؟ أليست هذه طريقتك في وضع تصاميم الديكور؟
- بالطبع. لكن لم يسبق لي أن عملت في غرف مهملة الى هذا الحد. اقتصر الأمر في معظم الأحيان على نزع الاوراق وطلي الجدران بألوان تتناسب وأذواق أصحاب المنازل.
عاد يسألها بحشرية واضحة:

ـ ما اللون المفضل لديك؟
ـ أحب كل الالوان.
جابا الحديقة على مهل، يشرح لها طوم برنامج عمله وهي تصغي اليه بشغف، مأخوذة بكلامه عن الورود والاشجار. في نهاية المطاف وصلا الى الجهة الخلفية للمنزل حيث قطعة من الارض صغيرة تزرع فيها الخضار والفاكهة والتي سيعمد طوم الى اعدادها مجدداً لهذا الغرض. أشجار باسقة توزعت على جانبيها تفصلها عن البساتين المجاورة.
ـ سأساعدك في زرع هذه الأرض، فأنا ملمة بأنواع البذار.
ـ حسناً، ستبدأين العمل فور انتهائي من الحراثة.
بدأ الليل يرخي حبائله عندما وصلا الى البوابة الرئيسية، فتوقفت ليز أمام فسحة رملية كبيرة مستفهمة:
ـ الا تفكر بولا في انشاء حوض للسباحة هنا؟
كانت جادة بعض الشيء في سؤالها، فبالرغم من قساوة الشتاء هنا لا بد وأن الفكرة قد خطرت للآنسة كافيل لتتمكن من تحمل حرارة فصل الصيف.
ـ لو فعلت لطلبت مني البدء بالحفر. لكنها على ما اعتقد تود الاحتفاظ بهذه الفسحة لهبوط الطوافات.
علت مسحة من الدهشة والقلق وجه ليز:
ـ هل تتصور نتيجة التحليق بطوافة فوق المكان؟ ماذا سيحل بدراجتك وبسيارتي؟
قصدت من كلامها ان تضحكه وأفلحت، فانفرجت اساريره للمرة الاولى فبدا اكثر جاذبية وفتوة وأدركت أن الأمور تجري على ما يرام بينهما، مما يعني أنها ستستمتع بوجودها هنا ولن تتحول اقامتها الى جحيم آخر تطالها ناره. أمضيا السهرة في المطبخ جالسين الى الطاولة يتحدثان. وضع طوم أمامه محركاً صغيراً للحراثة، وبسط قطعة على الطاولة يزيل ما علق بها من أعشاب وتراب مستمعاً اليها تصف له المنزل غرفة غرفة. أخبرته كل ما يريد معرفته عن عملها في الايام المقبلة وكأنها تكلمه عن نفسها. شرحت له كيف ستكسو الجدران في غرفة الاستقبال وكيف ستشع السلالم وتستعيد رونقها بعد أن تطليها بالوان جديدة براقة. ثم أسهبت في الكلام عن قطع

الاثاث الفاخرة المستوردة من أفضل المصانع الأجنبية والتي ستضفي على المنزل جواً من الفخامة والابهة.

- ماذا سيكون شعورك عندما تنتهين من العمل هنا؟

أجابته ببساطة وصدق:

- لا أدري. أعتقد أني ساكره الرحيل كعادتي، فأنا أتعلق بالاماكن التي أعمل بها. المنزل الأخير الذي عملت فيه كان منزل عمتي لويزا وطبعاً لا مجال للمقارنة بين الاثنين.

وأحست بعينيه تسألانها عن عمتها، تطلبان المزيد من الاخبار عن ماضيها، فاردفت بهدوء:

- عمتي لويزا، ربتني بعد وفاة والدي في حادث سيارة.

- هل كنت سعيدة معها؟

مسحت ليزا دمعة ساخنة ترقرقت على خدها. لم تكن تريد التحدث عن نفسها وعن ماض بعيد ما زال يؤلمها ويغشي طفولتها. لكنه ينتظر جواباً ولا بد من أن تكون صادقة معه، فاجابت والغصة تخنقها:

- كلا.

- لماذا؟

بدأ الكلام عن عمتها يثير اعصابها فاكتفت بالقول:

- لم تكن امرأة متفهمة، وغيرت الحديث تسأله، أين ولدت؟ أخالك أمضيت طفولة سعيدة. أخبرني عن كندا وماذا كنت تفعل هناك؟

وضع طوم قطعة الحديد على الطاولة من غير أن ينهي تنظيفها وقال معتذراً:

- آسف لأني تماديت في طرح الاسئلة عليك.

- لا بأس الآن.

احست بالحرج والارتباك في آن معاً، وشعرت انها تشبه عمتها كثيراً. من السخافة ان تستسلم للانفعال بسبب طرحه بعض الاسئلة. كان بامكانها ان تخفي الحقيقة وتخبره أنها أمضت طفولة رائعة من غير ان تأتي على ذكر عمتها. نهضت من مقعدها تتفادى النظر اليه:

- أظن أن وقت النوم قد حان، فعمل كثير ينتظرني غداً. ارجو قبول اعتذاري على ما أبديته من فظاظة لا لزوم لها.

اكتفى طوم بالابتسام ينظر اليها برفق يقارب الحنان، فأحست فجأة برغبة جامحة للجلوس من جديد والسماح له بطرح ما يشاء من الاسئلة. أرادت أت تشكره على اهتمامه بها. لكنها لم تفعل بل بادلته الابتسامة وصعدت الى غرفتها تستسلم مرة اخرى الى ذلك الشعور بالغبطة والراحة الذي راودها وهي الى جانبه هذا المساء. باتت تشعر بحق أنها قرب شخص قوي يوفر لها ما تفتقده من عناية واهتمام.

٣- خائفة من الصراخ

لم يسبق لليز أن أمضت أوقاتاً سعيدة كالتي تمضيها الآن في هذا المنزل الرائع. فبالرغم من عملها الشاق وكميات الغبار الهائلة التي تزيلها عن جسمها كل ليلة، كانت تستمتع بكل دقيقة فيه. يحدوها الأمل بأن نجاحها في اعادة تزيينه سيفتح لها باب الشهرة وينسيها تعبها وسهرها. أنهت في الاسبوع الأول غرفة النوم الرئيسية، فبدت بألوانها الزرقاء والذهبية تحفة رائعة. عمّا قريب سيصل السرير الذهبي الذي أوصت عليه بولا مع ستائر النوافذ الزرقاء والخضراء. أما غرفة السيد فنتون، فقد عملت ليز على ان تتناسب ألوانها وألوان غرفة النوم. ألقت نظرة سريعة على الغرفة وخرجت تبحث عن طوم لتسأله رأيه في عملها. عثرت عليه في الحديقة ينبش التراب والعرق يتصبب منه. لمحها قادمة باتجاهه فرمى الرفش من يده وخلع قفازيه نافضاً الغبار عن ذراعيه وثيابه. حيته ليز بتودد وقالت:

- هلاّ صعدت معي الى الطابق العلوي لبرهة؟ فلدي مفاجأة لك.

انه بحاجة الى استراحة قصيرة، فلم يمانع وسار وراءها يفكر بما تخبئه له، كان قد امتنع عن الصعود الى الغرف منذ أن بدأت عملها فيها، لذلك كان وقع المفاجأة عظيماً:

- جميلة للغاية!

- انها بالطبع غرفة نجمتنا الشهيرة وستكون الأفخم والأجمل. سأباشر العمل قريباً في الغرف الصغيرة، فأنا أنهيت لتوي الغرفة المجاورة ولم يبق سوى لصق الأزهار الزرقاء. أتظن انها ستحوذ على رضاه؟

أجال طوم ناظريه في أنحاء الغرفة وعلامات الاستحسان بادية

على وجهه:
- أليس هذا مطلبهما؟
- أجل.
- اذا لم تنل رضاه بالحسنى فستناله بالقوة.
- هذا صحيح. والقانون نفسه سيسري على الحديقة.

تبادلا ابتسامة رقيقة. انهما يؤلفان فريقاً رائعاً. ساعدها طوم في حمل السلالم والألواح الى أسفل، فغداً ستبدأ العمل في غرفة المؤونة. بدأت ليز تعتاد العمل في هذا المنزل الفارغ. تتنقل بين غرفه من غير ان تشعر بالوحدة. قد يكون وجود طوم معها هو السبب بالرغم من بقائه معظم الوقت في الحديقة، فطوم ريدينغ من الذين يشعر الانسان معهم بالأمان، يدير شؤون المنزل بينما تنصرف هي الى اتمام عملها، فيطبخ وينظف ويغسل دراجته وسيارتها.

آنستها رفقته كثيراً وتمنت لو تدوم صداقتهما بعد اتمام العمل. كانا يتبادلان أطراف الحديث كصديقين قديمين. يتطرقان الى المستقبل فيتكلم كل منهما عن الطريق التي سيسلكها تبعاً لنوع عمله. أربعة شهور تحتاجها ليز لاتمام عملها. انها مدة طويلة لا تريد ان تفكر بما سيعقبها وكأنها اكتفت بعالمها الصغير هذا. وجدت السعادة الحقيقية في تيرجلين. السعادة التي طالما نشدتها، الخالية من التصنع، البريئة. وجدتها هنا في الغرف الصغيرة، في الحدائق والهواء المنعش، في رائحة التراب ومشهد الغروب. احست بأنها حية هنا في غرفتها، وحديثها مع طوم وقت العشاء ونزهاتها معه أعادا اليها ثقتها بنفسها.

في عطلتهما الأولى، جلسا على احدى درجات الشرفة يتناولان الفطور، يرشفان القهوة ويتسامران كالمعتاد. سأل طوم:
- هل ستمضين نهاية الاسبوع في منزلك؟

قطعت ليز رغيف الخبز وناولته قطعة مجيبة:
- لن أذهب الى أي مكان قبل الانتهاء من العمل.
- ماذا تعنين؟ الى متى ستبقين مسجونة هنا؟
- سأبقى هنا ما دام العمل يتطلب ذلك.
- هذا تفكير أخرق. ألديك ما يساعدك على البقاء مدة طويلة هنا؟

- اذا احتجت لأي شيء ساستقل سيارتي وآتي به. سأمكث هنا الى ان يصبح تيرجلين جاهزاً لاستقبال صاحبيه.

توقعت ليز ان تقوم بولا بتفقد سير العمل أثناء نقل أثاث غرفة نومها الى هنا فموعد الزفاف بات قريباً حسب قول السكرتيرة. أثار تعجبه من قرارها بالبقاء فضولها:

- لا أرى ضرراً من بقائي هنا، فأنت أيضا لا ترحل في نهاية الاسبوع.

- بل أنا أفعل ذلك كل اسبوع.

- أتذهب الى منزلك؟

- الى أي مكان.

وضعت قليلا من الزبدة على قطعة الخبز ثم أضافت بعض المربى قبل ان تستفهم:

- هل ستمضي نهاية الاسبوع خارج المنزل؟

- كلا.

فرحت في قرارة نفسها. فقد يسبب لها رحيله شعوراً بالوحدة. وتساءلت اين كان يمضي يومي العطلة ومع من؟ لم يأت على ذكر أصدقائه أبداً، وما زالت تجهل أشياء كثيرة عنه. الأيام وحدها لن تكفي لتزيد معرفتها به، وعليها ان تسعى لذلك بنفسها. حدثته عن آلن وبربارة كول وعن الحفلة التي أقاماها احتفاء بذكرى زواجهما الخامسة عشرة، الى ان سألته بشيء من التردد والحياء:

- هل أنت متزوج؟

- كلا. مثلك تماماً.

حدجته بنظرة استغراب سريعة، فباري اعتاد ان يشبهها بالمرأة العجوز العانس.

- كيف عرفت ذلك؟

- ليس لديك الوقت لذلك، فقد جنّدت كل طاقاتك للنجاح في مهنتك، كم عمرك؟ عشرون عاماً؟

أحست للمرة الأولى بأنها تبدو صبية وفي العشرين من عمرها.

- اثنتان وعشرون سنة. وأنت ألم يكن لديك الوقت الكافي؟

لم يجب وكأنه يحاول التهرب من الرد، فأردفت:

- كم عمرك؟ .
- أنا أكبرك بعشر سنوات، وستتزوجين قبل بلوغك سني بكثير.
شعور بالامان يلفها وهي الى جانبه، عيناها في عينيه، يتبادلان ابتسامات ناعمة ونظرات خجولة. خاطبها طوم مازحاً:
- كنت أظنك ترفضين جلسات كهذه، على الأرض وفي مكان كهذا.
- أتعتقد اني فتاة رجعية؟
- لم يراودني هذا الاعتقاد حتى الآن. أأنت كذلك؟
- انه رأي بلري بي.
- من؟ آه، الرجل المعتوه. هل ابدى رأيه أثناء المشاجرة التي أفشلت رحلتكما الى اسبانيا؟
- أجل، وكان رأيه بمثابة اهانة لن أنساها.
لاحظ تجهمها فأنهى فنجان القهوة وقال يُواسيها:
- الأفضل ان تنسي، فعالمنا لم يعد يتقبل ذوي الاحساس المرهف بل يسحقهم، لأنه أضحى ملكاً للاهثين وراء المادة والسلطة.
- لا جدوى من الاهتمام بآراء الآخرين بي، أليس كذلك؟
- طبعاً، فهذا يرهقك وأحياناً يحطمك. لا تبالي الا بنفسك.
ابتسمت بحزن وهي تمسح القهوة عن شفتيها:
- ما زال صدى كلمات عمتي لويزا يضج في أذني. اعتادت ان تنعتني بالخرقاء كلما اقترفت خطأً ما أو أسأت التصرف.
- تنعتك بماذا؟
رددت ليز العبارة بأسى:
- بالفتاة الخرقاء.
- خلتك قلت بالشقراء.
أثارت عبارته ضحكتها وأردف:
- أنت أفضل الآن من أن تكوني شقراء، فأنا لا أطيق الشقراوات. لكن لماذا كانت تنعتك بالخرقاء؟
- لأني. . . كان منظري يوحي بذلك. قامتي الطويلة والنحيلة لم تتناسب البتة مع سني.
ما تزال على نحافتها لكنها لم تعد تزعجها كالسابق، فقد اعتادت ارتداء

السروال. نظرت الى قدميها وأكملت:
- كانت تملك منزلا صغيراً في غاية الترتيب، وتحول اعتناؤها به الى هاجس رهيب جعل التجول بحرية في ارجائه ضرباً من المستحيل. كنت كلما سرت ترتطم ركبتاي او مرفقاي بالأثاث وبالتماثيل الصغيرة، فكان عليّ ان أحافظ على مرفقي مستقيمين أثناء السير وان أنتبه الى موضع قدمي الكبيرتين في كل خطوة أخطوها.
ضحك طوم ملء فمه وهتف باعجاب واضح:
- يبدو انك أفلحت في ذلك فمشيتك الآن رائعة.
بدا عليه الانشراح مستمعاً اليها من غير ان يهزأ بها، فوجدت في مسامرته لها ما كانت تبحث عنه منذ أمد طويل. شعرت بأنها حظيت أخيراً بمن يشاركها ببراءة بعض أوقاتها. أوشكت ان تخبره عن استغلال باري لها لكنها كيف تبرر له تخلّيها عنْ كل ما تملك في سبيل رجل لا هم له سوى الجاه والتسلط.
قالت بحنان واضح:
- هل لديك أخت؟
- كلا. لماذا؟
- لحسدتها على أخ رائع مثلك.
لو كان لها أخ مثله لما استسلمت لهذا الاضطراب النفسي كل حياتها مما جعلها ترضخ لباري وتنفذ كل أوامره فور صدورها.
- ليت لي أخاً مثلك.
- أصحيح ما تقولين؟
قطع صوت طوافة بدت فجأة في قبة السماء على ليز كلامها، فرفعا رأسيهما يرافقان اقترابها منهما بسكوت ودهشة. أحست ليز وهي تراقب الطوافة توشك ان تحط، ان شيئاً ما سيعكر صفو جنتها الصغيرة غير مبالية بهوية القادم، أكان باري أم السيد فنتون أم بولا نفسها. لم يعد يهمها غير تيرجلين، لكنها لا تملكه ولا يحق لها سن القوانين ومنع الآخرين من المجيء. ليست سوى موظفة تتقاضى أجرها لقاء قيامها بالعمل. تمتمت ببعض التأفف:
- أتانا ضيف.

ـ هلا أفسحنا لهم مجال الهبوط.
ـ ليت القرار في يدنا.
حطّت الطوافة في وسط الفسحة الترابية وترجل منها رجل ما ان رآه طوم حتى هبّ من مكانه، فسألته ليز بفضول:
ـ هل هذا جايمس فنتون؟ وأردفت من غير ان تحصل على جواب، على كل حال غرفة النوم أصبحت جاهزة لكن عليه افتراش الأرض.
وقف طوم يتكلم مع الزائر صاحب القامة الطويلة المكتنزة والبشرة الداكنة بينما دخلت ليز غرفة الاستقبال تلملم حاجياتها عن الأرض كي لا يتعثر بها الضيف المزعج. أثار قدومه اهتمامها، فهو معروف في عالم المقاولات وصاحب أكبر شركة في هذا المضمار مع ما يتبعها من معامل هنا وفي الخارج. شهرته ملأت كبريات الصحف والمجلات، فقرأت فيها ليز ما تحتاجه للاطلاع على مشاريعه ولتكوين فكرة صغيرة عن آخر مبتكراته في عالم البناء. لكن حياته الخاصة ما زالت لغزاً بالنسبة اليها.
أما بولا فقد شاهدتها في برامج تلفزيونية قبل ان تلقاها وجهاً لوجه. لكنها لم تعلم انها تتقاسم مع السيد فنتون السكن الا بعد ان عهد اليها بالعمل هنا. وما دام المليونير يخطط للعيش في تيرجلين فعليها ان تتعرف اليه، فانتظرت مروره بغرفة الاستقبال بفارغ صبر.
بادرته بالترحاب فور ولوجه:
ـ صباح الخير يا سيد فنتون . . . هذه الغرفة لم تنته بعد. هل تحب القاء نظرة على الغرفتين الجاهزتين في الطابق العلوي؟
ـ لست السيد فنتون.
كادت ان تتعثر لوقع المفاجأة وسألت بتلعثم:
ـ من أنت اذن؟
ـ روبرت جيليان، مساعد السيد فنتون.
أدركت ليز حقيقة الأمر، فالسيد فنتون يرسل موظفيه للتفقد والعمل على الاسراع في تجهيز تيرجلين قبل قدومه وبولا أو بالأحرى السيدة فنتون. روبرت جيليان رجل أعمال بكل ما للكلمة من معنى. مظهر أنيق، محدث لبق يحسن اختيار عباراته. تسمرت عيناه في عيني ليز للحظات ثم قال:
ـ بدأت عملك قبل الوقت المحدد.

رمت ليز ما بيدها من أوراق ممزقة:
- لقد أنبأت الآنسة ادموندز بذلك.
- أعلم. هل كل شيء على ما يرام؟
- أجل، شكراً.
- اذا احتجت لشيء ما (وبدا وكأنه نسي الاسم...) طوم سيؤمنه لك، فهو المسؤول هنا.
شكرته ليز مرة اخرى وغادر الرجلان الغرفة بعدما تمنى لها روبرت يوماً سعيداً.

مكث روبرت وقتاً طويلا في تيرجلين وبقيت الطوافة في انتظاره. أمضى معظم وقته مع طوم في المكتبة يتناقشان أمور المنزل. سمعت ليز رنين الهاتف مرات عدة وكانت المكالمات كلها لروبرت. فأمامها أسبوع آخر من الراحة قبل عودة باري من عطلته ولن تخشى خلاله رنين الهاتف أو قرع الباب.

جلست في المطبخ تحضر غداءها عندما سمعت المحرك، فهرعت الى المدخل الرئيسي ترقب الطوافة تستعد للاقلاع، بينما رافق طوم ضيفه عبر الحديقة الى باب الطائرة ثم عاد أدراجه بسرعة حين بدأت تعلو عن الأرض. لوحت ليز بيدها من غير ان تنتظر من رجل متباه مثله ان يبادلها بالمثل، لكنها كانت مسرورة لمغادرته المكان فقد ذكرها وجوده هنا بأن المنزل ليس ملكها. تقدمت لملاقاة طوم لتخبره عن حديثها الى السيد جيليان فقد يضحكه التباس الأمر عليها. لكنه واجهها بوجه مقطب وحاجبين معقودين. فاستفهمت بلهفة:
- اخبار سيئة؟
- كلا.
- طالت زيارته لنا.
- جاء مزوداً بتعليمات كثيرة.
واكبته الى المنزل تحاول مجاراته في خطواته السريعة الغاضبة وكأنه تأخر على موعد مهم. حاولت التخفيف عنه مازحة:
- أرجو ألا يكون قد طلب منك حفر حوض للسباحة.
أجاب طوم باقتضاب:

ـ كلا لم يكن هذا مطلبهم.

وامسك بذراعها وكأنه يهم بقول شيء لكنه لم يفعل بل وقف مطرقاً برأسه لا يتفوه بكلمة. اعتادت ليز ان تستند الى ذراعه عند قيامها بالنزهة وتخطيهما ممرات وعرة. أما الآن فالأمر يختلف، فملامسة أصابعه لذراعها تتسم بنعومة لم تحسها من قبل.

وجودها قربه جاء نتيجة صدفة، والآن بدأت تعتاد مؤانسته لها، وترتاح الى التحدث اليه وسماع ضحكاته الرنانة. اعتبرته أخاً لها لكن احتكاك يده بذراعها الآن أثار شعوراً غريباً فيها، فتخدرت شفتيها وكأن لسانها التصق بحلقها. لم تدعه يلاحظ انفعالها، فراحت تكلمه عن روبرت وتتظاهر بعدم الاكتراث ليده.

ـ لا أظن أن الفرصة قد سنحت لزائرنا المسكين للصعود ورؤية الغرف الجاهزة، فلو فعل لأبدى رأيه امامي.

ـ هذا ليس من اختصاصه. تلقينا مكالمة أثناء وجودنا في المكتبة.

تغيرت سحنة ليز فجأة:

ـ سمعت الهاتف يرن وأين الغرابة في ذلك؟

ـ كان المتكلم صديقك مايسون.

علمت منذ وصولها الى تيرجلين ان باري سيسبب لها متاعب جمة، فسكتت عن الكلام. ضحك طوم ضحكة عالية وأحست للمرة الأولى انه يزعجها، فقطبت جبينها وأشاحت بنظرها الى البعيد، تلعن في نفسها باري وسوء حظها.

ـ أما زال في اسبانيا؟

ـ لا أعلم. اتصل منذ قليل وتحدث الى جيليان.

جحظت عيناها وصاحت:

ـ هل أخبره أني هنا؟

ـ أجل. ألم تريدي التكلم معه؟

ـ لا. ليس في حضرة السيد جيليان. يا لحظي العاثر، كنت أظنه لن يكتشف مكاني حتى الاسبوع المقبل.

وصلا الى الباب وقبل ان يدخلا سألها طوم:

ـ ان كنت متأكدة من وجوده في اسبانيا فهذا يعني انك بأمان الى حين

عودته. هل تتهربين من مواجهته؟
- أجل.
- لماذا؟
استدارت تواجهه بعينين أذبلهما الأسى:
- اريد وضع حد...
- وضع حد لماذا؟ لعلاقة، لزواج؟
- لعلاقة غير متكافئة.
- وهو يرفض، أليس كذلك؟
جاهدت حتى لفظت بضع كلمات:
- انه لا يحبني وأعتقد ان تصرفي معه أثار غضبه فطلب الانتقام.
- أتظنين انه قادر على الحاق الأذى بك؟
سؤاله جعلها تحس باهتمامه بها، فعيناه تلمعان ببريق غريب نفذ الى اعماقها. انه مستعد لنجدتها، فتمنت لو تصارحه بخوفها فقد يتفهم السبب لكنها عاجلته:
- لا، ابداً.
- ماذا اذن؟
أجابت بنبرة تعيسة:
- ستحدث مشاجرة وأنا أكره المشاجرات ولا أحتمل الصراخ.
سألها طوم بذهول:
- أتخشين مواجهته خوفاً من صياحه؟
- أعلم اني أبدو جبانة وغبية، لكنني قادرة على اعطاء تفسير. انا لا أتحمل المشاجرة مع أحد وأكره العواصف الرعدية، انها مشكلتي الثانية، حملتها معي منذ الصغر. أفضل ان أجري مئات الأميال لأتجنّب أي نوع من المشاجرات. انه العائق الأهم أمام عودتي الى المنزل، لأني لن أتحمل بعد الآن صراخه في وجهي. اذا عاود الاتصال سأتكلم معه.
- تصرف طبيعي من شخص مثلك.
- لا أخالك فهمت ما أعنيه.
- كلا.
اذن، انه يعتبرها جبانة. لم تشأ يوماً ان تسيء الى أحد حتى ولو أساء

اليها، كما فعل باري ودوغلاس. فهي تحب الأصدقاء وتفعل المستحيل لتحمي علاقتها بهم. لكن جبنها يضيّع عليها الفرصة تلو الأخرى ويبدو ان طوم سيتخلى عنها للسبب نفسه.

سألته بصوت خافت:

ـ هل هنالك ما تخشاه؟

اقترب منها وجلس الى جانبها والابتسامة تعلو ثغره:

ـ على الأقل لا أهاب العواصف الرعدية او الصراخ في وجهي.

لم تستطع ليز منع ابتسامة خفيفة من الارتسام على شفتيها، فأكمل:

ـ ما رأيك بتناول العشاء في المدينة الليلة؟ يمكننا استعمال سيارتك أو دراجتي.

أوشكت ان توافق لولا فكرة طارئة خطرت ببالها:

ـ أتعلم ما بودي ان أفعله؟ تناول العشاء هنا في غرفة الطعام. الطاولة جاهزة، ما عليّ سوى تنظيفها من ملفاتي وأوراقي.

ـ ولم لا؟

ـ بعد رحيل السيد جيليان بحثت عن سبب ما يمنعني من امتلاك تيرجلين الى حين انتهائي من العمل فيه فلم أجده. وهذا يؤهلنا لاستعمال غرفة الطعام ساعة نشاء.

أمسك بيدها مربتاً عليها وكأنه يطمئن ولداً صغيراً.

ـ لا سبب يمنعك من ذلك. بامكانك التصرف بملء حريتك. تتناولين العشاء هنا، وترتاحين في المكتبة وحتى باستطاعتك النوم في الغرفة الرئيسية.

هزت رأسها ضاحكة:

ـ من الأفضل ألا أبالغ في أحلامي. حان وقت العمل الآن.

لم يطلق سراح يدها الا بعد ان ضغط عليها برقة أشعرتها بقشعريرة خفيفة سرت في عروقها فهرولت الى الداخل تتابع عملها.

شغلت نفسها في العمل حتى السادسة، اغتسلت بعدها ونزلت الى غرفة الطعام فرتبت الأوراق وجمعتها كلها في مكان واحد. نزعت الملاءة الكبيرة الموضوعة على الكراسي ومسحت الغبار عن كل منها وحملت اثنتين وضعتهما قرب الطاولة. سيتناولان العشاء للمرة الأولى في مكان لائق.

وقفت تتأمل الغرفة تفكر كيف ستبدو بعد انتهاء العمل فيها. ستعيد طلاء أحجار المدفأة وستعمل على تلميع اطار المرآة المعلقة فوقها. اما ورق الجدران القديم فستستبدله بورق أصفر تتخلله زهور رمادية وتغطي الأرض بسجادة باللون نفسه فتضفي على الغرفة مسحة من الدفء. في ذهنها تشكيلة رائعة من ستائر النوافذ تتناسب وفخامة الغرفة. لن تترك الجدران عارية بل ستختار بعض اللوحات الثمينة تعلقها هنا وهناك.

سمعت سعالا خفيفاً خلفها فاستدارت لتفاجأ بطوم واقفاً ازاء الباب:

- لا أرى مبرراً لاحداث تغيير في هذه الغرفة. انها تبدو بحالة جيدة.

أجابت بلهجة تجمع بين المزاح والجد:

- ها أنت تتدخل في شؤوني. هل سمعتني مرة أبدي أية ملاحظة حول عملك في الخارج؟

- أجل، فقد أبديت رأيك ببعض الزهور البرية.

- لكني لم أفرض قراراً معيناً بشأنها.

- حسناً، أنت على حق. سألقاك هنا بعد ساعة لتناول العشاء، فأنا لم أستعد بعد.

تساءلت بعيد انصرافه ان كان السيد جيليان قد أصدر أوامره الى طوم بالعمل ساعات اضافية في الحديقة، فهو لم يرتح طوال بعد الظهر. بينما ذلك الضيف الأنيق يقوم باعطاء التعليمات ويرحل تاركاً عبء العمل وألم التعب على طوم المسكين.

بامكانها تحضير الطعام في أقل من ساعة، فالعشاء سيكون خفيفاً كالعادة ويقتصر على بعض الاجبان والزيتون وقطع من اللحم الصغيرة مع البيض. صعدت الى غرفتها واستلقت على سريرها منهوكة للمرة الأولى منذ قدومها تحس بالعياء، فاتصال باري بها أفقدها حيويتها. ليتها قبلت دعوة طوم للعشاء في المدينة، فالطقس جيد يغري بالقيام بنزهة في السيارة، عدا عن وجود مطاعم عديدة لم تزرها من قبل. انها بحاجة الى الابتعاد عن جو العمل قليلا. جلست على حافة السرير تصفف شعرها، مستسلمة لنسيمات منعشة وجدت طريقها اليها عبر النافذة المفتوحة. أحست بالكسل وبرغبة جامحة للاستلقاء مجدداً والنوم. لكن طوم بانتظارها ولن تتخلف عن موعدها معه. فتحت الخزانة تبحث عما ترتديه متمنية لو كانت

تملك ثوبا حريريا، فكفاها لبس السراويل. لكن معظم ثيابها في شقتها لم تجلب معها سوى ما يريحها في العمل.

اختارت ثوباً أزرق اللون ثم ربطت شعرها ولفت حول عنقها وشاحاً صغيراً احمر اللون. تعلم انها لن تبدو فاتنة لكنها لاحظت تبدلاً ايجابياً في مظهرها. عليها ان تعجب طوم فهو الوحيد الذي سيشاركها العشاء هنا. انها تثير اعجابه فنظراته تدل على ذلك، ولهفته لحمايتها من باري أكدت لها ظنها. للمرة الأولى تحظى ببطل الى جانبها تستنجد به عند الحاجة، غير انها لا تدري ما ستكون ردة فعله ان هي صارحته بكل هذا.

فوجئت عند دخولها غرفة الطعام بطوم وقد هيأ الطاولة ووضع في وسطها باقة من الورد الأحمر، ووقف قرب النافذة مرتدياً قميصاً رمادياً وسروالا أسود. بدا انساناً آخر غير طوم العامل، جذاباً ومرتباً. هتفت مذهولة:

ـ كدت لا أعرفك.

ـ واجهتني المشكلة نفسها.

رمقته بنظرة ناعمة حملتها اعجاباً صادقاً وشعوراً بالطمأنينة والفرح. لم تتوقع ان يبدو كذلك عند اهتمامه بنفسه. اعتادت رؤيته بثياب العمل الفضفاضة الرثة، اما الآن فالوضع يختلف تماماً. شاب أنيق للغاية، قميص حريرية تبرز عضلات كتفيه وذراعيه يتنعل حذائين لماعين جديدين. لم تستغرب اعجابها به لدى رؤيتها اياه، فكل النساء متشابهات حين يصل الأمر الى الرجولة والأناقة. أدركت انها كانت محقة في كل ما كونته عنه. لم يعطها مجالا اكبر للتفكير بل علّق قائلا وهو يسحب لها الكرسي بلباقة:

ـ اكتشفت الليلة قاسماً مشتركاً آخر بيننا. ارتداءنا ملابس أنيقة للعشاء. انها عادة قديمة لكن جيلة.

جلست وعيناها معلقتان في باقة الورد أمامها تتساءل عن معنى وجودها الليلة بالذات.

ـ جيلة هذه الورود. هل قطفتها من الحديقة؟

ابتسم طوم هامساً:

ـ اجل. انها عادة قديمة أخرى تذكرتها الليلة.

ـ لا بأس، فكل ما في المنزل وحوله ملكنا. أليس هذا حلمنا؟
اتخذ العشاء طابعاً احتفالياً لكونهما جالسين في غرفة جديدة مرتبة، والى طاولة كبيرة لا تقارن بطاولة المطبخ. حتى الطعام العادي وجداه لذيذاً وشهياً. تكلما خلال العشاء عن أمور متنوعة أثبتت لليز سعة اطلاع طوم نظراً لكثرة البلدان التي زارها والتقاليد والعادات التي خبرها. مضى الوقت بسرعة، وما ان أنهيا احتساء القهوة حتى كانت الساعة قد شارفت العاشرة. لاحظ طوم تثاؤبها المتواصل فقام من مكانه يتظاهر بالنعاس. فسألته ليز قبل ان تصعد الى غرفتها:

ـ اتعتقد اني غبية لخوفي من صراخ باري ؟
ـ لا. لكن بامكانك الصراخ ايضا.

بودها ان تفعل ذلك لكنها غير قادرة. شيء ما في داخلها يمنعها ويخنق الكلمات في حلقها قبل ان تنطق بها. تناولت فنجان القهوة وجرعت كل ما فيه قائلة:

ـ لست قادرة على ذلك.
ـ هل صراخه في وجهك يوازي صراخ عمتك؟
ـ طبعاً لا.

ابتسمت لطريقتها العفوية بالاجابة وتبادلت وطوم نظرة تغني عن الكلام. انها تشعر بالأسف الآن على عمتها التي حرمت من الحنان والحب فلم تمنحهما لأحد.

ـ من حسن حظي اني لن أقابلها.

أدركت ليز ما يرمي اليه. يريد ان يتعرف الى عائلتها في حال وجودها. فهو لا يؤمن بأن علاقتهما ستنتهي بنهاية العمل في هذا المنزل القديم. شعرت بلهيب في أعماقها ينبئها باقتراب قلبها من دائرة الحب الخطرة.

ـ لا أريدك ان تقلقي بعد اليوم. ان عاود باري مايسون مضايقتك سأرميه خارجاً.

كانت تعلم انه لا يعني رميه جسدياً فباري لن يتكبد مشقة اللحاق بها الى هنا، فأجابت بامتنان:

ـ شكراً يا طوم، لكن لن تضطر الى فعل ذلك.

واستأذنت لتأوي الى سريرها بعد ان تبادلا ابتسامة رقيقة:

ـ طابت ليلتك.

نهض عن مقعده فظنته سيتبعها ويتمنى لها ليلة هانئة، لكنه اتجه نحو النافذة التي كان يقف قربها حين دخلت. هل سيقفلها ام سيخرج للتنزه في الحديقة قبل النوم؟ لم تنتظر لتعرف ما سيفعله بل صعدت الى غرفتها تدفن رأسها بين وسادتيها وتكتم هتافاً يتعالى بين ضلوعها. كانت تود ان يمسك يدها ويعانقها. أرادت ذلك بكل جوارحها. لكن الظروف غير طبيعية هنا ومن التهور استعجال الأمور، فقد يفلت زمامها منها بسهولة لا ينفع بعدها الندم.

٤ـ السقطة

كانت ليز منشغلة في نزع أوراق الجدران البالية في غرفة الاستقبال، حين سمعت صوت محرك سيارة. أطلت من النافذة فرأت جاغوار حمراء تشبه الى حد بعيد سيارة باري متوقفة أمام المدخل. لم ترد أن تصدق أنها سيارته، فليس الوحيد الذي يملك مثلها، فانكفأت الى الداخل تسترق النظر اليها لتتبين من سيترجل منها. شهقت بقوة واضعة يدها على فمها تمنع نفسها من الصياح. انه باري بشعره الأشقر وقامته الطويلة. توقعت أن يعاود الاتصال بها فاذا به يفاجئها بزيارة وقحة. لا شعورياً رمت ما بيدها وهرولت تبحث عن طوم. لكنها لا تعلم أين هو. قد يكون في الحديقة أو في المنزل وقررت عدم اضاعة وقتها في البحث عنه. عليها ان تسيطر على انفعالاتها وتواجه ذلك الوقح بنفسها. لن تخشاه بعد الآن ولن يقوى على تحطيمها مهما فعل، وجل ما يقدر عليه هو تذكيرها بالكابوس الذي عاشت فصوله معه وارجاع صدى صياحه المرعب. اذا حاول الصراخ الآن ستبتعد بكل هدوء وبرودة أعصاب تاركة طوم يتدبّر أمره كما وعدها ان يفعل. اتجهت الى المدخل بينما كان باري يصعد الدرجات المؤدية الى الشرفة بخفة وحماس وكأنه واثق من استقبال ليز الحار له. لمحها تقف ازاء الباب فتقدم منها وطوقها بذراعيه رافعاً اياها نحوه:

ـ مرحباً يا ليز. ما رأيك بهذه المفاجأة؟

ـ مفاجأة صاعقة. ظننتك في اسبانيا.

انزلها مبتسماً ابتسامته المعهودة:

ـ عدت البارحة. ما بك، الا تفرحك عودتي بهذه السرعة؟

ـ ولماذا تفرحني؟

لم تفارق الابتسامة فمه فأدركت ما يخفيه. انه يبدو كدوغلاس صاحب الكابوس الآخر في حياتها، يتعمّد الابتسام بينما يتهيأ لتوجيه سهامه السامة.

ـ أريد الاعتذار عما قلته في لقائنا الأخير، فقد كنت مرهقاً للغاية وأظن أن العطلة أعادت اليّ صوابي وأراحتني.

ـ ولماذا عدت. لماذا لم تمضها كلها هناك؟

لم يرقه كلامها لكنه آثر التغاضي عما قصدته:

ـ فات الأوان على مناقشة ذلك الآن، فقد عدت وبما أنها عطلة الأسبوع ارتأيت القدوم الى هنا للاطمئنان عليك.

ـ كيف علمت بوجودي هنا؟

ـ لم أجدك في المنزل، فرحت أسأل عنك. يظنك الآخرون معي، لذا وجدت صعوبة في اكتشاف مكانك. وعندما اتصلت بك أخبرني أحدهم أنك تعملين هنا ولكن يتعذر عليه ايجادك، هل كنت في غرفتك أم أنهم يمنعون المكالمات الهاتفية اثناء العمل؟

اجابت ليز بحنق:

ـ كنت أعمل.

أحس باري بفتور استقبالها له لكنه لم يعر ذلك اهتماماً بل تصرف وكأن الأمور عادت الى طبيعتها بعد الشرح الذي قدمه لها. راح يتكلم عن المنزل محدقاً في النوافذ المقفلة وفي الشرفة الخالية:

ـ يا له من مكان موحش. الطريق اليه سيئة للغاية.

ردت بجفاء لا يخلو من التشاوف:

ـ أنهم يأتون الى هنا جواً. البارحة حطت طوافة في تلك البقعة، والرجل الذي كلمك أتى على متنها.

ـ حقاً. أهذه هي طريقتهم في العمل؟

ـ اعتقد ذلك، فعند توافر المال يسهل الحصول على أي شيء.

ـ لا أظنك تعيشين بمفردك هنا.

ـ كلا.

أحست بارتباك فجأة فتصنعت التفتيش عن قفازيها لتتهرب من

استفساره عمن يشاركها السكن في تيرجلين. لن تقحم طوم في الأمر ما دامت قادرة حتى الآن على الاحتمال.
اخذت نفساً عميقاً وقالت:
ـ لا أدري سبب مجيئك، ففي آخر لقاء لنا قلت أن لا أمل في استمرار علاقتنا وكنت على حق في ذلك.
لم يتوقع باري ان تواجهه بهذه العداوة، بل ما برح يعتقد أنها ملك يده ورهن اشارته. ظن انها ستوافيه الى المطار ليستقلا الطائرة معاً، ولما خاب ظنه سافر وحيداً، رفيقاه الغضب والحسرة. اكتشف في اسبانيا هيامه الشديد بها. انها فتاة ناعمة ومثال الزوجة السموحة التي يحلم بها كل رجل. قطع اجازته معتذراً من صديقيه ليعود اليها وينسيها ما حصل. لم يطلعهما على حقيقة ما حصل، لكنهما لاحظا أن الأمر يتعدى المشاجرة العادية لاصراره على العودة مهما كلف الأمر. انهما يحبان ليز ويجلانها ككل الذين عرفوها لطيبتها ولروحها المرحة. ولاحظ الجميع تأثير غيابها على باري. من عادته ان يكون نجم الحفلات ومحور معظم الاحاديث أما هذه المرة فكان مملا، شارد الذهن سكوتاً.
في طريقه عائداً من اسبانيا، توقع ان تكون في منزلها تنتظر قرب النافذة، أو في مكتبها لا تفارق الهاتف. اعتقد أنها شعرت بغلطتها أثناء المشاجرة ولامت نفسها على امتناعها عن مساعدته. اما الآن فهو نادم على ما حصل ومستعد للاعتذار وطلب الصفح منها. عندما علم أنها تعمل هنا، أيقن أنها بدأت باكراً أملاً في مساعدته والحصول على القرض.
ـ ما الأمر يا حبيبتي؟ لا أخالك تعنين ما قلت.
ـ بل أعني كل حرف منه.
لم يصدق باري اذنيه فقال بلهجة تقرب التوسل:
ـ أتريدين التخلي عني لأني أعاني متاعب في عملي؟
ـ لا ليس هذا السبب.
ـ عما قريب ستنتظم وتعود الأمور الى مجراها الطبيعي. خرجت عن طوري يومها وأنا آسف. ماذا أقول أكثر من ذلك؟
بدا كالطفل في توسله وقد زالت عنه مظاهر التعجرف والتسلط. لم تره أبداً في هذه الحالة، فاحتارت في أمرها ورق قلبها:

ـ لا يهمني ما سبق وقلته. كل ما في الأمر أني أفضل الابتعاد عن بعضنا لفترة. سأمضي شهوراً عدة هنا وهذا سيتيح لنا الفرصة للتفكير بالأمر ملياً.

لم ييأس من صدها له فحاول مرة أخرى ان يستميلها متصنعاً النعومة:

ـ هل نسيت اتفاقنا على الاحتفال بزفافنا في اسبانيا؟

أجابت ليز والغصة تكاد تخنقها بعدما تذكرت حلمها الضائع:

ـ لم يعد لي علاقة بالماضي.

لم يقو باري على تحمل المزيد فجحظت عيناه وبانت عروق عنقه بوضوح:

ـ ما معنى كلامك هذا؟ أترفضين عرضي؟

انها لا ترفض عرضه فحسب بل ترفضه هو كانسان دمر ماضيها ويحاول من جديد تقويض حاضرها.

ـ انك لا تنوي الزواج مني، فأنت تريدني فقط لخدمة مؤسستك ولاستثمار...

لم يدعها تكمل عبارتها فقاطعها باستهزاء متعمد:

ـ يبدو ان مهمتك الجديدة زادتك غروراً فلم يعد حبيبك باري يليق بك.

أدركت ليز أن الأمر يتطور بسرعة وقد يتفاقم بين لحظة واخرى، فباري يكاد يخرج عن طوره. لن تحاول أن تشرح له اكثر من ذلك. تريده أن يفهم أن زمن تلاعبه بحياتها وتسلطه عليها قد ولى الى غير رجعة. انها مستعدة لمساعدته لكنها لم تعد تملك سبباً يجعله يتعلق بها فقد نفد ما لديها من مال. رجته قائلة ترقب عينيه تقدحان شرراً:

ـ أرجوك يا باري ارحل من هنا.

تقدم باري منها وكأنه لم يسمع ما قالته واستحال على ليز معرفة الغرض من اقترابه. هل سيحاول احتضانها أم أنه فقد رشده من جديد؟ تراجعت بهدوء الى أن أصبحت على حافة السلالم فلمحت طوم مهرولاً ناحيتها. هرعت تنزل الدرجات بسرعة لملاقاته متصنعة الهدوء واللامبالاة:

ـ تعال أعرفك الى باري، كان ماراً صدفة بالقرب من هنا فأحب القاء التحية وسيرحل بعد ذلك مباشرة. أليس كذلك يا باري؟

وما ان انهت جملتها حتى زلت بها قدمها وهوت تتدحرج لتنتهي ممددة على ظهرها في أسفل السلالم. أدركها طوم أولاً فجثا قربها وطوقها بذراعه يسألها بلهفة وقلق:

- هل أنت بخير؟

تحسست ليز بهلع يديها ورجليها تتأكد من سلامتها وأجابت متلعثمة:

- لا أظن ان هناك كسوراً.

وتلاقت عيونهما في نظرة بريئة انست ليز لثوان ما يحيط بها، فأسندت رأسها الى ذراعه براحة وانسجام تنعم بدفء صدره وتتأمل لمارات الفرح البادية على وجهه لخروجها سليمة من تلك السقطة الفاجعة.

لم يرض باري بما أصابه من اهمال فوقف خلفهما موجهاً كلامه الى طوم:

- من أنت؟

حمل طوم ليز بين ذراعيه وأجلسها على كرسي قريب ثم استدار ناحية باري يسأل بدوره:

- مليسون، أليس كذلك؟

- هذا أنا ومن تكون؟

تجاهل طوم سؤاله مرة اخرى ونظر الى ليز مستفهماً:

- هل انتهت محادثتكما؟

- اجل.

التفت الى باري قائلاً بنبرة هادئة لكن حازمة، أرفقها بنظرة توعد وتهديد ارتعشت لها ليز:

- اذن، لا مبرر لبقائك هنا.

نظرت ليز الى الرجلين الواقفين امامها تتوقع عراكاً لا تحمد عقباه. كان باري الضخم جثة من طوم والطول قامة ومع ذلك بدا كالصعلوك امامه يحدق في الأرض من غير كلام، ثم ابتعد بخطوات ضائعة مترددة يرافقه طوم. وصلا الى وسط الحديقة حيث دار بينهما حديث لم يصل الى مسمعي ليز بل رأت باري يحرك شفتيه بعصبية قبل صعوده الى السيارة، والابتعاد بها نحو الطريق العام. حاولت النهوض فأحست بعياء شديد فلازمت مكانها الى أن عاد طوم، فبادرته قائلة:

- شكراً على المساعدة.

ـ لا شكر على واجب، هل أنت حقاً على ما يرام؟

ارتطمت اثناء سقوطها بحافة احدى الدرجات فاصيبت بخدوش مؤلمة في كتفها:

ـ خدوش بسيطة لا تستحق الذكر. اشدت بتعاوني في الايام الماضية، فما رأيك بهذه السقطة المفاجئة؟

ابتسم بلطف ومسد رأسها بحنان:

ـ لا بأس. ماذا قال لك باري؟

بادلته الابتسامة بأحلى منها متمنية لو يطوقها مرة أخرى بذراعيه، لكنه جلس على احدى الدرجات مستنداً الى السور الخشبي.

ـ جاء يعتذر عما بدر منه قبل سفره.

ـ وماذا قلت له؟

ـ طلبت منه مغادرة المكان. . . لم أتوقع أبداً قدومه الى هنا. وأنت ماذا فعلت حتى انصرف بتلك السرعة؟

ـ مثلك تماماً، طلبت منه الانصراف.

ـ هل ينصاع الناس عادة لأوامرك بهذه السهولة؟

ـ أجل.

فوجئت بثقته الكبيرة بنفسه. ظنت أنه سيقول احياناً، ولم تتوقع جواباً بهذه الجدية. أحست انها تلقاه للمرة الاولى، فتعابير وجهه مختلفة تجمع بين الود والقساوة.

ـ سررت كثيراً لوجودك هنا عند مجيئه.

ـ هذا دليل آخر على نجاح شراكتنا.

هتفت ليز موافقة:

ـ انها حقاً رائعة!

شعرت بألم في رأسها فتحسسته باناملها لتكشف تورماً صغيراً في المؤخرة.

ـ من حسن حظك انك لم تكسري رجلك. سأهتم بأمر هذه الدرجات حتى لا تجرؤ على أذيتك ثانية.

نظرت الى رجليها السليمتين، فقد حماهما سروالها الواسع وقماشه المتين. لاحظت انها اضاعت فردة حذائها فحاولت النهوض للبحث عنها:

ـ علي أن أعود الى العمل.
ـ ليس الآن.
رأت حذاءها على السور الخشبي في أسفل السلالم. لم تقو على النهوض، فما زالت ترتعش. تحتاج الى فترة راحة لتستعيد هدوءها وتعاود استعمال يديها ورأسها. نصحها طوم قائلا:
ـ استندي الى حافة الكرسي وسأحضر لك الشاي لنشربه على الشرفة.
أوشكت ان تطلب دواء مهدئاً خوفاً من تحول اصابة الرأس الى صداع. لكن الألم ما زال خفيفاً ويمكنها احتماله فآثرت اللجوء الى الحبوب في حال اشتداد الوجع. اكتفت بالقول:
ـ شكراً لك.
ساعدها على النهوض بعدما جلب فردة حذائها فاتكأت على كتفه تنتعلها، ثم خرجا سوياً الى الشرفة حيث جلست قرب السور تنتظر فنجان الشاي. أعجبها تصرفه عند سقوطها، فقد أظهر لهفة عليها وأحست للمرة الاولى بأن هناك شخصاً يعتني بها ويحيطها بهذا القدر من الاهتمام. لم يسبق أن أثارت لمسة انسان لها هذا القدر من الاحاسيس كما فعلت ذراع طوم وهي تطوق خصرها.
شربا الشاي صامتين، يكتفيان بتبادل نظرات تغني عن الآف الكلمات. تجنبا التحدث عن باري الى أن قالت ليز مازحة:
ـ كان من الواجب أن أقدم له فنجاناً من الشاي بعد الرحلة الطويلة التي قام بها.
ـ لم يقل انه عطشان، فلا بأس اذن، اتساءل من سيكون ضيفنا التالي. البارحة جاءنا السيد جيليان واليوم باري. أنا من الذين يؤمنون بأن الثالثة ثابتة. لكن الأمر لن يتوقف هذه المرة على هذا الرقم. ليتهم يتأخرون في المجيء.
سرت ليز من عبارته الأخيرة فكلاهما لا يحبذ قدوم بولا وحاشيتها الى تيرجلين انه يفضل مثلها ابقاء الأمور على ما هي عليه، وحدهما في هذا المنزل الشاعري. وضعت فنجانها الفارغ على الطاولة قائلة:
ـ اشعر بتحسن كبير، سأعاود العمل.
ـ أين تعملين الآن؟

اشارت بيدها نحو غرفة الاستقبال:
ـ في تلك الغرفة..
كانت ليز قد أنهت نزع أوراق الجدران وجهزت السلم لتبدأ العمل في السقف حيث تزداد ازالة الاوراق صعوبة وخطراً. نظر طوم الى السقف متمتماً:
ـ لا أخالك ستقومين بهذا العمل اليوم.
ـ أنا بخير الآن ومن يعلم كيف ساكون غداً؟ تأثير الكدمات والخدوش يظهر عادة بعد فترة. أليس كذلك؟
ـ أحياناً.
ـ لن أجازف، عليّ أن أتقيد ببرنامج العمل.
لاحظت ابتسامته وكأنه يسخر من حماسها على العمل وتفانيها في اتمامه قبل مجيء صاحبيه، فهتفت بغضب:
ـ ارجوك، لا تهزأ مني.
ـ حسناً. صندوق الاسعافات الاولية معلق في غرفة الاستحمام التي أشغلها. دعيني أضمد كتفك الآن.
شعرت بالاحراج عندما فكرت في أنها ستخلع قميصها امامه. سيرى كم هي نحيفة وستصدمه عظامها النافرة. لكن كيف ستشرح له سبب تمنعها عن فعل ذلك؟ سيظنها متخلفة رجعية وخجولة.
ـ لا أريد أن أسبب لك مزيداً من الازعاج فأنت أيضاً عليك القيام بعملك.
ـ اتعتقدين أني افضل القيام بالعمل على الاهتمام بك؟ سآتي بالدواء حالاً.
تحسست من جديد كتفها فشعرت بألم رهيب. لن تقسو على نفسها في العمل هذين اليومين. بامكانها تأجيل السقف وستكتفي بتحضير الطلاء ومزج الالوان. كانت حقاً محظوظة، فلم تكسر رجلها أو كاحلها، ولم تسبب لها السقطة شللاً جزئياً أو كاملاً. اعتادت النزول والصعود على هذه الدرجات عشرات المرات يومياً وباتت تعرف الخطرة منها لكن اليوم كانت على عجلة من أمرها لتتجنب عاقبة اسوأ من هذه بكثير. عاد طوم يحمل أنبوباً صغيراً يحوي سائلاً يخفف من آلام العضلات ويزيل تشنجها فقرأ

طريقة استعماله معدداً منافعه على مسمعيها وسألها:

- ما رأيك بهذا الدواء؟ انه خاص بالذين ينزلون السلالم رأساً على عقب.

- انها عادة أحاول الاقلاع عنها.

تناولت الدواء وصعدت الى غرفتها فدهنت به مواضع الألم لكنها لم تستطع تمسيد كتفها، وأحست باشتعال مزعج وكأن جلدها يحترق. انه تأثير الدواء واختزانه وهج الصدمة. ثم ارتدت ثيابها من جديد ونزلت لتلقى طوم على الشرفة منهمكاً في ازالة الطحالب من بين الشقوق.

- لم يبق موضع ألم إلاّ وطاله دولؤك، لكن عليّ أن أعمل والنوافذ مفتوحة.

وضع طوم المسطار من يده مؤنباً:

- لم تنظفي كتفك كما يجب، فبعض حبيبات الرمل ما تزال عالقة عليه.

- حقاً؟ لا يمكنني رؤيتها.

- سأغسلها لك.

لم يمهلها للاعتراض أو التمنع، بل أمسكها بيدها يدخلها المطبخ غير آبه لما تقوله:

- سأتدبر الأمر أمام المرآة.

لم يجب بل أمسك بقطعة من القطن بللها في وعاء يحوي ماء ساخناً وضع فيه قليلاً من المطهر. أمسك ذراعها بنعومة وراح يمسح الخدوش عن كتفها بحذر. أحست بألم هائل فور ملامسة المطهر مكان الجرح فادمعت عيناها واحتقن وجهها. لم يطمئن طوم الى تنظيف الجرح إلاّ بعد أن احمرّ كتفها حتى كاد يبان اللحم فوضع قطعة نظيفة فوقه وثبتها بضمادة ثم أحاطها بذراعه هامساً:

- لا تبكي.

لا تذكر أحداً قبل الآن طوقها بذراعه طالباً منها الكف عن البكاء ولا حتى عند وفاة والديها. رمشت بعينيها المغرورقتين وأجابت:

- اني لا أبكي، انما الألم رهيب.

- هلا أديت لي خدمة.

- بكل سرور.

ـ اخلدي للراحة اليوم. لا أريدك أن تقومي بأي مجهود حتى صباح الغد. أرجوك.

انها نهاية الاسبوع والطقس مغر، فاقتنعت ليز بنيل قسط من الراحة تمضيه في الهواء الطلق قريبة منه. ربما أوقف العمل بدوره وشاركها العطلة فيذهبان الى الشاطىء على بعد ميلين من هنا.

ـ لم يسبق أن طلب أحد مني التوقف عن العمل.

ـ انك بحاجة الى من يعتني بك.

ومد يده تاركاً أنامله تعبث بشعرها بحرية ودلال فأحستها تطال أعماقها.

ـ أريد أن أكلمك بخصوص شراكتنا.

سألت ليز بلهفة:

ـ ما بها؟

راحت أصابعه تطوق عنقها برقة متناهية فأبعدت رأسها فجأة وكأن أفعى لسعتها، فسحب يده موضحاً:

ـ سأتكلم عنها لاحقاً، عندما يخف التورم من رأسك، لأني بغنى عن أي التباس.

ـ لم أفهم قصدك.

تساءلت ان كان يعني طريقة عملهما معاً. لا بدّ وأنه يرمي الى أبعد من ذلك، الى اشياء شخصية لا علاقة لها بالعمل. فحاولت استدراجه للكلام:

ـ سبق وقلت انك تصلح لأن تكون اخاً طيباً.

أمسك ذقنها بأصابعه مثبتاً عينيه الداكنتين في عينيها:

ـ أنا لا أصلح لأي شيء. لا أخال الأمر قد ألتبس عليك الى هذا الحد، فأنت لا تنظرين الي كأخ كما أنيّ لا أعتبرك اختاً لي.

اغمضت ليز عينيها وتمتمت:

ـ لا أدري ماذا أريد بعد الآن.

وبحركة مفاجئة التصق بها يحتويها بين ذراعيه وعانقها عناقاً رشيقاً ناعماً. انتهى الأمر في لحظات وكأنها حلم قصير وانتهى. فاستندت الى سور الشرفة تلتقط أنفاسها مستسلمة الى النار المتأججة في داخلها، الى العاصفة

التي ظنتها قد هدأت الى الابد.
نظر طوم الى الدرجات المؤدية الى المدخل معلقاً باضطراب:
- عليّ أن أنزع هذه الحشائش قبل أن تزحف الى الداخل.
أجابته بنبرة طبيعية اثارت دهشتها:
- هناك دواء خاص مضاد للطحالب في غرفة الاستحمام.
ذهب طوم ليبحث عن الدواء بينما نهضت ليز لتجلس على كرسي هزاز في ظل شجرة السرو القريبة من الشرفة، تحمي نفسها من أشعة الشمس الحارقة. لا تدري سبب ارتعاشها.
أمور كثيرة ما تزال تجهلها عن طوم، انه مجموعة ألغاز ما ان تحل واحداً حتى تصطدم بآخر. أحياناً كثيرة يستحيل عليها النفاذ الى فكره أو سبر غوره، ليواجهها حاجز لا تدرك كنهه. في عينيه براءة الطفولة وبريق الاجرام في آن معاً. ملامح وجهه تجمع بين القساوة والرقة. انه خطير وخطره كامن في تأثيره عليها وسرعة تعلقها به...
اشتد وهج الشمس فارتأت الدخول خوفاً من أن تصاب بوعكة اخرى، وأوشكت على النهوض حين سمعت وقع خطوات طوم على الشرفة فنظرت اليه مبتسمة.
- أراك شاحبة الوجه. هل تشعرين بألم؟
- لا أبداً. ربما أشعة الشمس أثرت فيّ قليلاً.
لم تعد تخشاه كما أحست في بادىء الأمر، فشعورها نحوه أضحى بعيداً كل البعد عن الخوف والريبة. قالت مازحة:
- شعرت أني طرت الى وسط قرص الشمس، أراقص ألسنة اللهب.
ابتسم طوم مصفقاً بيديه:
- خيالك الخصيب يثير قلقي. أظن أن عليك الاستلقاء لفترة.
- اني على ما يرام، انه ارتعاش بسيط وسيزول. لكني سأنفذ أوامرك وأتمدّد لساعة شرط أن تعدني بالقيام بنزهة الى البحر بعد ذلك.
- موافق.
صعدت الى غرفتها حيث خلعت ثيابها وتمدّدت على السرير محدقة في السقف. الحب يغزو قلبها من جديد، بقوة وجنون لم تتوقعهما. ظنت قلبها قد أقفل نهائياً في وجه الحب بعد تخلّي باري ودوغلاس عنها، لكنها تحسه

الآن خافقاً مهللاً للزائر الجديد. للمرة الأولى تشعر بالقلق حيال ذلك، فالهيام بطوم مجازفة لم تعرفها مع غيره من قبل. كيف تحب انساناً لا تعرفه ولا تدري حتى حقيقة شعوره نحوها. كل ما في الأمر انه عانقها فحول حاضرها الى نعيم، وانه سيحدثها عن شراكتهما فأملت خيراً بالمستقبل.

اغمضت عينيها تفكر بالنزهة الى الشاطىء وتخيّلت نفسها جالسة قربه في مكان منعزل لا رقيب عليهما سوى طيور البحر تطير حولهما، والأمواج تداعب الحصى المنثورة عند أقدامهما. فجأة تبدل لون السماء وتلبد وجه الأديم بسحابات سوداء قاتمة فوجدت نفسها وحيدة في قبضة عواصف رعدية قوية أحاطت بها من كل جهة، وراحت تقترب منها رويداً رويداً بصوتها الهادر وبريقها الخاطف. بحثت عن طوم فلم تجده، حتى طيور البحر هجرتها وصمت موج البحر...

أفاقت من حلمها مذعورة واختلط دوي العواصف بصراخها. تطلعت عبر النافذة فاطمأنت بعدما تأكدت في صفاء السماء. انه مجرد حلم كريه ناتج عن ألمها وتعبها...

تهادى الى مسمعيها رنين الهاتف فجمدت مكانها تتأكد من حقيقة ما تسمع، ثم ارتدت ثوب الاستحمام بسرعة، فالرنين لم يتوقف وهرولت الى الأسفل. مضت دقائق طويلة قبل ان تدرك الهاتف، فرفعت السماعة وفي نيتها الاعتذار عن التأخير:

ـ الو، هنا منزل...

قاطعها باري ببرودة:

ـ لا داعي للشرح.

نسيت الاعتذار عن تأخرها وسألته بهلع:

ـ أين انت؟

ـ لا تقلقي أنا في طريقي الى شقتي. توقفت لتناول الطعام فأحببت مكالمتك.

لاحظت تلعثمه فهذه عادته عندما يغضب بشدة أو ينفعل.

ـ انتبه اثناء القيادة وتجنب التفكير بما حصل هنا.

أجابها بسخرية جلية:

ـ يا لك من انسانة حنونة، الى هذا الحد يهمك أمري؟ ما رأيك لو

أصدم بسيارتي أول شجرة أصادفها في طريقي؟

تذكرت مقتل والديها في حادث مماثل، فهتفت:

- أرجوك يا باري، لا تقل هذا.

- كيف طاوعك قلبك وفعلت كل هذا بي، كيف؟ ما الذي جعله يدافع عنك بهذه الطريقة؟

- ماذا تعني؟

- أعني حقيقة علاقتك بهذا المليونير اللعين.

- ماذا؟

عقدت الدهشة لسانها وخانتها الكلمات بينما تابع باري:

- لم أعرفه في البدء، فأنا لم أعهده بثياب العمل، ومن يتوقع رؤية جايمس فنتون في لباس عامل بسيط؟ لكن عند بلوغنا السيارة أدركت الحقيقة، خاصة بعدما قال: لا يمكنني منعك من مكالمتها أو مراسلتها لكن أبق بعيداً عن أملاكي. فقلت له انك فنتون أليس كذلك فهز برأسه ايجاباً.

لم تنبس ليز ببنت شفة، تضغط السماعة على اذنها مصعوقة، ضائعة لا تقوى على منع باري من الاسترسال في كلامه:

- نصبتها لي فخاً محكماً، وكنت كالمغفل بينكما. أنت التي وضعت الخطة، أنت الماكرة. يا الهي أنا لا أصدق. كنت طوال هذه المدة تخونينني، لكننا سنلتقي يوماً يا ليز وستكتشفين مصير من يخون باري مايسون.

لم تعد تسمع غير رنين متقطع، فقد أقفل باري السماعة تاركاً أياها في بحر من التساؤلات. ارتمت على مقعد قريب تحدّق في الهاتف، تساءلت عن صحة ما سمعته وحاولت اقناع نفسها بأن باري كاذب، وأن طوم استعمل تلك العبارات لابعاده نهائياً عن تيرجلين وعنها. لكن باري يعرف جايمس فنتون فقد التقيا مراراً، كما أن طوم لم يذكر لها شيئاً عن شدة الشبه بينه وبين فنتون. اختلطت الظنون في رأسها لا تدري من تصدق. ان كان هذا الرجل فنتون فأين طوم ريدينغ الذي كلمتها عنه ماري، وما السر في كل هذا؟ ستبحث عن الحقيقة بنفسها، فقامت الى المكتب الخشبي وفتحت الجرار تبحث عن دليل يرشدها الى الحلقة المفقودة. انه المكتب الذي يمضي فيه طوم معظم أوقات فراغه، فلا بد من وجود بعض الأوراق أو المستندات التي من شأنها اثبات هويته الحقيقية. خلال زيارته

لتيرجلين وصف روبرت جيليان طوم بالمسؤول عن المكان، وأمضى الاثنان في هذه الغرفة وقتاً طويلاً. دققت في كل درج على حدة فلم تجد شيئاً يتعلق بالحدائق ولا حتى بالمصاريف أو الأجر. لكنها وقعت على أوراق ورسائل تحمل حرفي ج. ف من غير أن تعثر على قصاصة ولو صغيرة تتعلق بطوم. كل الدلائل تشير الى أن جايمس فنتون يشغل هذا المكتب. راحت تستعيد صوراً من الماضي القريب، من اليوم الأول لوصولها. تذكرت طريقته في أكل التفاح. أي بستاني يتخلص من قشرة تفاحة قبل أكلها؟ تذكرت يديه الناعمتين وهو يقشرها مستعملاً ذلك السكين الصغير، لم تشبها يدي بستاني يمضي معظم نهاره في تشذيب الاشجار والازهار وريها. أدركت الآن سبب بريق عينيه الغريب واكتشفت لتوها سرّ ذلك الحاجز القائم بينهما. انه الشعور بالسلطة والثقة الفائقة كونه مليونيراً ولم يتخط بعد الثلاثين. لكن لماذا يدعو نفسه طوم ريدينغ؟ ماذا سيفعل بها؟ والسؤال الأكبر الآن هو كيف ستتصرّف بعد أن أكتشفت كل هذا؟

عادت الى غرفتها تعتزم اخبار ذلك الغريب الساكن معها بكل ما علمته منذ دقائق. لقد كشف هويته الحقيقية لباري مع علمه بأن الأخير لن يتوانى عن اطلاعها على ذلك عاجلاً أم آجلاً، فما الهدف من عمله هذا؟ سخر منها طوال الوقت وكان مستمتعاً بذلك. انه يهوى التلاعب بالآخرين شأن كل ثري يظن نفسه قادراً على أي شيء. ربما بولا أيضاً ضالعة في اللعبة... آلمها رأسها، فأقفلت الباب وجلست في سريرها تفكر في حظها العاثر. لا يجب ان تتسرع في انفعالها، عليها ان تتصرف بتعقل واتزان حتى تنجلي الأمور. ربما فكر طوم بمصارحتها واطلاعها على كل شيء حين أعلمها بعزمه على التحدث عن شراكتهما. قد يكون لاحظ جديتها في العمل وتفانيها في اتمامه، وأدرك ما تعلقه من آمال على مهمتها هذه.

سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها لم تتحرك عله يقلع عن محاولته ويتركها وشأنها. لكنه لم يتوقف عن قرع الباب فأجابت بصوت خافت متظاهرة بالنوم:

ـ تفضل.

فتح طوم الباب ووقف ازاءه يسألها:

ـ كيف حال المهندسة اللامعة؟

ـ بخير، شكراً.
ـ ما زلت شاحبة اللون.
اسندت رأسها الى حافة السرير وأجابت من غير ان تنظر اليه:
ـ لأني لم أتبرج بعد.
ـ هل أنت مستعدة للذهاب الى الشاطىء؟
لن تمانع في الذهاب لتستمع الى ما يريد قوله. ستطلب تفسيراً مقنعاً لانتحاله اسماً آخر.
ـ احتاج الى عشر دقائق لأكون جاهزة.
ـ حسناً سأنتظرك في الحديقة.
ارتدت ثياب البارحة وعقدت منديلاً أحمر حول عنقها، ثم طلت وجهها ببعض المساحيق، فأحست بالانتعاش. ثم نزلت لتجده في انتظارها قرب الباب بعدما أحضر سيارتها معه من الكاراج وأوقفها أمام المدخل. فتح لها باب السيارة باحترام والفة ثم جلس في مقعده وراء المقود. لم تكن قادرة على القيادة، فنهارها حفل بالمفاجآت ومن الأفضل ان تكون أعصابها هادئة حين تصل الى الشاطىء لتسمع ما سيقوله. أدارت وجهها ناحية النافذة تتظاهر بالنظر الى الخارج بينما كانت في قرارة نفسها تفكر فيه، تتساءل ان كان حقاً يملك دراجة هوائية أم انه يخفي سيارته الفاخرة في ذلك الكاراج المغلق. شعرت بنظراته تغلفها بين الحين والآخر وكأنه ينتظر منها كلاماً ما. لكنها لم تحرك ساكناً خوفاً من أن تفضحها كلماتها.
أوقف طوم السيارة قريباً من الشاطىء ونظر اليها بخبث يسألها:
ـ استيقظت في الوقت المناسب.
كان يعلم انها لم تكن نائمة لكنها لم تعلّق على كلامه، بل نظرت الى ما حولها تتفحص المكان. انه مطابق لما رأته في حلمها قبل ان يرن الهاتف وتتلقى تلك المخابرة التي أفسدت كل شيء. وحدهما كما في الحلم تماماً، يمتلكان هذه البقعة الخلابة بسمائها الصافية وشمسها المقبلة على المغيب. ليتها لم تدرك الحقيقة ولم تعرف ماذا يحيك لها. مد طوم يده يساعدها على الترجل فقبلتها شاكرة، وبدأت نزهتهما على الرمل الدافىء تحت أعين طيور البحر ووصلا قرب صخرة ضخمة، رسمت ظلا كبيراً حولها

وافترشا الرمال.
ـ والآن لنبدأ حديثنا المنتظر.
نظرت اليه مستفهمة:
ـ عن شراكتنا، أليس كذلك؟
حدّق الى البساط الازرق الممتد أمامه يراقب مركباً شراعياً صغيراً، ومضت ثوان طويلة قبل ان يجيب:
ـ لم أفكر بالكلام عن العمل.
ادركت قصده فتوردت وجنتاها، فهي تعلم ان ما سيقوله يتعلق بها وبعلاقتها. كيف يمكن لرجل مثله ان يفكر بالاهتمام بفتاة مثلها؟ انه حظها العاثر ما برح يلاحقها ويرمي العراقيل في طريقها. لماذا هي بالذات؟ وماذا ستظن بولا كافيل حين تعلم بالأمر وتكتشف علاقة رجلها بموظفة لديها؟ قد تطردها من العمل ويتبدّد حلمها بالشهرة والثروة. أو تتمادى في غيرتها فترسل من يقتلها أو يشوه وجهها. ستكون الخاسر الأكبر في كل ذلك، وستنتهي تجربتها الثالثة مع الحب كما انتهت تجربتاها السابقتان، الى الالم والدموع. رمقته بنظرة باردة قائلة بجفاء:
ـ ماذا تقترح اذن؟... علاقة غرامية؟
رفع حاجبيه بزهو وأجاب:
ـ الا توافقين؟
أحست انه يتعمد الهزء بها، فهو يظنها بلهاء وربما كان على حق في ظنه هذا.
نهضت كمن مسه تيار كهربائي وصاحت:
ـ لا شكراً. أعلم أنك لا تواجه مثل هذا الرفض مع صديقاتك ولكن الأمر يختلف معي، فهو معقد للغاية ولا أظن...
أوشكت ان تقول ان الامر لن يعجب السيدة كافيل لكنه لم يدعها تكمل بل قاطعها قائلا بصدق وجدية:
ـ اسألك الموافقة على الزواج مني.

٥ - زواج بلا حنان

لم تتوقع ان يعرض عليها الزواج، وأحست ان الأرض تدور بها بسرعة فكاد أن يغمى عليها، فاستندت الى الصخرة وراءها مغمضة العينين تعيد في فكرها كلماته. لا شك في ان باري على خطأ لا بل هي واثقة من ذلك. لا يعقل ان يقدم جايمس فنتون على عمل كهذا فيطلب يدها ولم يمض على تعارفهما اسبوع. انه طوم البستاني الفقير والباحث عن زوجة تشاركه وجبته المتواضعة وأحلامه النادرة. انه من النوع الذي يحب بسرعة ويفتش عن الاستقرار مع اول فتاة يصادفها. لم يحرك ساكناً. ظل يحدق فيها بجدية ارتسمت بوضوح على تعابير وجهه:

- هل توافقين؟

خانتها شفتاها وعصتا أوامرها متمردة على الشك الكامن في نفسها ولم تشعر الا وقد تفوهت هامسة:

- نعم.

انه ضرب من الغباء قد يؤدي بها الى نتائج لا تعرف حقيقتها. تسرعت في ردها وكأن قوة سحرية انتزعت منها هذا الجواب. انها سهام الحب اصابتها في غير موضع فأعمى سيل العاطفة بصيرتها فاعادت على مسمعيه ما كان يتوق الى سماعه:

- نعم، سأتزوجك.

تغيّرت سحنته فجأة - فبدا شاباً في مقتبل العمر، مشرق الوجه. فعل جوابها فعله في نفسه ومحا آثار سنين ماضيه عن محياه. ولمعت عيناه ببريق راقص وقال مبتسماً:

ـ والآن حان وقت الاعتراف.

فجأة ارتفع صخب البحر وأحست وكأن الأمواج تتلاطم على صدرها بدلاً من ان تتكسر على الصخور.

ـ أنا جايمس فنتون.

صاحت ليز من غير وعي تختصر في رفضها عذاباً شق طريقه بوحشية الى اعماقها:

ـ لا . . . مستحيل.

لا تريده ان يكون احداً غير طوم، غير ذلك الانسان الذي انساها جروح ماضيها، وعلم شفتيها الابتسام من جديد. ترفض ان تضيّعه فتخسر حلم الطفولة من جديد.

ـ هذا غير معقول. انك تهزر، انت البستاني. اليس هذا ما قلته لي؟

توقفت عن الكلام وكأنها ادركت عقمه في هذه اللحظات ونظرت اليه بتوسل تستجديه ان يقول لها انه يهزر أو انها في حلم. لكنه ظل صامتاً كما الصخرة الجالسان في ظلها ثم قال:

ـ قلت بأنني طوم ريدينغ، لأنني لم ارد أن يعرف أحد مكاني.

ـ احد . . . مثل بولا ام ماري ادموندز؟ لماذا لا تريد ان تخبر السيدة كافيل؟

اجاب بنبرة خالية من اي شعور بالندم أو العاطفة:

ـ لأن علاقتنا قد انتهت وليس هناك ما يمكن قوله بعد الآن.

اسند ظهره بدوره الى الصخرة تاركاً ليز تتخبط في بحر من التساؤلات غير مصدقة ما تسمعه اذناها، تنظر الى يده ترتاح قرب يدها برعب بالرغم من اقدامه على عرض الزواج عليها.

ـ بدأت منذ فترة اتساءل عما سأفعله بهذا المكان، هل اعرضه للبيع، احوله الى فندق ام اسكن فيه؟ سأفتتح مصنعاً جديداً للخرسانة الجاهزة في ويلز قبل نهاية السنة.

لم يعن لها المصنع الجديد بقدر ما فعل كلامه عن تيرجلين:

ـ انت تملك تيرجلين؟ ظننت ان بولا صاحبة العقار.

ـ لم افكر ابداً بأن اهب تيرجلين. عدا عن ان علاقتي ببولا لم تكن وثيقة الى هذا الحد.

ايقنت ليز الآن ان هذا منزله بالرغم من اختيار بولا تصاميمه وقطع اثاثه. انتهى كل شيء بينهما وانطفأ املهما بالزواج والسكن فيه وبقي الأمر سراً حتى عن ماري ادموندز السكرتيرة المقربة من بولا. ما زالت تذكر ما سمعته على الهاتف يوم خابرت ماري لتسألها السماح ببدء العمل قبل الموعد المقرر. نظرت الى جايمس مستوضحة:

- اذكر ان ماري حدثتني عن شخص مسؤول عن تيرجلين، فمن هو؟
- انه جيم اوين وهو يدير شؤون المزرعة الواقعة في اول الطريق.
- اذن، لم يكن طوم ريدينغ.
- كلا.
- لماذا اخترت هذا الاسم؟
- انه الاسم الوحيد الذي خطر ببالي.
- اليس لطوم ريدينغ وجود؟
- لا ادري.

عاودها الشعور بالخسارة ممزوجاً بآلام خفيفة ناتجة عن تعثرها، وأحست برأسها يكاد ينفجر وبكتفها يئن من وطأة التشنج. رمقته بنظرة شك مستعيدة في مخيلتها المشكلة التي تقلق راحتها:

- سألتني الزواج منك؟ بربك لماذا فعلت هذا؟

نظر اليها بعينيه الداكنتين يغشوهما غموض قلق:

- اني بحاجة الى زوجة، وأنت بحاجة الى من يعتني بك.

ما من قوة على الأرض قادرة على اقناعها بأن جايمس فنتون يريد الزواج حباً بفعل الخير، فقالت بتهكم واضح:

- يا لك من فاعل خير!

ارتسمت على ثغره ابتسامة ذكرتها بطوم:

- اعتقد اننا سنكون زوجين مثاليين وسعيدين فأنت افضيت لي مرة باعجابك الشديد بالعيش في تيرجلين.

- ومن يرفض العيش هنا؟ طبعاً تيرجلين يحتاج الى ربة منزل، ولكن العيش في هذه القرية النائية ليس خاتمة احلامي.

لم يأبه باعتراضها وكأنه لم يسمعه:

- ستكملين عملك، عدا عن حصولك على فرص افضل لكونك

زوجتي، فهذا من شأنه ان يشرع الباب واسعاً امام مجالات هائلة من الأعمال. سأعمل على تشجيعك ودعمك مادياً.

انه عرض مغر لكنها ما زالت تبحث عن اجوبة للكثير من الأسئلة المتصارعة في رأسها:

ـ لكن لماذا اخترتني انا؟ هناك العديد من النساء اللواتي...

ومرة اخرى لم يدعها تتم عبارتها، وسارع الى القول:

ـ يتزوجن ممتلكات فتنون. نعم، هناك الكثير منهن. ولكنك كنت عازمة على الزواج من طوم ريدينغ.

لم يعد لصاحب هذا الاسم وجود وحل مكانه جايمس الذي لا تعرف عنه سوى صورة من الماضي يوم وصلت الى تيرجلين وذكرى اسبوع جميل قضته مع بستاني رائع وجدران صامتة. كل ما اخبرها اياه حتى الآن عرضة للشك. بدا وكأنه يقوم بتأدية دور معين في مسرحية حاكت فصولها يد تتربص بها شراً وتريد اذلالها وتحطيمها.

امسك جايمس يدها يداعبها بحنان اشعرها برعشة خفيفة سرت في انحاء جسمها. رعشة ممزوجة بالألم، مجبولة بالأمل.

ـ تمتعت بكوني طوم، وتمنيت لو تطول ايام الاسبوع، سئمت الخداع والغش وأقدر اخلاصك واستقامتك وسعيك الدؤوب وراء لقمة العيش.

لم يتفوه بحرف عن الحب كما لو كان يعرض عليها العمل في شركته.

ـ لست مطمئنة الى ما يحدث.

ـ امنحي الأيام فرصة اخرى وهي الكفيلة باصلاح كل شيء.

كونه رجل اعمال فقد اعتاد المجازفة يومياً، اما هي فلم تعد تجرؤ على تحدي الزمن او مواجهة الأقدار. تعلمت درساً في حياتها ولن تعيد الكرة ابداً.

ـ اننا نتكلم عن الزواج.

ـ واعتقد ان امكانية نجاحه كبيرة، ولن يعني فشله نهاية العالم.

ادركت ليز الفارق الكبير بين نظريتهما الى الزواج، انه يعتبره ضرباً من ضروب التجارة التي اعتاد القيام بها، فأجابت بيأس:

ـ لا اعلم...

ـ ومن يعلم اذن؟ ما دمنا نجهل بعضنا فمن الأفضل ان نعتبر علاقتنا قد

بدأت منذ الآن.

لم تقدر على الموافقة، الخوف في داخلها يكبلها ويخدر احاسيسها. اربكها اعترافه وأفزعتها كلماته فباتت خائفة وجلة تدور في حلقة مفرغة.

- علي ان اكون في لندن غداً، والأسبوعان القادمان حافلان بمواعيد عمل متلاحقة. لكنني وجدت الحل المناسب، امامي رحلة عمل لمدة شهر كامل وبامكاننا ان نتزوج وترافقيني. سنزور باريس، بروكسل، امستردام وهامبورغ. لن يكون شهر عسل بكل ما للكلمة من معنى، لكنك سبق وقلت انك تتوقين الى السفر.

- اهذا يعني اننا سنتزوج بعد اسبوعين؟

اجابها بلهجة الواثق من نفسه، الواثق من حصوله عليها:

- اجل. اين تودين ان نحتفل بزفافنا؟

لم تقو على الاعتراض فتمتمت:

- في بلدتي على ما اعتقد.

في المكان الذي ظنت انه سيشهد زواجها من باري. لكنها لا تستطيع ان تتزوج هذا الرجل بعد اسبوعين، ستنقلب حياتها رأساً على عقب، ان هي اضحت زوجته. ارتأت الاختلاء بنفسها ولو لدقائق في غرفتها فقالت:

- يجب ان اعود الآن، هناك اشياء علي انجازها.

- سأعيدك في الصباح.

وارتسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة:

- على دراجتك؟

- ليس تماماً.

احست ان الحاجز الذي كان بينها وبين طوم قد تحوّل الى عشرات الحواجز الآن، بالرغم من ان ابتسامة التحبب لم تفارقه. انه انسان غريب الآن عرفته منذ دقائق فعرفت فيه الرجل الناجح ذا السلطة المطلقة، وهي منذ صغرها تكره النفوذ والتسلط. انه يبعث الخوف في نفسها، من الماضي الذي ما برح يقلق حاضرها ويهدد مستقبلها.

- اعتقد ان والدك لم يكن بستانياً.

- الى حد ما، لكن لم يكن هذا مورد رزقه.

ـ وماذا كان المورد؟
ـ ممتلكات فنتون.
انه محظوظ في عمله فنجح فيه بفضل الميراث الذي خلفه له والده. على عكس باري مايسون الذي اضطر لأن يبدأ من لا شيء حتى استغلها واستثمر مالها.
ـ هل لديك عائلة؟
ـ كلا.
لم يكن باستطاعتها التفكير بأي شيء آخر بالرغم من مئات الأسئلة التي عليها طرحها، فقالت بلهجة المغلوب على امره:
ـ اني آسفة. احس وكأن لساني معقود ولا استطيع تقبل الوضع الجديد.
ـ هل كانت الصدمة قوية؟
ـ اجل. كنت تلقيت النبأ بطريقة مختلفة لولا التورم في رأسي.
ـ مر عليك الكثير اليوم. كان عليّ ان اخبرك من قبل... انا آسف.
انه الرجل الثاني الذي يعتذر منها اليوم بعد باري مايسون. ماذا سيكون وقع نبأ زفافها من جايمس عليه؟ وعلى كل من تعرفه؟ سيكون وقع المفاجأة عليهم قوياً للغاية، لكنه لن يكون اقوى من وقعه على نفسها.
نهض طوم مادأ يده نحوها:
ـ تعالي.
ـ الى اين؟
ـ لنتناول الغداء ونحتفل.
سألته بتردد:
ـ ماذا اناديك؟
كان يسير امامها متجهين نحو السيارة من غير ان يمسكها أو ينظر اليها:
ـ بما يحلو لك.
ـ هل الجميع ينادونك جايمس؟
ـ ليس اي كان لكن هذا هو اسمي.
لن تتمكن بعد الآن من مناداته طوم كما وأنها ستجد صعوبة في مناداته جايمس. انها تفضل ان تناديه السيد فنتون ولكن الأمر سيبدو سخيفاً بعد ان قبلت ان تكون زوجته. ستعتاد بعد فترة عليه وتحاول نسيان البستاني.

ستردد عندما تكون بمفردها اسم جايمس الى ان تصبح قادرة على لفظه بطريقة طبيعية لا تصنع فيها.

جلست في المقعد الأمامي بجانبه تحاول معرفة الضالعين في المؤامرة:

- من يكون السيد جيليان؟

- انه سكرتيري الخاص، اين تودين الذهاب؟

- لا اعلم، اي مكان في الجوار، فأنا لا اعرف هذه المنطقة.

خيّم جو الصمت من جديد مجبولاً بشعور بالضجر احست ليز بثقله. انه ينتظر منها ان تكلمه وان تنقذ لحظاتهما معاً من براثن الملل. لكنها احجمت لأنها لم تجد ما تقوله. اوقف جايمس السيارة امام فندق صغير مقترحاً:

- لنجرب هذا المكان.

ترجلا من السيارة ينفضان الرمل عن ثيابهما وشعرهما، وعند دخولهما ردهة الطعام وقفت ليز تنتظر جايمس وهو يتكلم مع المسؤول عن المطعم. احست بالبرودة هنا بعيداً عن اشعة الشمس، لكنها لم تأبه لذلك بل راحت تحدق في الجدران المزخرفة باللون الأخضر مع خلفية فضية، وتعمل في مخيلتها على تغييره. لم يكن السبب قبح الألوان بل لأنها لم تجد شيئاً آخر تفعله. لم ترتبك وهي تقف في وسط القاعة، محاطة بهذا الحشد بل كانت هادئة منصرفة الى عملها الخيالي الى ان لامس فنتون كتفها:

- تدبرت طاولة مريحة.

تعجبت ليز من كيفية عثوره على الطاولة بالرغم من ان المكان يعج بالزبائن:

- لا اخالك تملك هذا المكان ايضاً.

- كلا. لماذا؟

- هل تتردد الى هنا باستمرار؟

- كلا.

لم يحاول الاستفهام عن سبب طرحها هذه الأسئلة، وكأن الأمر لا يعنيه، لقد اعتاد معاملة الناس له بطريقة مختلفة. انه جايمس فنتون المليونير وصاحب الشهرة الواسعة في عالم الصناعة. اينما ذهب تشير الأصابع اليه. ولا عجب من تحلق الخدم الآن حول طاولته ينتظرون اشارة منه للقيام

بخدمته. بالرغم من ثيابه الرثة فقد عرفوه وأدركوا اهميته. قوة شخصيته لا مثيل لها فيستطيع من خلالها السيطرة على الناس وفرض عليهم ما يريد.

لاحظت ليز نظرات الزبائن اليه. انها برفقة شخصية معروفة خاصة وانه سيفتتح مصنعاً جديداً في المنطقة. احست انها وحيدة، غريبة عن عيونهم بعيدة عن اهتمامهم. لا يبالي احد بها، فراحت تنظر الى نفسها في مرآة قريبة نادمة على اهمالها لبسها اليوم. ظنت انهما سيذهبان الى الشاطىء فلم تبال سوى بما ستسمعه من جايمس. حتى شعرها نسيت ان تصففه. وصفت نفسها بالقبيحة وهي تنظر في المرآة ثانية، متسائلة عن كلفة عملية تجميل قد تضطر لاجرائها في المستقبل...

ما ان اقتربا بالسيارة من مدخل المنزل حتى سمعا رنين الهاتف. قد يكون باري حاملاً نبأ جديداً لكنها سترفض التكلم معه مهما كان الداعي.

ترجل جايمس بسرعة من السيارة.

ـ سأرى من على الهاتف.

ظلت في السيارة تنتظر ان يعود ليخبرها ان المكالمة لها. للمرة الأولى تسنح لها فرصة النظر الى تيرجلين من الخارج. انه يشبه مالكه، فيه شيء من الشموخ والسلطة. فكرت ببولا وبردة فعلها عندما تعلم انها خسرت هذا المنزل الرائع. كانت تحبه وتتكلم عنه وكأنه منزلها. انها ليست من اللواتي يتغاضين عن الخسارة خاصة اذا كانت فادحة وتتعلق بتيرجلين وجايمس فنتون. ستصبح عدوة لأية امرأة اخرى تحظى بحب جايمس، ولم تفكر ليز بنفسها وكأن الأمر لا يعنيها. لم تصبح زوجته بعد وربما لن تحمل هذا اللقب ابداً. خرج جايمس ينزل درجات الشرفة بسرعة، ففتحت باب السيارة معتقدة انه ناداها للرد على المكالمة. لكنه فاجأها بسؤاله:

ـ هل انت جاهزة للرحيل فوراً؟

ـ فوراً؟

ـ كان المتحدث روبرت جيليان. ان اوصلتك الآن الى شقتك يصبح بامكاني السفر في الصباح الباكر.

ـ السفر الى اين؟

ـ الى لندن حيث عليّ ان اكون غداً.

ـ استطيع ان اذهب بمفردي الى المنزل.

ـ لا اريدك ان تقودي السيارة.

احست بأنه لا يريدها ان تبقى معه ولم تشأ ان تكون عائقاً في طريقه أو سبباً لازعاجه.

ـ سأحزم حقائبي.

صعدت الى غرفتها الصغيرة حيث راحت توضب حقيبتها. لا تريد ان ترحل الليلة، فيكفيها ما مر عليها حتى الآن. تفضل لو تمضي ليلتها هنا تدفن تعبها في هذا السرير الصامت بعد ان تستحم.

نزلت الى الطابق السفلي حيث كان جايمس ينتظرها في مكتبه وقد اضاء الأنوار. وجدت الباب مفتوحاً ورأته يتكلم على الهاتف. لم تكد تصل الى الباب حتى اقفل السماعة يسألها:

ـ جاهزة؟

ـ اعتقد ذلك.

ـ يمكنك الخلود الى الراحة في المقعد الخلفي.

ـ سأستمتع بذلك.

لم يبد عليه انه لاحظ نبرة التهكم في كلامها، فحمل حقيبتيه وسار امامها صامتاً. فوجئت ليز باختفاء سيارتها لتحل محلها سيارة فخمة براقة. نزلت الدرجات الباقية على مهل تراقبه يضع الحقائب في الصندوق الخلفي، ثم سألته:

ـ اين كانت هذه السيارة؟

ـ في المرآب المقفل.

جلست في السيارة غير مصدقة ان ما يدور حولها حقيقي، وقالت مستفهمة:

ـ ماذا حل بسيارتي فأنا احتاجها للتجول.

ـ سأتدبر ايصالها الى شقتك غداً.

ـ ارجو ذلك.

توقفا في طريقهما في احدى المزارع عند سفح التلة حيث اخبر جايمس السيدة جوين ايفانز التي فتحت الباب، ان المنزل عاد شاغراً من جديد وبامكان السيد ايفانز ان يعود الى عمله كالمعتاد.

كانت رحلة هادئة، فضلت فيها ليز الجلوس في المقعد الخلفي تهرباً من

واجب الكلام. ليست قادرة على قول اي شيء. اما جايمس فقد علق في بادىء الأمر على جمال المناظر المحيطة بالطريق ولم يتفوه بعدها بكلمة.

عند اقترابهما من بلدتها همت ليز بارشاده الى الطريق المؤدي الى منزلها، لكنه اتجه مباشرة الى الفندق الكبير عند مدخل البلدة وأوقف السيارة في باحته قائلاً:

ـ سأتأكد من انهم حجزوا لي غرفة. لن اتأخر.

عاد جايمس الى السيارة من غير حقائب وسارا من جديد ترشده الى الطريق، دلته على مكتبها عند مرورهما بمحاذاته.

ـ انه هناك، النافذة الأخيرة فوق المحل. انه صغير لكنه يتسع لي ولأغراضي القليلة.

ثم هتفت مشيرة باصبعها الى بناية صغيرة متواضعة:

ـ لقد وصلنا، اثنتان من تلك النوافذ تابعتان لشقتي.

ساعدها جايمس في حمل حقيبتها الى الشقة حيث التقطت ليز قبل دخولها رسالتين وبطاقة، لا بد وأن احد الجيران قد دسها تحت بابها، أو ان باري قد جلبها معه اثناء بحثه عنها يوم امس. ادركت من الكتابة على الرسالتين انهما من احدى صديقاتها، فوضعتهما على الطاولة مرجئة قراءتهما الى وقت آخر. اما الثالثة فكانت ايصالاً من شركة الكهرباء. لاحظت نظرات جايمس الفاحصة الى ارجاء الغرفة فبادرته قائلة:

ـ شقة متواضعة تتناسب مع راتبي. هل احضر لك القهوة؟

اقترب منها ممسكاً بذراعيها وقربها من صدره قائلاً:

ـ لدي اعمال كثيرة عليّ انجازها هذه الليلة، من الأفضل ان اعود الآن الى الفندق وسأراك غداً، قبل رحيلي.

ـ حسناً، وأنا ايضاً، لدي ما انجزه الليلة. سأكون بانتظارك غداً صباحاً. وحاول ان ترتاح فأمامك اسبوع زاخر بالأعمال.

عانقها كما فعل مرة على الشرفة في تيرجلين، يوم كان طوم. عناقاً سريعاً ناعماً اشعرها هذه المرة بشيء لم تحسه من قبل. انه حقاً يتمتع بخبرة مع السيدات تجعل من الصعب عليها نسيان تصرفاته معها لفترة طويلة.

ـ سأراك غداً.

خرج تاركاً اياها في وسط الغرفة، غارقة في فيض من الأحاسيس لا

تريدها ان تنتهي ابداً.

لم تنظر حتى الآن بجدية الى عرض الزواج، وتوقعت ان يزورها غداً وقد تراجع عنه. وان لم يفعل ستباده بدورها الى السؤال عن سبب ثقته بها وبقدرتها على ان تكون الزوجة التي يحتاج، ما دامت هي نفسها غير واثقة من ذلك. سيتهمها الجميع بالجنون لاضاعتها فرصة كهذه ان رفضت الزواج منه. لكن الرهان صعب والمجازفة خطيرة، ولن يدفع سواها ثمن فشلها. سيحول حياتها جحيماً ان خذلته. حضرت فنجاناً من الشاي وتمددت تقرأ الرسالتين المرسلتين من سوزان صديقتها منذ ايام الدراسة. كتبت تخبرها عن الشقاء الذي تعيشه مع زوجها وتحسدها على مهنتها وعلى بقائها طليقة حرة من قيود الحياة الزوجية ومشاكلها. في الخاتمة تحذرها من الزواج بالرغم من حسناته الزائفة. لم تكن تنتظر رسالة كهذه كي تحذر الزواج. فالخوف موجود منذ البداية، الخوف من الفشل ومن الصدمة. لن تتحمل كارثة عاطفية اخرى في حياتها لأنها على يقين من انها ستكون القاضية.

رتبت اغراضها في الخزانة ثم خلعت ثيابها وارتدت عباءة حريرية ابتاعتها منذ فترة طويلة من احد المحلات الشرقية في ويلز. تمددت على سريرها تنشد قليلاً من الراحة بعد هذا النهار الحافل، وتناولت مجلة تتصفحها علّ ذلك ينسيها صداعها.

شعرت بالنعاس بعد فترة، فانسلت تحت الغطاء برفق متجنبة الاتكاء على كتفها الذي ما برح يؤلمها. حاولت ان تطرد صورة جايمس من مخيلتها لكنها لم تستطع عاودتها احداث النهار بتسلسل بطيء فأقلقت راحتها ولم تهنأ سوى بساعات قليلة من النوم. جلست في الصباح تتناول فطورها حين سمعت جرس الباب يقرع وفوجئت بروبرت جيليان واقفاً امام شقتها معتذراً:

ـ انا آسف لازعاجك في هذه الساعة. هل بامكاني الدخول؟

دعته للدخول وما ان اقفلت الباب حتى ناولها رسالة مختومة قائلاً:

ـ كلفني جايمس بالاعتذار منك نيابة عنه لاضطراره الى الرحيل باكراً.

فضت ليز الرسالة ببرودة. توقعت ان يأتي جايمس بنفسه ليخبرها بعدوله عن رأيه، ولكنه ارتأى على ما يبدو اطلاعها على الأمر خطياً. لكن

ما وجدته في داخلها تخطى كل توقعاتها. شيك مذيل بتوقيع جايمس ومسحوب على احد المصارف القريبة من شقتها، ومرفق بورقة صغيرة خطها جايمس بيده. تجهم وجهها فجأة، فرمت الشيك على الطاولة تتساءل عن معنى الرسالة. اهو بدل اتعابها في تيرجلين، ام تعويض مادي عن فشلها في الحصول على لقب السيدة فنتون. ادارت ظهرها لروبرت تقرأ الرسالة المكتوبة على عجلة لكن بحروف واضحة:

- عزيزتي ليز... اضطراري للسفر باكراً منعني من رؤ يتك. اقترح ان يكون موعدنا في التاسع من الشهر القادم، الساعة الحادية عشرة في دار العمدة هنا. الشيك لتأمين احتياجاتك وستستلمين سيارتك اليوم. سأتصل بك هذا المساء. الى اللقاء. جايمس.

لم تصدق ما قرأته فأعادت الكرة ثم التفتت الى روبرت يتفحص لوحة زيتية قديمة وسألته:

- هل تعلم مضمون الرسالة؟

اجاب من غير ان يلتفت اليها:

- اجل. تهاني الحارة يا آنسة لاثام.

- شكراً.

لم تشأ مناقشة امر شخصي كهذا مع احد موظفي جايمس. لكن الأمر بأكمله غير منطقي. هل يتوقع جايمس منها ملاقاته بكل بساطة حسب الموعد؟ نظرت الى روبرت بطرف عينها. لم يكن صادقاً في تهنئته لها، فلم تلمه على تصرفه فقد عرف بولا ولا شك في انه يؤمن بأن جايمس اصيب بمس من الجنون جعله يفضل ليز لاثام على بولا كافيل.

سألها سكرتير جايمس بفتور:

- هل باستطاعتي مساعدتك في شيء ما؟ ستغادرين بعد الزواج مباشرة على ما اظن. اذا صادفتك مشكلة...

لديها مشاكل عديدة لكن لا علاقة لها بمهنتها فقاطعته متصنعة الهدوء:

- لم افكر بعد في كل هذا، والآن هل تسمح لي باكمال فطوري؟

اخرج من جيب سترته بطاقة بيضاء صغيرة وضعها على الطاولة امامها:

- بكل تأكيد. هذا رقم هاتفي ان احتجت لشيء. سيتصل جايمس بك في المساء. هل بامكاني الحصول على جواز سفرك؟

ما يزال جوازها في درج المكتب، فقد هيأته لرحلتها، التي لم تبصر النور الى اسبانيا. ناولته اياه من غير ان تتفوه بكلمة. فقال مودعاً:
- شكراً. طاب يومك يا آنسة لاثام.
- مع السلامة.

ما ان تأكدت من رحيله حتى اسرعت الى التقاط الشيك ورمته مع الرسالة في درج مكتبها وأقفلته حابسة كرهها في داخلها. احست بحاجة ماسة الى من تخبره بما يحصل. الى انسان ذي عقل راجح يتفهم وضعها وحقيقة شعورها، قادر على اسداء النصح اليها وعلى الحفاظ على السر. لقد خرج الأمر من يدها ولم تعد قادرة على تحمل المزيد. بربارة كول كان الاسم الوحيد الذي فكرت فيه، فمنذ ان بدأت عملها في متجر زوجها الن اظهرت هذه المرأة اهتماماً زائداً بها وبموهبتها وشجعتها على الاستمرار. وعندما قررت العمل بمفردها كمصممة ديكور عمدت بربارة بمساعدة زوجها على استئجار غرفة لتكون بمثابة مكتب لها. توطدت صداقتهما مع الأيام وغدت السيدة كول صديقة ليز المفضلة. دأب الن كول بعد رحيل ليز من متجره، على ارشاد زبائنه الى مكتبها، ومن جهتها اعتادت ليز الحصول على حاجاتها من معدات عن طريق متجره. افرحهما كثيراً نبأ حصول ليز على العمل في تيرجلين وتمنيا لها النجاح بصدق ومحبة كعادتهما في كل مرة يبتسم لها الحظ. كانت بربارة في المتجر عند دخول ليز، فهرعت لملاقاتها، بجسمها المكتنز وشعرها الأسود الأملس والمشدود الى الوراء، مرحبة:
- اهلاً يا ليز، ما هذه المفاجأة الحلوة؟

اكتفت ليز بالابتسام وأدركت بربارة ان هناك ما يزعجها، فخلال وجود ليز في تيرجلين، اتصل باري بها مرات عديدة محاولاً تسقط اخبار صديقته المفقودة من غير جدوى. فبربارة ظنتهما يمضيان العطلة سوياً، وعندما عاودت الاتصال به، اخبرها ان ليز ذهبت الى ويلز، فباتت تنتظر مكالمة منها للاطمئنان عليها.
- ماذا يجري يا ليز؟
- يجب ان اتحدث اليك في امر هام.
- تعالي نصعد الى فوق.

انتقلتا الى الطابق العلوي حيث تسكن بربارة وزوجها، وجلستا في غرفة فسيحة تطل على الشارع العام. توقعت بربارة ان يكون باري موضوع الحديث فسألتها:

- هل من مشاكل مع باري؟

- كلا. تعرفت الى رجل آخر منذ اسبوع، وعرض علي الزواج.

مرت ثوان استفهمت بربارة بعدها:

- اخبريني عنه.

- لن تصدقي ما سأقوله يا بربارة. انه جذاب شكلاً ومالاً.

هتفت صديقتها بحماس:

- خبر رائع.

- وأكثر من رائع، انه جايمس فنتون.

سمعت بربارة ان ليز تعمل على تحضير تيرجلين لجايمس فنتون المليونير وزوجته المقبلة بولا كافيل، فلم تنبس ببنت شفة تنتظر ايضاحاً من ليز.

- مضى على وجودي معه في تيرجلين اسبوع واحد. توطدت صداقتنا الى ان اخبرني البارحة بأن علاقته ببولا قد انتهت وعرض علي الزواج.

صاحت بربارة بذهول:

- صحيح؟

لو اخبرتها ليز بما جرى لسهل الأمر عليها وزالت علامات الدهشة عن وجهها. لكنها كتمت حقيقة العقد بينها وبين جايمس قائلة:

- قال انه بحاجة الى زوجة بعد ان مل من مهاترات من حوله وريائهم. انه معجب بنزاهتي.

اتكأت بربارة على حافة المقعد تحدق في ليز:

- وأنت، ما هو شعورك؟

- لا ادري، اظن اني خائفة. سنعقد قراننا بعد اسبوعين.

- هل هو هنا؟

- كلا، لقد رحل ولا اعتقد اني سأراه قبل الموعد ، لا ادري ماذا افعل

قالت بربارة بجدية تشبه الأمر:

- تزوجيه. لن تسنح لك هذه الفرصة مرة اخرى.

- اعلم ذلك.

ـ اذن، لقد علق فتون في شباكك. انه رجل محظوظ لاختياره اياك زوجة له. هل سيتم الزفاف هنا؟

لم تشك ليز يوماً بصدق شعور بربارة وزوجها، وهي واثقة من ان فرح صديقتها الآن ليس زائفاً بل انعكاساً لما يعتمل في داخلها.

ـ هذا ما قاله، لكن لا تخبري احداً بالأمر، فلست واثقة حتى الآن من صدق نواياه وما زلت اشك في انه يقوم بكل هذا لاشعال نار الغيرة في قلب بولا، املاً في عودتها اليه عند علمها بقرارنا.

لم تمر بربارة بتجربة مماثلة، لكنها تدرك ان لا شيء مستحيلاً عند رجل ناجح مثل جايمس . هذا النوع من الأشخاص لا يتوانى عن فعل اي شيء لنيل مأربه وحتى استغلال الآخرين والتلاعب بعواطفهم.

ـ من المرجح انه قطع علاقته ببولا تخلصاً من ريائها وتعجرفها، بعد ان ادرك حاجته الى شخص مختلف كلياً عن محيطه وبعيد عن اجوائه السابقة. شخص يمكنه الركون اليه، فلم يجد افضل منك اهلاً لهذه الثقة. لا تنسي يا عزيزتي ان النوع الذي تنتمين اليه اصبح نادراً في ايامنا هذه.

ابتسمت ليز قائلة:

ـ انت نعم الصديق يا بربارة.

ـ اظنه يحبك يا ليز.

لم تشاطر ليز في قرارة نفسها صديقتها الرأي. فهي تعلم ان لعرض جايمس الزواج منها اسباباً ودوافع تختلف عن التي اخبرها بها، والحب الذي تؤمن به بربارة وتحلم هي به، ليس احد هذه الأسباب أو الدوافع. انه زواج لا عاطفة فيه ولا حنان...

٦- قفزة في المجهول

فوجئت ليز، لدى دخولها مكتبها، بالرسائل العديدة المنثورة على طاولتها. كلها تتعلق بمشاريع صناعية أو معمارية بحاجة الى هندسة ديكور داخلية. احتارت كيف تبرم مثل هذه الاتفاقات، فهي لم تحصل بعد على تفويض بذلك من جايمس.

من المفترض ان تكون الآن في تيرجلين منهمكة في عملها وها هي في مكتبها تفكر في الغد. لا تدري ماذا يحمل لها من أعمال جديدة عليها ان تحضّر لها مسبقاً. ستحتاج الى كل ثانية من وقتها لتنهي أعمالها المتراكمة.

أحست بحاجة ملحة لقسط ولو ضئيل من الراحة، فكتبت ورقة صغيرة، تعتذر فيها عن تلقي المكالمات وزيارات العمل، وضعتها على طاولتها وغادرت متجهة الى شقتها.

لم يتوقف هاتفها عن الرنين طوال اليوم. أصدقاء فضوليون يسألون عن صحة قطع علاقتها بباري، فالخبر انتشر بسرعة ولا فائدة من نفيه بعد الآن. يعتقدون ان باري هو صاحب القرار وقد اتخذه بعدما تعرف الى فتاة اخرى في اسبانيا. تركتهم وظنهم من غير ان تأتي على ذكر جايمس فنتون.

في المساء قامت بربارة بزيارتها، فأطلعتها ليز على الشيك والرسالة اللذين استلمتهما من روبرت جيليان هذا الصباح. لم تكتم بربارة دهشتها لدى قراءتها واعجابها بهذا العرض المغري، ثم طلبت من ليز ان تصف لها جايمس فقالت:

ـ اسمر جذاب، مربوع القامة، لا أدري كيف أصفه لك. يشد اليه عيون النساء مهما كان هندامه، ومرد ذلك الى شخصيته الفذة. انه من

النوع الذي يشاهد برفقة المشاهير، أمثال بولا كافيل.
- هذا ما يفسر صداقتهما.
رن الهاتف بجانب ليز فرفعت السماعة لتسمع جايمس هاتفاً:
- ليز؟
- أجل.
- أعتذر لسفري المفاجىء هذا الصباح. أيناسبك الموعد الذي حددته لك؟
- أجل، أجل.
- حسناً، سأعود بعد عشرة أيام. ان احتجت الي يمكنك الاتصال بي عن طريق روبرت.
طريقته الباردة في الكلام أخافتها لكنها لم تتفوه بكلمة، فأردف جايمس:
- أفضل ان يتم الزفاف بهدوء كلي، فهل تمانعين في ذلك؟
من غير وعي وكأنها لا تملك شفتيها، تمتمت:
- كلا.
- هل توافقين على تأجيل الحفل الى حين عودتي؟ (ولم ينتظر ردها بل أردف) كيف حالك؟
ظنت انه لن يسألها عن نفسها أبداً، وأحست بصداع مفاجىء شبيه بالذي أصابها بعد تعثرها في تيرجلين. أجابت والغصة تخنقها:
- بخير... الحمد لله.
- هل زال الألم؟
كانت قد نزعت الضمادة ولم يبق سوى أثار خدوش سطحية.
- أجل.
ليس الألم ما يشغل بالها بل تفكيرها بما ستقدم عليه بعد أيام معدودة. ستتزوج من رجل لا يبدو انه يفرق بين الزواج وبين أي موعد في مفكرته.
- حسناً يا ليز سأتصل بك لاحقاً.
أعادت ليز السماعة الى مكانها بعدما أقفل جايمس الخط. سألتها بربارة بحشرية:
- هل كان...
- اجل كان هذا جايمس.

- يبدو انه يتحاشى المكالمات الطويلة.

جلست ليز شاخصة الى الشيك والرسالة وقد وضعت فوقهما فنجاني الشاي وصحن الفطائر تريد اخفاءهما عن ناظريها.

- انه يفضل عرساً هادئاً، وتأجيل الحفل الى حين عودته من رحلة العمل.

- أهذا كل ما قاله؟

- أجل.

- كأنه يعقد صفقة. ماذا ستفعلين؟ الوقت يمر بسرعة وتأجيل الحفل لا يعني اهمال أمور أخرى. عليك شراء جهاز عرسك وتدبير شاهدين، عدا عن الأوراق الثبوتية ومشقة الحصول عليها. هل سيهتم جايمس بكل هذا؟

- لا أدري. من جهتي لم أفعل شيئاً، ولم أقم بأية ترتيبات. فأنا لم أخبر أحداً سواك. سأكون هنا في التاسع من الشهر القادم وسنقرر عندئذ ما يجب فعله.

لم تنجح ابتسامتها في اخفاء حزن صامت بان في عينيها، فأردفت متلعثمة غير آبهة بمحاولات بربارة للتكلم:

- كلهم يتذكرون دوغلاس بايلي ويعتقدون أن باري خدعني وتخلى عني، تعلمت من الماضي ما فيه الكفاية ودفعت الثمن من دموعي وآلامي، فلا أريد ان أضيف مأساة جديدة الى حياتي بسبب حماقة اخرى قد أرتكبها فتجعلني موضع سخرية الآخرين.

أمضت ليز النهار التالي في متجر بربارة تشرف على طلي الواجهات القديمة والاطلاع على أحدث تصاميم المفروشات، عل ذلك يصرفها عن التفكير بالزواج وبجايمس. كانت تجيب من يسألها عن سبب وجودها هنا عوضاً عن ويلز، بأن العمل هناك توقف لفترة. لا شك في ان باري يعلم بوجودها هنا، فغبطت نفسها على عدم تلقيها مخابرات هاتفية منه. أزالته نهائياً من حياتها وساعدها في ذلك تفهم أصدقائها لحالتها وامتناعهم عن احراجها بدعواتهم مفسحين لها في المجال كي تتغلب على محنتها. اتصل جايمس بها ثلاث مرات ولم تتعدّ مكالماته حدود التودد والمجاملة، مذكراً اياها في كل منها بموعدها «التاريخي». امضت ليز الأيام، التي تفصلها عن الموعد، في شبه غيبوبة نفسية. ضباب كثيف من التشوش يغلف حواسها

مانعاً اياها من التركيز. وكأن الأمر مجرد اجراء لا علاقة لها به، الى ان اتصل جايمس قبل يوم من الموعد ليقول:
- سأتصل بك غداً قبل موعدنا بربع ساعة.
وسألته بتلعثم:
- أما زلت تعني ما قلته؟
- أعني ماذا؟
- الزواج.
- هل تفكرين في التراجع؟
أذهلها كلامه فهي غير معتادة على ابتسام الحظ لها خاصة في الحب. خذلها مرتين متتاليتين، أما الآن فهو يفتح لها ذراعيه ضاحكاً يدعوها للاستفادة من الفرصة السانحة فجايمس فنتون يطلب الزواج منها. ستقبل بما يقدمه لها وتدخل طائعة النفق المظلم مرة اخرى، لعل قفزتها في المجهول تبدل نمط حياتها وتنقذها من الرتابة التي تتخبط بها. أجابت بشيء من التصميم:
- لا، لا أريد التراجع.
- حسناً، الى يوم غد. سأصطحبك في الحادية عشرة الا ربعاً.
- سأكون في انتظارك.
وضعت السماعة بقلق. أمور كثيرة عليها القيام بها. أفاقت من ضياعها فجأة لتكتشف انها لم تهيء شيئاً حتى الآن. يجب ان تحزم حقائبها وتوضب ما يكفيها من ثياب لمدة شهر على الأقل. تذكرت ما تملك من ثياب ومعظمها لا يصلح لأن ترتديها زوجة فنتون المليونير. لم يعد الأمر متعلقاً بها وحدها، ستصبح بعد ساعات أسيرة التقاليد وآراء الناس وتعليقاتهم. الوضع الجديد سيفرض عليها التعامل مع الناس والظهور أمامهم بطريقة مختلفة تليق بمكانتها الجديدة. ما زالت الثياب التي ابتاعتها لرحلتها مع باري في الخزانة. معظمها صالح فقط للنزهات وللأعمال المنزلية، فاختارت بعضها وتفحصت ما لديها من أثواب للسهرة وأدركت حاجتها لشراء المزيد منها.
وضعت لائحة بمشترياتها، وعلى رأسها فستان العرس، فأي من أثوابها لا يصلح لحفل الزفاف، وتناولت سماعة الهاتف تطلب بربارة:

ـ هل ترافقيني للتسوق؟

شعرت بربارة بأن الأمر عاجل، فضحكت في سرها. اقترب الموعد ولم يظهر ما يدل على ان جايمس يقوم بخدعة ما. كتمت الأمر عن أصدقائها ولم تعلم به سوى زوجها، وكادت مرات عديدة ان تتصل بفنتون لتستفسر منه عن صدق نواياه وتتحقق من جدية عرضه. اما الآن فانها شبه متأكدة من أن الأمر لم يكن مجرد هزار ثقيل.

ـ اذن، بات الأمر وشيكاً.

ـ اعتقد ذلك.

جندت العروس لحملتها الشرائية ما بقي معها من مالها الخاص بالرغم من حيازتها الشيك الذي أرسله جايمس، فهي لم تضعه في حسابها المصرفي بعد. قررت ان تخصص المبلغ الأكبر لشراء فستان عرس يليق بها، والباقي تبتاع به عدداً من الأثواب تصلح للحفلات والدعوات. ستبدو عكس ما يتصورها رفاق جايمس، وستظهر لهم انها ليست فقيرة.

رافقت بربارة الى أحد المحلات الفخمة في احدى الضواحي. لم يسبق ان دخلتاه من قبل، بل كانتا تكتفيان بالمرور امامه تنظران من خلال واجهاته الفاخرة الى الأثواب الرائعة المعروضة فيه، مبهورتين بأسعاره الخيالية. راحت ليز تستعرض الفساتين البيضاء الساحرة مستمعة الى تعليق البائعات المتحلقات حولها، كل منهن تعطي رأيها محاولة اقناع ليز بالشراء. اما بربارة فانسحبت بهدوء لدى سماعها الاسعار متظاهرة بالبحث عن ثوب لها.

صممت ليز على شراء الثوب مهما كان ثمنه، فالمناسبة زودتها بمناعة مفاجئة ضد تأثير الأسعار، فراحت تجرب ثوباً بعد ثوب الى ان اعجبها واحد ابيض عليه زخرفة ناعمة على الكتفين وحول الرقبة. اختارت له قبعة حريرية تناسبه وقفازين ابيضين يغطيان معظم ساعديها.

لم تتمكن بربارة من كتم دهشتها طويلا، فما ان خرجتا من المحل حتى بادرتها قائلة:

ـ يبدو ان زواجك من مليونير قد أفقدك صوابك.

ـ ألم تشتري ثوب زفاف جميلا وباهظاً يوم زواجك؟

ـ طبعاً اشتريت ثوباً، وسأرتديه غداً لأثبت اني ما زلت رشيقة القوام كما

كنت منذ خمسة عشرة عاماً. لنكف عن المزار الآن ونتدبر أمر شعرك.
قالت ليز بلهجة ناهية:
ـ فات الأوان الآن على الاهتمام بشعري، سأغسله وأصففه بنفسي عند عودتي الى المنزل. ما أن افكر بأني مجبرة على الظهور غداً بشخصية مختلفة، حتى ينتابني الصداع والاضطراب.
أملت ليز من ثوب الزفاف ان يلهي المدعوين القلائل عن التعليق على ضعفها وهزالها، وان يلجم ألسنة جيرانها عن الهمسات والافتراضات. حتى شعرها رفضت ان تصففه يد المزين خوفاً من أن يثير ذلك فضول صديقاتها فيبادرنها بالأسئلة والاستفسار عن سبب استعجالها، وحزم حقائبها. عدا عن ان شيوع خبر زواجها من جايمس فنتون، سيحول منزلها المتواضع مقراً دائماً لرجال الصحافة والمصورين، وسيحرك شهية صحف لندن، التي اعتادت نشر أخبار بولا وجايمس في صدر صفحاتها الاجتماعية، فتفسح في المجال لثرثرة دعائية هي بغنى عنها. في المقابل أثار طلبه ابقاء الأمر سراً ريبتها، فاذا كتم روبرت جيليان الخبر وجاراه في ذلك جايمس فهذا معناه ان باب المفاجآت ما زال مفتوحاً وان الغاء الزواج وارد في أية لحظة.
أمضت ليز ليلتها مع بربارة وزوجها متفادية بذلك البقاء وحدها في منزلها. انها واثقة من كونهما الوحيدين القادرين على مد يد العون اليها في حال تخلّي جايمس عنها، واقلاعه عن الزواج منها. اعتادت العيش معهما وكأنها في شقتها. ترتاح الى وجودها مع رجل مثل الن كول، فيعاملها كأخت له وتستشيره في كل شيء. سنواته الاربعون تركت آثارها في رأسه شعراً رمادياً، وفي كلامه ثقة وخبرة هي بأمس الحاجة اليها. لم يرزقا هو وزوجته ولداً فاعتبرا ليز اختهما الصغرى. صباح اليوم التالي غادر الثلاثة المنزل متوجهين الى شقة ليز استعداداً للموعد. احست بربارة بضيق شديد وانقباض لم تدرك كنههما، لكنها جاهدت في اخفائهما، عن ليز متجنبة الخوض في أي موضوع معها. لم يرقها تصرف جايمس وطلبه بابقاء الأمر سراً. الساعات تمر طويلة بطيئة، ودقاتها توتر أعصابها وتحطم بقايا هدوء يعيش لحظات الحشرجة.
دخلت ليز غرفة النوم تساعدها بربارة في ارتداء الفستان الابيض وفي

التبرج بينما عاد الن الى متجره، لم تكن العروس احسن حالا من رفيقيها فتزامن امتقاع وجهها مع اقتراب الموعد الى حد لم يعد ينفع معه ما وضعته من مساحيق على وجنتيها. كانت طوال الوقت شاردة الذهن، تفكر بما سيحدث بعد نصف ساعة، وتتساءل عن سبب احجام جايمس عن الاتصال بها أو ارسال أحد يطمئنها. هل تراجع عن عرضه فجأة بعد أن حصد نتيجة لعبته القذرة، وعادت اليه بولا صاغرة طائعة؟

فجأة سمعت قرعاً متواصلا على الباب، فأمسكت ثوبها تكاد تمزقه من شدة اضطرابها. فتحت بربارة الباب لتجد الن وقد عاد باكراً ليستعد بدوره للزفاف. حدج ليز بنظرة رقيقة:

ـ ما هذا الثوب الرائع يا ليز! وهذه القبعة ستفتن الجميع. منذ حداثتي وأنا أهيم بالقبعات الكبيرة. هل تذكرين قبعتك يا بربارة؟ تلك التي سقطت...

قاطعته بربارة مكملة:

ـ عن الجسر الخشبي حيث اعتدنا التنزه كل مساء. كانت قبعة جميلة انتهت في قعر ذلك النهر اللعين.

هتف الن بمرارة مصطنعة:

ـ يا لها من مأساة!

شاركتهما ليز الضحك ناسية لوهلة اضطرابها وارتعاشها المتواصل.

ـ ما رأيكما بفنجان من القهوة يهدىء أعصابنا؟

سارعت ليز الى الرفض شاكرة:

ـ لا تحسب حسابي يا الن، فأنا...

لم تدعها بربارة تنهي عبارتها:

ـ يجب ألا ترفضي لالن طلباً في مثل هذا اليوم.

ورافقت زوجها الى المطبخ لتهمس في أذنه:

ـ انها فكرة صائبة. ستتمكن الآن من استقباله بمفردها.

ـ هل تعتقدين انه سيأتي؟

ـ لا أريد التفكير بذلك (ونظرت اليه بقلق) سيأتي، فلا شيء يدعوه لالحاق الأذى بها.

لم تكد تنهي كلامها حتى قرع الباب من جديد، فهرولت ليز من غرفتها نحو الباب لكنها جمدت في مكانها للحظات تلتقط أنفاساً هاربة، وتفحصت ساعتها. انها الحادية عشرة الا بعض دقائق. فتوقعت ان يكون القادم روبرت جيليان يحمل اليها رسالة اخرى. لكن دهشتها كانت عظيمة وهي تنظر الى جايمس مرتدياً بذلة رمادية أنيقة زادته سحراً وجاذبية. وقفت أمامه مذهولة وتمتمت:

ـ هذا أنت.

ـ ألم تتوقعي مجيئي؟

ـ بكل تأكيد.

دعته للدخول غير مصدقة انه هنا. كان صادقاً فيما قاله ولم يكن يخدعها حين طلب يدها على الشاطىء.

تطلعت الى باب المطبخ المفتوح قائلة:

ـ أخبرتك عن السيد والسيدة كول اللذين كنت أعمل عندهما. انهما أعز اصدقائي.

رحب صديقاها «بالزائر المنتظر» أحسن ترحيب، لكن جايمس كان على عجلة من أمره.

ـ الوقت يدهمنا، أسعدني لقاؤكما. سنلتقي في دار العمدة.

نظر الن وهو يهم بفتح باب سيارته الى سيارة اخرى فخمة متوقفة امام منزل ليز قائلا:

ـ انها لجايمس على ما أعتقد. حبيبتنا محظوظة للغاية.

أجابت بربارة بانفعال ظاهر:

ـ لماذا لم يقبلها عند وصوله؟

ـ ربما يقوم بذلك الآن.

ـ ولماذا لم يفعل ذلك امامنا؟

ـ أظن انه يفضل الاستمتاع بذلك على انفراد.

ـ ربما لكنه لم يبد اي استعداد لذلك. أراهنك على انهما سيلحقان بنا فوراً.

كان لقاء جايمس بعروسه بارداً للغاية، وبربارة كانت محقة في ظنها، فهو لم يطوقها بذراعيه ولم يصدر عنه أي اطراء على ثوبها وكأنه غير مبال. بل

اكتفى بالقول:
ـ هلا ذهبنا.
اعتمرت ليز قبعتها بارتباك وأحكمت تثبيتها على رأسها ثم رفعت فستانها بيديها الاثنتين كي لا يطأ الأرض أو تتعثر به في سيرها. أطلعها جايمس في طريقهما الى السيارة على رغبته في قضاء شهر العسل في الخارج. سيزوران باريس أولا ويغادران بعدها الى بروكسل. فتمتمت تومىء برأسها موافقة:
ـ حسناً.
قبل ولوجها السيارة أوقفها احد جيرانها سائلا:
ـ أذاهبان لحضور زفاف؟
ـ أجل.
تأملها الرجل باعجاب من غير ان يصدر عنه ما يشير الى ان ليز هي العروس. جلست ليز في مقعدها واجمة تنظر الى البعيد. سألها جايمس بدهشة:
ـ ألا يعرف الجيران بزواجك اليوم؟
ـ كتمت الأمر عن الجميع ما عدا بربارة وألن. أليس هذا ما أوصيت به؟
ـ يا لك من فتاة حصينة! لم أتوقع ذلك منك.
ـ هل أخبرت أحداً؟
ـ أبداً.
وصلوا الى دار العمدة من غير ان يصادفوا أحداً. المكان خال الا من بعض الموظفين وأصحاب المعاملات. لا رجال صحافة ولا مصورين. دخل الأربعة غرفة صغيرة حيث رحب بهم رجل بهي الطلعة فارع الطول وبدأ فوراً مراسم الزفاف من غير ان يبدو عليه انه عرف جايمس فنتون على حقيقته. اقتصر الحفل على آل كول والعروسين وروبرت جيليان وزوجته اللذين انضما الى الباقين متأخرين. ارتفع صوت ليز موافقة على ان تكون زوجة جايمس فنتون ومدّت يدها تستقبل خاتماً من الذهب الخالص مرصعاً ببضع حبات من الالماس، دخل اصبعها بسهولة أدهشتها، فلم يسبق ان سألها احد عن قياس اصبعها.

ألقت نظرة سريعة على جايمس واقفاً ازاءها يجيب على أسئلة العمدة، فأحسته غريباً عنها. وتساءلت ان كان حقاً يدرك أبعاد ما يقوم به في هذه اللحظة. ما زالت حتى الآن غير مقتنعة بما يحصل. ربما قرر جايمس الذهاب في لعبته حتى النهاية ضارباً عرض الحائط بكل القيم ومتجاهلا انعكاس لعبته على حياتها. علقت عيناه في عينيها للحظات فتراءت لها صورة بولا بوضوح في عينيه الداكنتين.

وقع الاثنان على سجل احمر كبير وخرجا الى قاعة فسيحة يتقبلان التهاني. قبلتها بربارة بحرارة وعيناها مغرورقتان بالدموع. ثم تقدم روبرت منهما مهنئاً وقدم زوجته ليليان الى ليز، فحيتها بوجه ضاحك وهنأتها بدورها على زواجها من جايمس متمنية لها السعادة والهناء. بالرغم من توددها، لم ترتح ليز لها، فهي على يقين من ان روبرت وزوجته يتصنعان البسمة والاهتمام اكراماً لجايمس فقط. في عيونهما بريق غريب يفضح مقتهما وازدراءهما، فلم تستطع علاماث السعادة الزائفة ان تحجبه عن نظر ليز. لا شك في انهما يحبان بولا كافيل اكثر، فهي تصلح لأن تكون مكانها اليوم لما تتمتع به من شعبية وشهرة تمكناها من استحقاق لقب زوجة المليونير فنتون اكثر منها، ومشاركته امبراطوريته الكبيرة.

بات قلقها أعظم، يلقي بحمله على تفكيرها وشرود نظراتها، فلم تشعر بذراع جايمس تطوق خصرها. فكرت كيف ستمضي حياتها في تيرجلين وحيدة، في غرفه الصامتة الخجولة وسكونه الطاغي. تساءلت عن مدى نجاحها كزوجة وربة منزل، وكيف ستتخلص من سذاجة طالما أحرجتها وأربكت حياتها. لن تنجح أبداً في التغلب على عاداتها القديمة، ولن تشعر بالراحة الا في عملها، وفي ضوضاء مهنتها وتعبها. لكن شتان ما بين العمل في الديكور وبين تدبير أمر منزل كبير كتيرجلين.

لم يخف ارتباك ليز عن بربارة وقد لاحظت تجهمها وشرودها، فهتفت قائلة:

ـ لن ندعكما تغادران الآن. ما رأيكم جميعاً بتناول الغداء في منزلنا؟

أرادت ان تهدىء من روع ليز قبل الرحيل، فوجه جايمس، بالرغم من جاذبيته التي لا تقاومها عينا امرأة، بدا قاسياً وغابت الابتسامة عن شفتيه طوال الحفل، وهذا يؤثر كثيراً على صديقتها صاحبة الحس المرهف والحالمة

ابداً. وزاد من شكوكها عدم تجاوب ليز مع فراغ جايمس تحيطها. علمت بربارة منذ البداية بخطورة زواج ليز من فتتون لكنها ارتأت الصمت خوفاً من الاساءة الى ليز. كان على ليز ان تفكر ملياً بخطوتها، لكن لن ينفع الندم بعد الآن وأقصى ما يمكنها عمله هو ان تتمنى لها حياة سعيدة ورغيدة. تقدمت من صديقتها وأمسكت يدها تضغط عليها مبتسمة:

ـ ما رأي العريسين في اقتراحي؟

سارع جايمس الى الاجابة:

ـ أنا متأكد من أن روبرت وليليان سيقبلان دعوتك بسرور. أما زوجتي وأنا فنعتذر شاكرين لاضطرارنا الى السفر.

راقبت ليز الحشدَ الصغير يبتعد، كل الى سيارته مخلفين وراءهم ذكرى باهتة لزفاف خجول سريع. لا ورود ولا زينة، اقتصر الأمر على تلقي التهاني وقبلات الوداع وكأنها ذاهبة الى جنازتها. حتى زوجها العتيد لم يقبلها. أليس هذا ما يفعله العريس فور انتهاء مراسم الزفاف؟

مدت يدها ملوحة الى مودعيها، تتساءل بقلق عن سبب احجامه عن تقبيلها. لم تشعر الا ويد جايمس تربت على كتفها مبتسماً بفتور وكأنه يهنئها على حسن تصرفها وتهذيبها حتى الآن. شعرت لتوها بمعاملته السخيفة لها، كطفلة وضعت في مدرسة داخلية تقف قرب المسؤول مودعة أهلها. تذكرت كلامه عن حاجته الى زوجة وقد حصل الآن على مبتغاه. خاتمه في اصبعها واسم عائلته قرب اسمها على جواز سفرها الجديد: ليز فنتون. أوشكت ان تضحك من شدة تأثرها وارتباكها. شعرت بحاجة ماسة لاخراج ما يعتمل في داخلها من احاسيس. تمنت الانفراد بنفسها لدقائق حتى تذرف دموعاً سخية علها تجلب لها الراحة. ماذا سيظنها جايمس ان أخبرته عن شعورها؟ سينعتها حتماً بالجنون أو بالهلوسة.

في طريقهما الى مكتبها للاتيان ببعض حاجياتها، لم تنطق ليز بكلمة. أغمضت عينيها كعادتها في كل نزهة، تحاول السيطرة على أعصابها. لم تعهد هذا التشنج في اعصابها من قبل وللمرة الأولى تحس اسنانها تصطك غضباً وخوفاً.

ما ان توقفت السيارة حتى هرعت نحو مكتبها غير قادرة حتى على الرد على ترحيب جيرانها بها. تبعها جايمس على مهل وفتح لها الباب مستفهماً:

ـ هل هناك ما يضايقك؟
ـ لا أبداً. اغراضي على المكتب.

انهمك جايمس في التقاط أغراضها وحاجاتها الصغيرة التي تتركها عادة في مكتبها، فيما راحت ليز تتنقل في أرجاء الغرفة من غير هدف: تفحصت نوافذها، ثم تأكدت من اطفاء الأنوار وعادت فأشعلتها من جديد. لم تكن تدري بالفعل عما تبحث وان كانت ستعود الى هذا المكتب. شيء ما يمنعها من الثبات ويدفعها الى الحركة باستمرار. نزعت قبعتها ودخلت مطبخاً صغيراً ترتب محتوياته المبعثرة. غسلت يديها وارتمت منهوكة على كرسي خشبي وحيد. مضت دقائق طويلة قبل ان يفطن جايمس لغيابها فدخل وراءها ليفاجأ بلونها الشاحب:

ـ هل أنت على ما يرام يا ليزا!

لم تجب وغطت وجهها بيديها تخفيه عن ناظريه، فأزاحهما برفق ومرر يده على جبينها بحنان ثم فتح الثلاجة الصغيرة وسكب لها كوباً من الماء.

ـ اشربي بعض الماء البارد فهذا سيساعدك على النهوض.

تناولت الكوب بيدين مرتجفتين تفكر بالنفق المظلم الذي دخلته اليوم. ستكون السيدة فنتون من غير ان تضمن نجاحها في تحمل وزر هذا اللقب وما يحمله من واجبات تجاه زوجها، خاصة الليلة.

نظرت اليه بعينين ذابلتين أتعبهما التفكير وأنهكهما القلق. كانت تعلم باجادته فن العشق، وسمعت عن مغامراته الكثيرة مع مختلف انواع النساء. كيف سيكون تصرفه معها الليلة، هل سيكون رقيقاً ومحباً أم انها مجرد ليلة عادية يضيفها الى سجل لياليه السابقة؟

أفرغت كأس الماء في جوفها دفعة واحدة.

ـ ألن تأكلي شيئاً؟
ـ لا شكراً.
ـ ألم تشعر بالجوع بعد؟
ـ أبداً.

توقعت ان يضمها الى صدره ويخبرها عن جوعه الى كلامها وحنانها، او ان يدللها ولو لدقائق. لكنه لم يفعل بل تركها ووحدتها تشعر بالاهمال منذ الآن. لماذا تزوجها ان لم يردها شريكة حياته؟ كان بامكانه الغاء كل شيء

في أي وقت شاء.
أغمضت عينيها من جديد وسألته:
- يبدو انك بدأت تندم على ما فعلت.
أجابها ببرودة زادتها حسرة وألماً:
- لا أبداً. انا متأكد من حسن اختياري. ستكونين الزوجة التي احتاج، وسأحاول ان اوفر لك كل متطلباتك.
- متطلباتي! ماذا تعرف عنها؟
- بما فيه الكفاية.
كادت ان تصارحه بما تشعر، وأن تعطي رأيها بزواجهما الغامض وما تتوقع منه. نسيت ليز قبعتها على مكتبها حين غادراه متوجهين الى المطار، فبدت سيدة عادية ترافق زوجها في رحلته. شعرت بالراحة لأنها تخلصت منها، وقررت اهداءها فور عودتها الى بربارة، فألن يحب القبعات الكبيرة. اليوم اكتشفت شساعة الفرق بينه وبين جايمس، فهي لا تعرف شيئاً عن ذوق زوجها ولا عن الأشياء التي تعجبه والتي لا ترقه. تصرف، وما يزال، كالغريب كلاماً وحركات، وكأنهما تعارفا منذ نصف ساعة فقط.
أصغت الى كلامه طوال الطريق مكتفية بردود مقتضبة، فوصلا الى المطار من غير ان يتطرقا الى أبعد من موضوع الطقس وسماع أخبار الاذاعة والتعليق عليها.
عند جلوسهما في مقعديهما على متن الطائرة، أخبرها جايمس عن الشخص الذي سيجتمع اليه أولا في باريس. دايفيد فوكس، مدير أعماله في العاصمة الفرنسية. أعلمها بعد ذلك عن برنامج عمله:
- سأضطر لحضور بعض الحفلات والمؤتمرات، وأتوقع منك ان تشاركيني حضورها وترافقيني في زياراتي الاجتماعية، سيكون لديك الوقت الكافي للتسوق والتجول ايضا.
- بمفردي؟
- كما يحلو لك. بامكاني تدبر أحد لمرافقتك.
- ألن ترافقني أنت؟
- أتمنى ذلك، لكن وقتي لا يسمح.
تناول أوراقاً من حقيبته الجلدية الفاخرة وراح يتفحصها متجاهلا

علامات الذهول المرتسمة على وجهها. ولما فقدت الأمل من محادثته، تناولت احدى المجلات تقلب صفحاتها بعصبية. انها رحلة عمل قبل ان تكون شهر عسل، ولو كان برفقة بولا كافيل لتدبر ساعات عدة ليمضيها معها في التسوق والتجول. اكتشفت متأخرة كم هو قاس. ربما أثر عليه عمله في الصلب والحديد، فأصبح يتصرف مع الناس كما يتعامل مع قطع الاسمنت وأطنان الحديد. لكن ما يهمها هو معرفة ان كانت ستلاقي المصير نفسه.

خرجا من مطار باريس، ليجدا في انتظارهما سيارة فخمة مع سائق بزي رسمي مرتب. استقلاها الى الفندق حيث سيمكثان طيلة اقامتهما في فرنسا. استقبلهما شاب أشقر قصير القامة مظهراً اهتماماً كبيراً بجايمس، وظنها للوهلة الأولى انها سكرتيرته. لكن تقديم جايمس لها غيّر تصرفه تجاهها فضحكت عيناه سعادة ورحب بها من جديد بحفاوة أكبر. وانصرف بعد ان اتفق وجايمس على اللقاء بعد ساعة.

خرج جايمس الى شرفة جناحهما الفخم يراقب زحمة السير، بينما راحت ليز تتفحص أرجاء الجناح بعينين خبيرتين زادهما اتساعاً اعجابها بما ترى. قرع الباب ليدخل خادم جاراً عربة صفت عليها أطباق الطعام بطريقة تثير الشهية.

أكلت ليز بنهم بعد نهارها المتعب واكتفى جايمس بتناول بعض الفاكهة والعصير ليعود بعدها الى النافذة من غير ان يتفوه بكلمة.

حيرها بتصرفاته وشاقها ان تكتشف كل سيئات خطوتها دفعة واحدة وفي ليلتها الأولى معه. ماذا سيظن دايفيد فوكس حين يراهما على هذه الحال؟ لن يصدق انهما في شهر العسل وأنها وجبتهما الأولى معاً بعد الزفاف.

أحست بالارتياح وهي تراقب جايمس يجمع أوراقه متأهباً لملاقاة دايفيد. عند رحيله أقفلت الباب خلفه وعادت تمعن النظر في الأثاث تتفحص كل قطعة على حدة. استعادت حريتها الآن، غير مأسورة بملاحظة تصرفاته أو تفسير عباراته. فتحت حقائبها وعلقت ثيابها في الخزانة ثم حاولت ان تلهي نفسها فاستحمت وبدلت ثيابها من غير ان تتمكن للحظة من طرد صورته من مخيلتها. قال انه سيعود في العاشرة، وراحت

تنظر الى ساعتها بقلق يفوق قلقها قبل موعد الزفاف. تمنت لو بامكانها ابطاء عقربي ساعتها لتؤخر عودته هذه الليلة. ليته أخل بوعده هذا الصباح ولم يطرق بابها، فلا شاهد على ذلك غير بربارة وألن. خروجه الليلة وفر عليها احراجاً كبيراً، فعليها ان تخلع ثيابها امامه وتندس في الفراش بقربه. كيف كانت ستقدم على ذلك وهي تخجل من التقاء نظراتهما. تطلعت الى نفسها في المرآة مرتدية قميص نومها القطني لتدرك كم تفتقر الى الجاذبية. لاحظت التجويف تحت وجنتيها واتساع فمها. وتحسست بهلع عظام ترقوتيها البارزتين وضلوعها النافرة بوضوح تحت قميصها. كل الفتيات اللواتي تراهن في المجلات يفقنها جمالاً، حتى القبيحات منهن. تحسست وجهها بأناملها وابتسمت متمتمة:

- ما أنا سوى فتاة واهمة، ما بالي أقف كالبلهاء هنا؟

حدثت نفسها بصوت منخفض ولم تنتبه الى جايمس يدخل غرفة الجلوس ويفاجئها جالسة في وسط السرير. حياها قائلاً:

- مساء الخير، أراك ما زلت مستيقظة.

قررت عند ذهابه ان تتظاهر بالنوم حين يعود. يا ليتها فعلت ذلك، فكلامه يدل على انه كان يتوقع رؤيتها نائمة عند عودته. لم تنبس ببنت شفة. راقبته يدخل الحمام للاغتسال، ولما خرج حافي القدمين كانت ما تزال جامدة في مكانها. رمقها بنظرة ذهول هاتفاً:

- بربك يا ليز، هلا استرخيت قليلاً.

- هل كانت ليلتك متعبة؟

- كانت ليلة صاخبة لكني لست متعباً.

احست بقميصها تكاد تخنقها. فسألها فجأة:

- لماذا تزوجتني يا ليز؟

- لا . . . لا أدري.

لم تكن تعلم بحق لماذا تزوجته،حصل كل شيء كالحلم من غير ان تدرك السبب. حدقت في صدره وتساءلت عن عدد اللواتي اسندن رؤوسهن اليه. حاولت ان تتجنب نظراته فعيناه الداكنتان تكادان تلتهمانها. تقدم منها ببطء قائلاً:

- صحيح اني أملك ثروة طائلة لكنني أتوقع الحصول على مقابل.

همست برعب وقد جحظت عيناها تحس انها سيغمى عليها:
- لا شك في ذلك.
- لا تقلقي فالعالم يعج بالنساء، ولا أنوي اللجوء الى القوة. كل ما احتاجه هو زوجة تريحني وتضع حداً لتهافت النساء للزواج مني، ولا أحفل ان كان زواجي منها شكلياً ام لا.
- أصحيح ما تقول!
- ان كان هذا ما تريدينه فأنا موافق.
وأردف مبتسماً. قومي بتمثيل دورك على أكمل وجه وسألتزم بالمساومة، وأدعمك في مهنتك.
نظرت اليه يمرر اصبعه على وجنتها برفق منهياً عبارته:
- شيء واحد لا أحتمله وهو الاكثار في طرح الأسئلة، فهذا يزعجني كثيراً.
شعرت بقشعريرة تسري في عمودها الفقري من جراء تهديده المبطن. لكنه ضحك فجأة وخلع سترة بيجامته قائلا:
- والآن، عليك باغماض عينيك. فأنا لا أريد ان أغير مجرى حياتك.
صح ما توقعته، فقد خلع ملابسه وكأنه اعتاد على ذلك. نظرت الى بشرته الداكنة وعضلاته المفتولة ومنكبيه العريضين، وهو يتجه الى الباب يقفله ثم يطفىء الضوء لتغرق الغرفة ومن فيها في ظلام دامس. لم تجرؤ على الحراك ووضعت الوسادة في حضنها واتكأت الى حافة السرير، تتلمس الخاتم في اصبعها. انه الشيء الوحيد الذي يذكرها بما حدث هذا النهار.
سمعت صرير سريره وهو يرتمي عليه وما لبث ان راح يغط في نوم عميق، فسحبت ليز الغطاء ووضعته فوق رأسها، علها تفلح في ابعاد شبح الارق عن عينيها.

٧- الحب ساعة قديمة

نامت عند الفجر ساعة وحيدة استيقظت بعدها لتجد جايمس يتهيأ للخروج. أغمضت عينيها من جديد تتظاهر بالنوم عله يتغاضى عن ايقاظها. ارتدى قميصاً حريرياً اخضر اللون، زين كميها بزرين ذهبيين، وعقد ربطة عنق فاخرة. راقبته من تحت الغطاء متمنية لو يغير رأيه ويمضي النهار بكامله معها، فهذا من شأنه ان يريحها وينسيها احداث الليلة الماضية. انه نهارها الأول في باريس ومن شهر العسل وبالرغم من ذلك سيخرج تاركاً اياها فريسة الوحدة. لكنها ستجد ما يلهيها عن التفكير به وبحظها العاثر. سمعت طرقاً على الباب، ورأت جايمس يخرج من الغرفة، وما هي الا لحظات معدودة حتى سمعت همسات في غرفة الاستقبال وصوت عربة تتجه ناحية غرفتها. نهضت تسند ظهرها الى حافة السرير تنتظر عودة زوجها.

أدخل جايمس عربة الافطار وأوقفها قرب السرير.

ـ صباح الخير يا ليز.

ـ صباح الخير.

ـ هل أنت مستعدة لتناول الافطار؟

ـ سأكتفي بقليل من القهوة.

بات يعرف كيف تحب قهوتها، قليل من الحليب والسكر. ناولها فنجانها بينما حمل فنجانه وتوجه الى غرفة الاستقبال من جديد. راقبته من خلال فتحة الباب يجلس الى مكتبه، أمامه حقيبته الجلدية، قائلا بصوت عال:

ـ دعوت دايفيد فوكس وصديقين من رجال الأعمال وزوجتيهما للعشاء

الليلة. هل تتكلمين الفرنسية؟
- بعض العبارات التي تعلمتها في المدرسة.
- لا بأس. حاولي ان تكوني جاهزة في تمام السادسة.
لم تدر ان كان يعني برده هذا ان المامها الضعيف بالفرنسية كاف ام انهم يتكلمون الانكليزية. لم تحاول الاستفهام. كانت تريده ان يرحل كي ترتاح وتقرر ما ستفعله. انهى شرب قهوته في غرفة النوم، ثم ارتدى سترته مشيراً الى حافظة نقود موضوعة على الطاولة:
- سأعمل على تخصيص راتب شهري لك، أما الآن فيمكنك التصرف بهذا المبلغ الصغير. وان أردت شراء ثياب فستتكفل ميشيل بدفع الثمن.
- من؟
- ميشيل بنوا. انها تعمل في مكتب دالهيد وسترافقك خلال تجولك في باريس.
وضع فنجانه على العربة من غير ان يتناول افطاره وخرج مودعاً:
- طاب يومك والى اللقاء في السادسة.
رشفت ليز قهوتها بهدوء تنظر الى حافظة النقود بازدراء. لم يرقها كلامه عن المال وكأنه يفعل ما يمليه عليه الواجب، فيهبها ما يكفيها من مال لهذا اليوم كمن يعرض على الآخر النزول الى الشارع والاستمتاع بالتبذير. صفتها كزوجة تخولها الحصول على المال لشراء ما تحتاجه لكن ليس بهذه الطريقة. لن تستغل هذا الواقع ولن تطالبه بأكثر مما تحتاج. ان كان يظنها تسعى وراء ثروته فهو مخطىء.
فتحت حافظة النقود لتفاجأ بضخامة المبلغ الموجود فيها. احسته ثمناً لحريتها. انه يعاملها كسلعة ويخاطبها بلغة المال كما اعتاد ان يفعل مع غيرها. أقفلت الحافظة بنفور ورمتها على الطاولة.
استحمت وارتدت ثيابها بعجلة على غير عادتها لجهلها موعد قدوم رفيقتها. أرادت ان ترتدي ثوباً حريرياً وفوقه السترة التي اشترتها قبل زفافها لكنها استعاضت عن ذلك بسروال ازرق وقميص قطني أبيض اللون. انها الآن سائحة تطوف في مدينة لم تزرها قبلا، فلا حاجة للظهور كزوجة جايمس فنتون قبل ان يحين موعد العشاء.
سمعت رنين الهاتف في غرفة الجلوس فهرعت ترفع السماعة لتسمع

موظف الفندق ينبئها بوصول الآنسة بنوا، فأجابت:
ـ شكراً. سأنزل في الحال.
حملت حقيبتها بعد ان دست فيها حافظة النقود التي تركها جايمس، ونزلت الى الطابق السفلي لتفاجأ عند خروجها من المصعد بحشد بشري هائل يملأ ارجاء الردهة الكبيرة. احتارت كيف تهتدي الى تلك الآنسة وهي لا تعرف عنها سوى الاسم فقط.
وقفت ازاء حوض للأزهار تجيل الطرف في الردهة الواسعة من غير ان يقع نظرها على فتاة تقف وحدها، أو يبدو عليها انها تبحث عن احد. همت بالتوجه الى مكتب الاستعلامات لطلب المساعدة، لكنها التقت بفتاة يانعة مربوعة القامة، ترتدي فستاناً اخضر وتزين صدرها بوردة صفراء كبيرة، وعلى رأسها قبعة. هتفت الفتاة بالفرنسية:
ـ أرجو المعذرة يا سيدتي، هل انت السيدة فنتون؟
اجابت ليز متلعثمة من وقع المفاجأة:
ـ آه، اجل.
أزعجتها نظرات الآنسة اليها فتصنعت ابتسامة باردة وقالت:
ـ حسناً، ماذا سنفعل اليوم؟ فأنا حديثة العهد في هذه المدينة.
سألتها ميشيل بالانكليزية محافظة على لكنتها الفرنسية:
ـ ألم تزوري باريس من قبل؟ هذا غير معقول!
ـ لكنها الحقيقة يا آنسة؟
ـ هل تحبين زيارة محلات الألبسة؟
ـ بكل ترحيب.
قبلت ليز الأمر الواقع على مضض، فهي تدرك ان معظم أصدقاء جايمس يعرفون بولا كافيل، فأول ما يتبادر الى ذهنهم هو اجراء المقارنة بينها وبين الممثلة الشهيرة. حركاتهم يشوبها التصنع والتكلف، وفي كلامهم المعسول هزء وازدراء. انها ترى ذلك بوضوح الآن، في تعابير وجه ميشيل وفي ابتسامتها وعينيها. لا شك في انها ستعود الى مقر عملها غداً وتبدأ الكلام عنها بسخرية تستدر ضحك بقية الموظفين.
طافت ليز مع دليلتها أشهر شوارع باريس، حيث محلات الثياب الفاخرة. أحست ليز انها في عالم مختلف لم تحلم برؤيته. سحرتها الأثواب

البديعة بألوانها الرائعة المتناسقة لكنها أحجمت عن الشراء خوفاً من انتقادات دليلتها المتعجرفة.

عادتا بعد ساعات الى الفندق حيث تناولتا الغداء، واعتذرت ليز شاكرة لاضطرارها الى كتابة بعض الرسائل ومتمنية رؤيتها مرة أخرى قبل ان تغادر باريس مع جايمس.

- أنا رهن اشارتك يا سيدة فتون.

اجابتها ليز مصافحة:

- لقد قمت بواجبك خير قيام اليوم، وأنا أشكرك كثيراً على ذلك. الى اللقاء.

تنفست ليز الصعداء حين دخلت غرفتها وارتمت على السرير. هربت من تلك الفرنسية وكأنها تهرب من كابوس يطاردها. أغمضت عينيها تنشد بعض الراحة. لكنها ما لبثت ان نهضت وتناولت حقيبتها متجهة من جديد الى ردهة الفندق. ستسيح وحدها وستختار ما يناسبها من أغراض من غير وصاية تلك الفرنسية.

تسمرت ليز في مكانها حين رأت الآنسة بنوا ما تزال في الفندق تخاطب احدى السيدات، ضاحكة تومىء بيديها وكأنها تسرد قصة مضحكة للغاية، فأنبأها شعورها بأن الكلام يدور حولها. خرجت من الفندق لا تلوي على شيء، متجاهلة وجود ميشيل، واستقلت سيارة اجرة نقلتها الى متحف اللوفر الشهير حيث طافت في أرجائه المليئة بالتحف والآثار الخالدة. وقفت مدهوشة امام لوحة الموناليزا، وأحست كأن فيها شيئاً منها. تلك الابتسامة الباهتة والحزن الساكن في العينين ذكراها بنفسها وبحياتها التي لم تعرف الاستقرار أبداً. لم تتمكن من الاسترسال في طوافها لارتباطها بموعد مع جايمس، فقفلت راجعة الى جناحها في الفندق. لم تلاحظ في الغرف ما يدل على عودة جايمس أثناء غيابها، فاستحمت وارتدت الثوب الذي لبسته خلال الزفاف ثم جلست امام المرآة تتبرج بعناية فائقة.

قبل السادسة بقليل سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفة النوم وصوت جايمس هاتفاً:

- مرحباً يا زوجتي العزيزة.

- أهلا يا جايمس.

ـ سنغادر بعد عشر دقائق. تبدين في منتهى الاناقة.
ـ صحيح؟ شكراً.

دخل جايمس يغتسل بينما جلست ليز قرب النافذة كما فعلت ليلة امس وهذا الصباح. انه المكان المفضل لديها في شهر العسل بالرغم من ان جايمس لم يحاول ابداً مشاركتها في جلستها هذه. بدا لدى خروجه من الحمام رائعاً كعادته، ببذلته الزرقاء وصفاء وجهه. سألها وهو ينتعل حذاءه:

ـ هل رافقتك ميشيل الى السوق اليوم؟
ـ اجل.
ـ وماذا اشتريت؟
ـ لا شيء.

بدا عليه الاستغراب وكأنه يتوقع منها العكس. ولم لا؟ فهي زوجته وتحتاج الى تشكيلة كبيرة من الأثواب لتملأ فراغ خزانتها. قالت بتهكم جلي:

ـ لدي انطباع بأن الآنسة بنوا ستقدم تقريراً مفصلا عن أي ثوب اختاره.

علق جايمس بمزيد من الدهشة:

ـ هل لهذا تأثير على اختيارك؟
ـ لا أعتقد ذلك.
ـ لا يمكنك الاستمرار في ارتداء هذا الثوب الى ما لا نهاية بالرغم من جماله.
ـ طبعاً لا، فزوجتك مرآة حياتك، أليس كذلك؟ سأبتاع غداً ثوباً جديداً شرط ان أذهب وحدي.
ـ كما تشائين، والآن هلا نزلنا الى الردهة فضيوفنا ينتظرون.

انضم جايمس وليز الى المدعوين في مطعم الفندق الفخم. رجلان في مقتبل العمر، بيار بيليرين مهندس معماري بدين القامة قصيرها، وجول لاكلنيش صاحب أكبر اسطبل في باريس. بدت على الزوجتين علامات الرفاهية والجاه. تتمتع زوجة السيد بيليرين بقسط وافر من الجمال لم يخف عن نظرات ليز بشعرها الأحمر الطويل وعينيها الواسعتين الشرهتين واللتين

لم تفارقا جايمس لحظة واحدة. لاحظت ليز فارق السن بينها وبين زوجها وأدركت في لحظات الدافع الى زواجها منه. اما السيدة لاكلنيش فهي باريسية صرف، في سن زوجها، زادها ثوبها الاسود الفضفاض أناقة وأنوثة. قدم جايمس زوجته الى أصدقائه، كل بمفرده، وهالها ما رأته في عيونهم من نظرات استهجان وفي ترحيبهم من برودة واستهتار، ولم تتمكن من كبت انفعالها الا بعد ان أقنعت نفسها بأنها في مكتبها تستقبل زبائنها. اعتبرتهم زبائن عاديين، ففي هذه الحالة فقط لا تحمر خجلا والا انهارت في لحظات، بل ستكون ليز لاثام مهندسة الديكور العادية وتحافظ على هدوئها مستمعة الى مناقشاتهم التافهة، وتراقب حركاتهم المصطنعة وتنسى نفسها كلياً. كانت وجبة شهية حفلت بالأطباق الفرنسية المتنوعة، سمك مشوي مع صلصة السماق والفلفل، ثم قطع من الأوز مغطاة بشرائح البرتقال وقطع اللوز والهليون. بعدها قدمت انواع الجبن التي نادراً ما تخلو منها مائدة فرنسية. تبادلوا الأحاديث كأصدقاء قدماء وتكلموا الانكليزية اكراماً لليز.

انهت فرناند لاكلنيش طعامها والتفتت الى ليز طالبة نصيحتها:

- انتقلنا حديثاً الى منزل جديد، ولست راضية أبداً عن غرفة النوم. سأريك اياها يوم السبت لأني لا أدري ماذا أفعل.

لا تعرف ليز شيئاً عن يوم السبت ومع ذلك ابتسمت مصغية الى محدثتها تكمل عبارتها:

- ليست غرفة واسعة لكن سقفها عال جداً.

سألت ليز بجدية:

- ما لون السجادة فيها؟

- خضراء.

- طلاء السقف باللون نفسه سيخلق تناسقاً بين ارتفاع السقف وضيق الغرفة.

أومأت مدام لاكلنيش برأسها موافقة:

- هذا كلام منطقي. هل ستتابعين عملك بعدما أصبحت السيدة فنتون؟

سارع جايمس الى الرد مبتسماً ابتسامة ذات مغزى:

ـ لزوجتي حقوق خاصة تتعلق بمهنتها (ووضع يده على يد ليز متابعاً) وسعادتنا الحقيقية تكمن في اكمالها مهنتها.

للمرة الأولى يظهر جايمس أمام الآخرين اعجابه بعملها وتساءلت ليز عن صحة شعوره. لكن أكان صادقاً أم لا، فقد جعلها تحس بأنه يعتز بعملها أمام أصدقائه، ويفتخر بنجاحها فيه. استمر جايمس على هذا المنوال بقية السهرة. يشيد بها وبما أنجزته من أعمال نالت شهرة كبيرة. عند عودتهما الى الجناح بادرته ليز بقولها وهي تساعده في خلع سترته:

ـ أرجو ألا أكون سببت لك احراجاً الليلة.

اضاء جايمس ضوءاً خفيفاً قرب السرير واتجه الى النافذة يسحب الستائر سائلا:

ـ أي احراج يا ليز؟

ـ كلهم ناجحون في أعمالهم، أليس كذلك؟ ويتوقعون ان تكون زوجتك مميزة مثلهم.

ـ ألست كذلك؟

شعرت بالارتياح لسماعها جوابه بالرغم من عدم قدرتها على رؤية تعابير وجهه والتأكد من أنه لا يسخر منها. وقفت قربه تنظر الى الساحة وقد اختفت زحمة السير، فبدت شبه مهجورة لا حياة فيها. أشارت باصبعها الى احد المحلات وقالت:

ـ هناك محل لبيع الزهور. راقبته هذا الصباح وفضلت الحصول على باقة زهر بدلا من ذلك المبلغ في حافظتك.

ـ حسناً. ستحصلين على باقة ورد.

ليس هذا ما قصدته، فهي لا تريد ان تطلبها منه، بل ان يشتريها من تلقاء نفسه ويقدمها اليها، طابعاً على وجنتيها قبلة ناعمة كما فعل ذلك الشاب في الصباح. وقفا جنباً الى جنب كما فعلا مرة على الشرفة في تيرجلين، لكنه في تلك الليلة ضمها الى صدره وعانقها، ومنذ ان أصبحت زوجته لم تشعر بدفء يده الا نادراً. همت بالكلام:

ـ غداً . . .

لكنه قاطعها قائلا:

ـ سأغادر في الصباح الباكر وأعود متأخراً. ان احتجت الى شيء ما . . .

أدركت انه سيقول لها كي تتصل بمكتبه، فسارعت الى القول:
ـ سأقوم بنزهة في الجوار لأشتري ثوباً جديداً. هل سنذهب الى منزل لاكلنيش يوم السبت؟
ـ أجل. وسنعود يوم الاحد، فهم يقيمون عادة حفلات رائعة.
أحست بشغف الى ان تكون قربه، وبتوق الى ذراعيه تحيطان بخصرها، فالتصقت به قائلة:
ـ اذن سأحتاج الى ما أرتديه لتلك الحفلة.
نظر جايمس الى الشارع غير آبه بحركتها:
ـ لا تنسي القاء نظرة على غرفة النوم، لكن الفتى نظرها الى كونك محترفة. انها مشهورة بكرهها الشديد للانفاق وستحاول جاهدة ان تستشيرك من غير مقابل.
ابتسمت ليز بدهاء وقالت:
ـ كوني ضيفة لا يمنعني من المطالبة ببدل الاتعاب. أليس كذلك؟
استدار فجأة ناحيتها وطوقها بذراعيه:
ـ ربما.
اسندت رأسها الى كتفه ترقب القمر يلقي خيوطه الفضية على الشارع. فتنعكس على حجارة الأرصفة مشكلة لوحة رائعة. أغمضت عينيها تتمنى سماع عبارة ناعمة منه تملأ فراغاً هائلا يتخبط فيه قلبها. ليته يقول الآن، أحبك. لن تخشى الحب معه ان عاملها كما فعل الليلة في مطعم الفندق. فجأة، علا رنين الهاتف فأشعل جايمس النور ورفع السماعة في غرفة الجلوس. انها مكالمة عمل تتعلق بيوم غد، فجلس على احد المقاعد يدون ملاحظات لم تعن شيئاً لليز، فدخلت الحمام تستعد للنوم. عند خروجها رأته جالساً الى مكتبه يتصفح مجموعة من الأوراق نثرها امامه. ولم يمض وقت قصير حتى عاد الى الغرفة وتناول كتاباً من حقيبته مكتفياً بالقول:
ـ تصبحين على خير.
أقفل الباب خلفه تاركاً اياها في السرير غارقة في بحر من التساؤلات. لا تدري ان كان ما يزال في مكتبه ام خرج. فالساعة لم تشر الى العاشرة بعد وربما نزل الى المطعم من جديد أو الى الشارع. همت بفتح الباب لتتأكد من ظنها، لكن شعوراً غريباً ابقاها جامدة، فهي في قرارة نفسها لا تريد ان

تعرف مكانه، استسلمت في النهاية الى نوم عميق. كانت تعبة من الطواف في شوارع باريس، ومن لعب دور السيدة فتنون أمام الضيوف.

استيقظت في الصباح كعادتها على صوت عربة الافطار فكانت فرصتها الوحيدة لترى جايمس قبل مغادرته الفندق.

أمضت نهاراً ممتعاً من غير ان تشعر بالوحدة، فقد اعتادتها منذ زمن. اشترت خريطة لمدينة باريس فزارت اماكن طالما راودت مخيلتها. ذهبت الى برج ايفل، ساحة مونمارتر والى حدائق التويليري. في طريقها دخلت محلا صغيراً في احد الأزقة وابتاعت ثوباً مخملياً، كحلي اللون لترتديه ليلة السبت، وقميصاً زهرياً، لم يسبق أن ارتدت شيئاً كهذا ولكن عليها من الآن ان تتآلف والأجواء المحيطة بها. عند عودتها، طلبت العشاء الى غرفتها وجلست تلتهم الطعام بنهم لشدة جوعها بسبب نزهتها الطويلة، وأمامها باقة ورد كبيرة تزين صدر الغرفة. حصلت على ما تريد لكنها تشك في ان تكون يد جايمس التي اختارت الورود. لا بد وانه كلف احداً بذلك. قد تكون تلك الآنسة الفرنسية الموكلة بالسهر على خدمتها وتأمين احتياجاتها.

بعد العشاء، جلست على الأريكة الكبيرة في غرفة الاستقبال، تقرأ في كتيب صغير وجدته على الطاولة عند دخولها. برنامج سياحي كامل، زيارة المتاحف وحضور المسرحيات وغيرها من الأمور لتلهيها عن الشعور بالوحدة وغياب جايمس عنها. مزقت ليز الكتيب ورمته في سلة المهملات تفكر في الساعات التي تمضيها بمفردها في هذا الجناح اللعين، مع خيارين لا ثالث لهما. اما التسوق والهيام على وجهها في الشوارع المزدحمة، واما الجلوس بقرب النافذة تراقب محل الزهور.

كانت في سريرها عندما سمعته يغلق الباب الرئيسي خلفه، فنادت:

- جايمس.

دخل غرفة النوم من غير ان يضيء النور فأحست بتخدر يسري في جسمها، فلم تقو على الحراك وجاهدت حتى أشعلت النور الصغير قرب سريرها. وقف ينظر اليها مبتسماً. لم يعن له وجودها بقميص النوم الشيء الكثير، ربما لأنه اعتاد هذه المشاهد فبات يتمتع بمناعة ضدها.

لم يسبق ان أمضت الليل مع رجل بمفردها قبل ان أدخلت هذا الخاتم في

اصبعها، لكن الأمر يختلف بالنسبة لجايمس. انه قادر على التجول في الغرفة من غير حرج. لن تقوى أبداً على فعل ذلك أمامه بالرغم من كونها زوجته.
نهضت تتكىء على مرفقها قائلة بصوت متهدج:
- ليتني استطيع . . . الحصول على غرفة خاصة بي. هل هذا ممكن؟
- لم لا؟
خلع سترته وعلقها في الخزانة وبدأ يخلع قميصه:
- غير أني أفضل ان يبدو الأمر وكأنه زواج مثالي، على الأقل في شهر العسل. باستطاعتك الحصول على غرفة خاصة عند عودتنا الى تيرجلين. ستحتاجين ايضا الى مكتب. فابحثي عن مكتب وشقة لعملك.
هتفت ليز بزهو:
- شقتي ومكتبي القديمين؟
- اختاري ما تشائين، فهذا جزء من الاتفاق. ألم أعدك بالدعم؟ ما دمنا نتكلم عن اتفاقنا، فلنعالج مسألة راتبك لأنك ستحتاجينه.
- لماذا؟ لأكون الزوجة التي تريد؟
- أجل.
- أصحيح انك تزوجت حتى تتخلص من الحاح الفتيات في طلب الزواج منك؟ لا أظن، فالأمر يبدو عكس ذلك. تزوجتني لأنك في الحقيقة لا تريد زوجة.
وقف جايمس في وسط الغرفة يستمع اليها بهدوء ثم أجاب:
- انك تبالغين في تفسيرك الأمور.
- أنا انسانة عادية وحسب.
نظر اليها متوعداً:
- لا تحاولي خداعي يا ليز.
انه على حق وهي تعلم ذلك. احياناً لا تقدر على فهم نفسها، فاتكأت على حافة السرير تسأله غير مبالية بعاقبة كلامها:
- أليس هذا السبب الحقيقي لزواجك مني، لأني انسانة عادية.
فاجأها بهدوئه وبرودته مجيباً:
- اخترتك لأني لم أرد زوجة قد يصبح لها نفوذ عليّ. لا أريد الرضوخ لسلطة أية امرأة.

ظنته يسخر غير مصدقة ان هذا الوجه القاسي يخشى سيطرة امرأة وسطوتها. لكنه لم يبتسم وتقلصت عضلات وجهه. لا بد انه مر بتجربة مؤلمة لا يريدها ان تتكرر مرة أخرى. انها ولا شك بولا.

ـ ألا تريد ان تحب أحداً؟

رمقها بنظرة حزينة اختصرت ما يعتمل في نفسه وأجاب بتهكم:

ـ بل على العكس، شرط ان يقتصر الأمر على الناحية العاطفية.

أدركت الآن انه تزوجها بسبب ثقته بها ومن غير ان يشعر بشيء نحوها. نزاهتها ووثوقه من عدم قدرتها على ايذائه جعلاه يختارها هي واستغل ضعفها ليهرب من تجربته الأليمة. استعملها درعاً يقيه من شرارات الماضي ولسعاته، فعقدا اتفاقاً وتعاهدا على الشراكة لكن عليها ان تحمي ايضا نفسها من الأذى. ما قاله الآن جرحها بالرغم من علمها المسبق بحقيقة شعوره نحوها، فقد سألته عن سبب اختيار فتاة مثلها زوجة له في ليلة عرسها، وكان جوابه مؤلماً كما الآن. قررت التحدث عن شيء آخر لا يتعلق به وتذكرت نزهتها اليوم فقالت تكتم دمعاً يكاد ينفجر غزيراً:

ـ اشتريت ثوباً جميلا اليوم. انه في الخزانة.

ألقى جايمس نظرة سريعة على الخزانة معلقاً:

ـ هذا؟ هل هو لليل او للنهار؟

اربكتها نظرته الغاضبة الى الثوب:

ـ للنهار على ما اعتقد... سأرتديه غداً مساء، وسيبدو أجمل عندما البسه.

ـ أرجو ذلك.

ذكرها جوابه ببولا وبمظهرها البديع. لا شك في أن مرافقتها له في أية سهرة من شأنها ان تضفي جواً خاصاً من الفرح والبهجة لما تتمتع به من جمال وشهرة.

استعدت ليز منذ الصباح الباكر للذهاب الى منزل لاكلنيش، فصففت شعرها في محل مجاور للفندق يعتبر الأفضل والأغلى في باريس كلها، وقلمت أظافرها وصبغتها. لم تر شعرها بهذا الشكل منذ فترة طويلة، فقد اعتادت غسله وتصفيفه بنفسها وتمشيطه بطريقة عادية ليتهدل على كتفيها.

أما اليوم ونزولا عند طلبها، بذل عامل المحل جهداً بارزاً في تغيير تسريحته فبدت عيناها الكستنائيتان أكبر وأحلى.

خرجت من المحل راضية واتجهت مباشرة الى الفندق وجلست أمام المرآة تنظر بعين فاحصة الى نفسها. ثم نهضت تختال فرحة بين غرفتها وغرفة الاستقبال وكأنها عارضة ازياء. فجأة، سمعت تصفيقاً ناعماً فاستدارت لتجد جايمس واقفاً قرب الباب مبتسماً، فجمدت في مكانها يعلو وجنتيها الاحمرار.

- مرحباً يا ليز. تبدين فرحة على غير عادة.

- لأني غيرت تسريحة شعري (ودارت حول نفسها تسأله) ما رأيك؟

أومأ برأسه اعجاباً وتناول ثلاث علب جلدية زرقاء من حقيبته.

- معي هدية لك.

لا شك في انها علب مجوهرات فضحكت في سرها لأنه لم يسبق لها ان حصلت على هدية مماثلة منذ ان ورثت عن امها ساعة ذهبية قديمة. فتحت العلبة الأولى وشهقت شهقة عالية لا تصدق ما تراه عيناها:

- يا الهي!

سوار من الذهب الخالص مرصع بالالماس ليرتاح على راحة يدها كالنجم الساطع في قبة السماء. لم تتمكن من فتح العلبتين الباقيتين، فيداها ترتجفان وعيناها زائغتان جاحظتان. تقدم جايمس ضاحكاً يساعدها. احست بأنها ستغيب عن الوعي لهول المفاجأة، غير مبالية بما سيظنه جايمس لرؤيتها بهذه الحالة من الذهول. عقد من اللؤلؤ ليزين جيدها، علقت به حبات من الجاد مطعمة بماء الذهب. في العلبة الصغيرة يرقد زوج من الحلق تزينه هو الآخر حبات لؤلؤ ليتناسب مع العقد. هتفت بدلال:

- لم أثقب أذني بعد ولكني سأفعل ذلك قريباً.

- لا داعي لذلك، يكفي ان تضعيها على أذنيك.

اخرجتهما من العلبة برفق:

- لكني قد أفقدهما، سيطير صوابي ان فعلت.

ضحك جايمس ملء فمه:

- لا تهتمي لذلك.

- قد أصاب بالجنون، صدقني. لم أحظ قبلا بهدية مماثلة. سأرتديها مع

ثوبي الجديد.

- لست معتادة على الجواهر، أليس كذلك؟

أحكمت تثبيت السوار حول معصمها مجيبة:

- كلا، لكنها تناسبني تماماً. انها تطابق ما كنت أفكر بشرائه لو بقي لدي المال الكافي.

- يبدو انك مررت بأزمة مالية، ألم تدخري بعض المال؟

اتجهت نحو المرآة لتضع الحلق تبحث عن جواب مقنع. لن تخبره عن استغلال باري لها وانفاقها كل ما تملك على مؤسسته فستبدو عندها مغفلة للغاية.

- أتعني من مهنتي؟ ما زلت في بداية الطريق وتيرجلين كان فرصتي الكبرى.

قال جايمس يطمئنها:

- لن تضطري بعد الآن لانتظار الفرص.

- انها حقاً هدية رائعة سأستمتع بوضعها الليلة. شكراً يا جايمس.

يسكن جول لاكلنيش وزوجته فرناند ضواحي باريس، في منزل رائع شامخ على تلة صغيرة. ليس كبيراً كتيرجلين لكنه يشرف مثله على مناظر طبيعية خلابة. نهر صغير يشق طريقه بين ترع خضراء محاطة بمنازل تسورها أشجار الحور والسرو الضخمة. انه منزل ريفي صرف يهرب اليه جول من عناء العمل في باريس والاهتمام باسطبله ينشد الهدوء والراحة مع زوجته.

رحب صاحبا المنزل بليز وجايمس بحرارة وقاداهما الى غرفتهما ليستريحا قليلا قبل الانضمام الى بقية المدعوين. دخلت ليز الحمام على الفور لتخرج بعد دقائق وقد ارتدت ثوبها الجديد، مشرقة الوجه، زادتها تسريحة شعرها الجديدة نعومة. اختفى تقريباً لونها الباهت وبدت وجنتاها أقل نفوراً وعيناها اكثر اتساعاً وسحراً.

أحكمت شد الحلق على أذنيها والتفتت الى جايمس، المتمدد على السرير يراجع احد ملفاته، سائلة بحياء:

- كيف أبدو يا جايمس؟

- مدهشة.

هو أيضا بدا مدهشاً وجذاباً، بسترته الحمراء وسرواله الاسود الحريري. نهض يصفف شعره بيده، فتمنت لو يأخذها بين ذراعيه، لكنها تعلم كل العلم انه لن يفعل ذلك، فالاتفاق لا ينص على ذلك. زواجهما نار ملتهبة والخاسر الوحيد هو الذي تطاله ألسنة النار.

- حان الوقت يا جايمس، من الأفضل ان ننضم الى الباقين.

- كما تريدين يا سيدتي الجميلة.

نزلا السلالم، ممسكة بذراعه مشغولة بالتفكير كيف سيقضيان ليلتهما هنا، فبعد الحفلة سيعودان الى تلك الغرفة مما سيسبب لها احراجاً كبيراً نظراً لوجود سرير واحد فيها. لم تعترض على ذلك ولم تبحث الأمر معه، عليها لعب دور السيدة فنتون حتى النهاية حفاظاً على سمعتهما وتنفيذاً للاتفاق.

أيقنت ليز لحظة وصولها الى أسفل انها ستكون محط أنظار الساهرين وهدفاً لتعليقاتهم، وفوجئت عند دخولهما القاعة باحدى السيدات تسارع الى تقبيل جايمس مستوضحة باهتمام:

- أين العزيزة بولا؟

ابتسم جايمس من غير ان يجيب وأكمل طريقه ممسكاً بذراعها يطوفان أرجاء القاعة.

لم تكن السهرة في مجملها سيئة كبدايتها، وتناسى المدعوون بولا اكراماً لجايمس، فخفت تعليقاتهم وانصرفت ليز الى الكلام مع السيدة لاكلنيش، مبدية رأيها في ما يجب عمله في غرفة النوم، وكيفية مزج الألوان للحصول على ما يتناسب مع لون الأثاث. أعجبت صاحبة المنزل بذكائها ومهارتها، فأبقتها قربها طوال السهرة تقدمها الى أصدقائها كأذكى سيدة على الاطلاق. معظم الرجال من أصحاب المعامل والمصانع ورجال الأعمال، فلم تقتصر الحفلة على التسلية فقط، بل دارت أحاديث جانبية حول امور العمل والانتاج وغيرها من التفاصيل المتعلقة بشؤون الاقتصاد وشجونه.

راقبت ليز زوجها يتحدث الى الباقين جاذباً اليه الانتباه، فاستحوذ على اعجاب الحاضرين وراحوا يتهامسون فيما بينهم ولم تدر ليز ما اذا كانت هي المقصودة بوشوشاتهم أم جايمس نفسه، لم تتمالك احدى السيدات نفسها فاقتربت من ليز متمتمة:

ـ انت محظوظة لزواجك من هذا الرجل.
اجابت ليز متظاهرة بالبساطة:
ـ شكراً.
امتدت السهرة الى ما بعد منتصف الليل وتحولت في النهاية الى جلسة عمل عقدها الأزواج حول مائدة العشاء بينما توزعت الزوجات في حلقات متباعدة يتحدثن عن آخر الأزياء وأحدث التسريحات وغيرها من الأمور المضجرة مما بعث في الكثير منهن الملل والنعاس.
سبقت ليز زوجها الى الغرفة تزيل عن وجهها آثار التبرج وتستعد للنوم. صففت شعرها امام المرآة في الحمام ثم ارتدت قميص النوم، وخرجت لتفاجأ بجايمس جالساً على الأريكة يتفحص أوراقه ويراجع ملفاته للمرة الأخيرة. علّقت ثوبها في الخزانة واندست في الفراش. ليس واسعاً كفاية لكن عليها ان تتقاسمه مع رجل يدعوها زوجته وتزداد تعلقاً به يوماً بعد يوم بالرغم من انكارها ذلك وامتناعه عن معاملتها بهذه الصفة. لا يجب ان تسمح لنفسها بالوقوع في هواه، فهذا ليس جزءاً من الاتفاق. لن تلقى منه سوى الألم والعذاب ما دام لا يعترف بالحب ويرفضه. تمددت تعبة على حافة السرير تحاول التظاهر بالنوم عله يمتنع عن لمسها او التحدث اليها، لكن، ما ان اغمضت عينيها حتى استلقى قربها قائلا:
ـ آسف لهذا الوضع، لكن الفرنسيين يتحلون بروح عملية عالية.
ـ لا بأس.
علت ضحكته رنانة:
ـ أتصدقين ان قلت اني لم احاول أبداً استعمال القوة مع فتاة؟
تمنت لو يقترب منها اكثر، ويضمها الى صدره الدافىء برقة فيجعلها تبكي وتضحك في آن معاً، ويشعرها بأنها انسانة تستحق الحب والحنان لكنه لن يتحرك من مكانه ولن يصدر عنه غير الكلام. نظرتها الى الحنان تختلف عن نظرته كاختلافهما حول الحب، فهو لن يهب اية امرأة فرصة التسلط عليه بعد تجربته مع بولا.
ـ أجل اني أصدقك ـ لا أخالك خارجاً عن طورك وخاصة معي.
اتكأ على مرفقه مدنياً وجهه من رأسها، فشعرت بلهاثه يزحف على عنقها وحول اذنيها مسبباً شحنات خفيفة من الارتعاش في نفسها.

- هل ترغبين بي؟

أدارت وجهها ناحيته تحدق في بشرته الداكنة وتقارن بينها وبين غطاء السرير الناصع البياض، احست بميل شديد الى لمسه، لكنها لا تدري عاقبة ذلك، وماذا سيحصل ان قالت له أجل؟ لن تعود زوجته بالاسم فقط فهل يغير هذا من الأمر شيئاً؟ انها تريده وتتمناه زوجاً لها بكل جوارحها شرط ان يحبها. احياناً توشك ان تهتف في وجهه كي يضمها او يقبلها لكنها لم تفكر أبداً في عواقب طلبها. لن تقبل أبداً بأن تذهب أبعد من ذلك معه، الى ان تتأكد من حبه واخلاصه لها.

أرجعت رأسها مجدداً وأجابت بحزم مخنوق:

- لا شكراً.

لم يزعجه رفضها وأردف محافظاً على ابتسامته:

- قد تجدين الأمر ممتعاً.

- لم تعتد الرفض اليس كذلك؟

- لا وجود له في حياتي.

- هذا ما توقعته (وأردفت مبتسمة) لم يكن تصرفي سيئاً الليلة. لم أرتبك كما كنت أظن. من سأقابل غداً؟

تنهّد جايمس تنهيدة طويلة واستدار يواجه سقف الغرفة يستعيد برنامج الرحلة التالية. سهرة أخرى يمضيانها معاً، متكئين على وسادتيهما في سرير واحد، يخبرها عن الأيام المقبلة وعن رحلتهما الى بروكسل وامستردام ثم هامبورغ حيث سيجتمع الى عميله ويقابل بعض الزبائن. كلمها عن دورها وعن الاجتماعات التي ستعقدها مع زوجات ممثلي الشركات، وقيامها بالدعاية لعملها. استمعت اليه بارتياح مغمضة عينيها تحلم بالأماكن التي ستزورها. احست بأنامله تداعب ضفائرها مقترحاً:

- من الأفضل ان نخلد الى النوم.

لم تعترض، فأطفأ النور وتمدد من جديد الى جانبها وما لبث أن علا شخيره. عصى النوم عينيها وأحست بحر شديد يكاد يخنقها، وبعرق بارد يتصبب من جبينها وعنقها. يد جايمس القريبة منها تقلقها، تخشى الاستسلام للنوم فربما تحركت ناحيته من غير ان تشعر. لازمت حافة السرير لفترة لكن في النهاية رضخت عيناها لسطوة الكرى فأغمضتهما

مستسلمة لنوم عميق. استيقظت بعد وقت قصير مذعورة على صوت رعد قوي، ولا شعورياً سحبت الغطاء تخبىء به وجهها، والتصقت بجايمس مرتجفة. أفاق جايمس مذهولا:

ـ ما الأمر يا ليز؟

ـ هل كان ذاك رعداً؟

نصت جايمس لبرهة ثم أجاب:

ـ أجل، لماذا؟

تقوقعت ليز على نفسها واضعة راحتيها على فمها وغمغمت:

ـ اخشى الرعود وخاصة في الليل.

ـ المشاجرة اولا، والآن الرعد ليلا.

كابوسان رافقا حياتها منذ طفولتها ولم تقو على التخلص من عقدتهما، فكبرت وكبرا معها يقلقان راحتها ويقضان مضجعها.

ـ أجل.

ـ لماذا؟

همست بصعوبة:

ـ لا أدري.

خيمت لحظات صمت على الغرفة، لم يسمعا خلالها ما يشير الى اقتراب العاصفة.

ـ اذا سمعت الرعد مرة أخرى، ايقظيني وسأجد ما يلهيك عن التفكير به.

عاد الى النوم من جديد بينما بقيت ليز جالسة تنصت بانتباه حامية رأسها بالوسادة. لم يتهاد الى مسمعيها سوى نقيق بوم قريب، فهدأ روعها واستلقت بدورها.

لن تتوان لحظة عن ايقاظه اذا أحست بهبوب العاصفة ستطوقه بذراعيها ان اضطرت وستدفن وجهها في صدره. خوفها من الرعد يفوق هاجسها منه ولن تهتم سوى بحماية نفسها من العاصفة. لكن شيئاً لم يحدث، فغفت من جديد غير آبهة بيده تحضن يدها.

٨ـ الحدائق التعيسة

أتاحت رحلة العمل لليز، الفرصة لتدرك السبب الحقيقي لثراء جايمس. راقبته أثناء العمل فلاحظت مدى سطوته وقدرته في هذا المجال، وامكاناته الهائلة في قبول أي عرض وتنفيذه مهما صعب. أعجبها كفاحه ومثابرته، لا يعرف الانهزام أو التراجع أمام أي شيء، فهاجسه الوحيد التألّق. انه انسان فريد، لكن لكثرة انشغاله بالاعمال والاجتماعات لم تحظ بالجلوس معه بمفردها إلاّ نادراً. كانا يلتقيان مساء قبل النوم وأحياناً كثيرة يغلبها النعاس قبل مجيئه.

تمكنت أثناء اقامتها في باريس من تغيير بعض عاداتها، فأجادت الى حدّ ما لعب دور السيدة فنتون. ارتدت اثواباً مختلفة الألوان، جديدة التصاميم بدت فيها جذابة. تغيّرت ملامح وجهها واستغنت تدريجاً عن الاكثار من المساحيق. مع الأيام توطدت أواصر الألفة بينها وبين أصدقاء جايمس وتمكنت من كسب ودهم، من جهته عاملها جايمس كزوج مثالي أمام الآخرين، وعندما يختليان ببعضهما يتصرّف معها بلطافة وتسامح، فأمضت معه اوقاتاً مسلية أظهر فيها الكثير من التفهم والصبر خاصة عندما يخلدان الى النوم. لم يطلب أبداً ممارسة حقه الزوجي معها، فأثار ذلك شكوكها وكادت تتهمه بتأمين حاجاته مع غيرها. لكنها كانت مطلعة على برامج عمله وانهماكه بعقد الاجتماعات، ومتأكدة من أن لا وقت لديه لأمور كهذه، كانت تكذب وتحاول اقناع نفسها بأنها غير مهتمة بما يفعل، لكنها في الحقيقة لا تحتمل وجود امرأة اخرى تنازعها ما يخصها، وحتى في شهر عسل كهذا.

تمكنت من اقناع نفسها في النهاية بصواب زفافها من جايمس، مادياً واجتماعياً. فالمال متوافر معها بكثرة وهي الآن زوجة رجل أعمال شهير وناجح، وقريباً ستعود الى بلدها لتكون سيدة منزل أحلامها. قد لا يدوم زواجها منه، فيقرر جايمس في أحد الأيام ارسال أوراق الطلاق لها، بعد أن يكتشف أنه أخطأ في اختيار العروس المناسبة، ومن الأفضل أن يعود الى أحضان بولا، لكنها ستحظى بعملها ولن تخسره مع الزواج، وهذا جل ما يهمها. وعدها جايمس بمدّ يد العون اليها في هذا المجال، وهي لم تأل جهداً اثناء رحلتها في جمع الكثير من المعلومات والتصاميم الجديدة، وآخر ما ابتكرته شركات الديكور من فنون التزيين والهندسة، فملأت صفحات عديدة بتصاميم، عن غرف نوم وغرف جلوس وحمامات وحدائق، استفادت من رحلتها باكتسابها خبرة جديدة في مهنتها، ومسحة طفيفة من الجاذبية زودتها بها الثياب الفاخرة والمال الوفير.

لم تشعر بأي انزعاج عند اقتراب موعد مغادرتها باريس. اشتاقت الى منزلها والى عملها. تريد العودة الى تلك الجدران الحنونة الصامتة، والحدائق التعيسة المتثائبة، تشاهد منظر الغروب وانزواء الشمس خلف تلك الروابي الخضراء المحيطة بتيرجلين.

هبطت الطوافة في البقعة المخصصة لها وسط حديقة تيرجلين، وترجل منها جايمس ليساعد ليز في هبوط السلالم. تنفست الصعداء عندما داست الأرض، فقد سافرت في المدة الأخيرة اكثر مما توقعت ان تفعل طوال حياتها. لكن الرحلة على متن هذه الطوافة كانت مختلفة. انها كالسيارة الصغيرة ولهذا السبب أحبتها ليز.

لاحظت بعض التغيير في الحدائق، وفي جدران المنزل الخارجية، فالحشائش الخضراء قد جزّت بعناية وترتيب، والسور الخشبي قد طلي باتقان. أعشاب القندول اختفت تماماً، والورود تملأ المكان بزهو ودلال. تم تشذيب أشجار الغار فبدا الوادي السحيق أقرب وبات بامكان ليز التمتع بالمشهد القديم عن كثب من نافذة غرفتها.

بالرغم من التحسين الذي طرأ عليه، لم يفقد تيرجلين مسحة البساطة والانزواء التي تزيده جمالاً وسحراً. انه صورة مطابقة لما تصوّرته ليز عند قدومها الى هنا للعمل. منزل عجوز جليل غزا الشيب شعره قابع على

عرشه بين حوريات الورود.

هكذا وصفه لها طوم في تلك الليلة على العشاء. تذكرته جالساً أمامها يتكلّم عن حدائقه ومشاريعه فأحست بشوق الى رؤيته من جديد في شخص جايمس، وتمنت أن ترجع شخصية طوم الى زوجها.

خاطبها جايمس وهو يساعدها في الابتعاد عن الطوافة قبل ان تقلع:

- أرجو أن تحسي بهذه السعادة داخل المنزل أيضاً.

لم تدرك الغرض من كلامه فنظرت الى المنزل، تمعن النظر في الستائر المعلقة على قسم من نوافذ الغرف دليلاً على الانتهاء من العمل فيها. أسرعت الخطى نحو الباب ملهوفة لالقاء نظرة على كل زاوية من الزوايا. اختفت الاعشاب عن الدرجات، والسور الحديدي على الشرفة يشع بلونه الجديد. كان الباب مفتوحاً تقف ازاءه امرأة مرتدية ثوباً قطنياً طويلاً بشعرها الرمادي ووجهها الباسم. حياها جايمس ومد يده مصافحاً ومقدماً اياها الى ليز:

- اقدم لك السيدة هوراين ستساعدنا في تدبير المنزل.

تبادلت السيدتان باقتضاب كلمات الترحيب والمجاملة، فليز كانت مأخوذة بتفحص غرفة الاستقبال والتدقيق بمحتوياتها. انها كما توقعتها، ألوانها متناسبة جدراناً واثاثاً. بلاطها الرخامي يزيدها فخامة وابهة. غاب الغبار وخيوط العنكبوت عن الزوايا والجدران الى الأبد. كل شيء يوحي بالنضارة والحياة، فأحست أن اجزاء المنزل كلّها ترحب بعودتها. ألقت نظرة فاحصة على غرفتي المكتب والطعام، لم تبدوا رائعتين كما اليوم، تضجان جمالاً وتنسيقاً، واختفى منهما صدى الفراغ والوحشة. أوراق الجدران جديدة مزخرفة، نقشت عليها رسوم الورد بدقة كما صممتها ليز. وأعيد تنظيف الاثاث وطليه فبدا راقداً في جوه العابق برائحة الطلاء.

تساءلت ليز عن شعور بولا وقد تبدّد حلمها بمشاركة جايمس العيش في هذا الفردوس الصغير. انها الآن سيدة هذا المنزل بدلاً منها، فأحست بالرثاء لحالة غريمتها وفي الوقت نفسه بالخوف. شعرت بالضياع من جديد فهذا المنزل لم يعد كما تركته لست أسابيع خلت. . . بقي عدد من الغرف من غير تجهيز فضحكت في سرها. انها بحاجة الى القيام بعمل ما أثناء اقامتها هنا وستنهي المنزل الذي يمثل أحلام طفولتها وشبابها، ستختصر فيه

كل أمنياتها وتملؤه بكل ما حرمها القدر منه.
جلس جايمس على مقعد وثير معلقاً:
ـ لقد تخلّيت عن منزلي الآخر في سبيل الابقاء على تيرجلين فأنا أعشق هذا المنزل.
أدركت ليز من كلامه استحالة مشاهدة المنزل الذي ولد وعاش فيه في بلدة باكينغهام شاير. دخلت السيدة هورابين وبرفقتها شاب في مقتبل العمر بدا وكأنه البستاني، وسألت جايمس:
ـ هل آمر جاك بنقل الحقائب الى الغرفة يا سيدي؟
ألقى الفتى التحية ووقف قرب السيدة هورابين يتبادل ابتسامة ترحيب مع سيد المنزل.
وضع جايمس يده على كتف ليز قائلا:
ـ لم نختر الغرفة التي سننام فيها. ولكن ليز ستقوم بذلك في الحال.
صعدا معاً الى الطابق العلوي ولما أيقنت ليز ابتعادهما عن مسمعي السيدة هورابين قالت:
ـ لا أكترث كثيراً لنوع الغرفة. كل ما يهمني أن أكون بمفردي فيها.
أجاب جايمس بلهجة فظة:
ـ لا تكوني سخيفة. أنت زوجتي ومن حقك الحصول على أحسن غرفة في المنزل، وأفضل أن تكون قريبة من غرفتي.
تمتمت ليز بانصياع كامل:
ـ حسناً.
وقفا أمام غرفة النوم الرئيسية التي انهت هندستها قبل رحيلها لتجد ستائر جديدة تتناسب زخرفتها وألوان السرير الخشبي الفاخر والسجادة الكبيرة الممتدة في ارجاء الغرفة. تحول حلمها الى حقيقة. فهكذا تخيلت الغرفة أثناء تحضير ديكورها، لتليق بنجمة سينمائية مشهورة كبولا كافيل.
أحجمت ليز عن الدخول وبقيت واقفة في الرواق من غير حراك، تشم رائحة عطر ذكي أدركت على الفور انه عطر بولا. انها الوحيدة التي تستعمل هذا النوع من العطور وكأنه صنع خصيصاً لها. كانت الرائحة قوية، مما يدل على أن صاحبتها ما زالت في الداخل، أو أنها غادرتها منذ لحظات. توجه جايمس الى غرفة الزينة تتبعه ليز بفضول يغلب عليه القلق

والخوف. ان كانت بولا ما تزال في الداخل فستتركها مع جايمس وتعود أدراجها بسرعة.

وجدا الغرفة خالية، إلّا من أثاثها الجديد. أرجاؤها تعبق أيضاً برائحة العطر وفي وسط الطاولة الموضوعة بمحاذاة الجدار، صورة كبيرة لبولا تظهرها ضاحكة بهية. وقفت ليز خلف جايمس تقرأ رسالة قصيرة، نماسرت بولا وكتبتها بأحمر شفاهها.

- أهلا بك يا حبيبي في تيرجلين.

تركت ليز لغيظها حرية الظهور بجلاء على وجهها، فجايمس يدير لها ظهره ولا يستطيع ان يلاحظ ما ينتابها. لم ينبس ببنت شفة، جامداً في مكانه يحدّق في الوجه الضاحك أمامه. فعلقت متلعثمة:

- يبدو أن بولا لا تصدق ان ما بينكما قد انتهى، وفات الأوان على هذه الأساليب.

لم يجب، وكأنه لم يسمع ما قالت، فاردفت:

- لكن لا شيء يجبرك على وضع حد لعلاقتكما، فهذا يجيزه نوع زواجنا. بامكانك اختيار المرأة التي تريد، انما ارجوك تجنب الخداع وكن صريحاً معي.

- لن يخدع أحدنا الآخر. باستطاعتك البحث عن سعادتك ان أردت لكن، علي أيضاً أن أعلم بذلك. وأحذرك من مغبة معرفتي بالأمر عن طريق أحد سواك.

وافقت ليز على كلامه مغلوبة على أمرها، فهي تتجنب منذ البداية معرفة علاقاته بغيرها:

- حسناً، كلامك عادل.

مرّ جايمس بمحاذاتها خارجاً من الغرفة. فتبعته حتى السلالم لتراه يدخل غرفة مكتبه ويقفل الباب خلفه. أيقنت انه يحاول الاتصال ببولا، فهو ولا شك يعلم اين يجدها وهي ليست بعيدة من هنا لأنه لم يمض على مغادرتها تيرجلين فترة طويلة.

لم تكن غيورة بطبعها، وإلاّ لسارعت الى تمزيق صورة غريمتها وحولتها الى اشلاء صغيرة بدلاً من ان تلهي نفسها باختيار الغرفة المناسبة.

سارت حتى نهاية الرواق ودخلت غرفة جاهزة طليت جدرانها مؤخراً.

أحبت هذه الغرفة منذ اللحظة الاولى في عملها فيها. وقفت في وسطها تمعن النظر في محتوياتها متشنجة الاعصاب. أنهكها التعب وأزعجها ما مرّ عليها في الشهر المنصرم اضافة الى ما رافق رحلتها من طقس سيء وعواصف رعدية. أحست نفسها تائهة في متاهات الفضاء ولا أحد بامكانه مساعدتها.

عادت الى مزاولة عملها في ما تبقى من غرف غير جاهزة ورفضت عرض جايمس باحضار فريق كامل من العمال لمساعدتها. أرادت انهاء العمل بنفسها لذلك من متطلبات الشهرة التي تسعى اليها. شعرت بحاجتها الى من يتدبر شؤون مكتبها الكائن قرب مسكن بربارة والن، وتمكنت بعد جهد من تدبير ذلك بعد أن أمضت اسبوعاً كاملاً في ضيافة صديقيها القديمين وأعادت ترتيب المكتب بمساعدتها.

لم يظهر جايمس تقاعساً في مدّ يد العون الى زوجته وأبدى استعداداً دائماً لنجدتها ودعمها. حاول بما لديه من معارف وعلاقات وطيدة مع مختلف الشخصيات الفاعلة في المنطقة أن يمهد لها الطريق لقطف ثمار الشهرة بسهولة قصوى. لكنها فضلت قطع المسافة خطوة خطوة وجني الثمار بيديها وعرق جبينها. تحول تيرجلين من منزل قديم مهجور الى شبه صالة يؤمه الزوار من مختلف المناطق المجاورة، وتحقق الحلم الذي راود ليز منذ طفولتها وانهالت عليها العروض من كل حدب وصوب. تناقلت الألسن اسمها وغزت شهرتها مدناً جديدة، ومناطق قصية. زادها تألقاً انتشار قصة زواجها من جايمس فنتون، المليونير الذي تزوج من مهندسة ديكور. أصبحت أعمالها موضوع أحاديث الناس وتعليقاتهم. ابتسم لها الحظ في الميدان الوحيد الذي أحبت، عملها وبدا مستقبلها مشرقاً وناجحاً.

وزع جايمس وقته بين تيرجلين والشركة، فأمضى في منزله ساعات مرحباً بالزائرين، سعيداً لتحول تيرجلين الى مكان يضج بالحركة والحياة، ولتعرفه في هذه المناسبة الى اصدقاء زوجته. خلال تمضيتها شهر العسل، كتبت ليز الى أصدقائها الذين عرف معظمهم بأمر الزواج عن طريق الصحف والمجلات. شرحت لهم ظروف زواجها، معتذرة عن عدم دعوتهم الى حفل الزفاف. لم يلمها أي منهم على تصرفها، فهم يعرفونها على حقيقتها معظمهم قدم في الأسابيع الاولى اضافة الى بربارة والن اللذين

أمضيا عطلة الأسبوع عند ليز. أعجب الجميع بالمنزل وأطروا على جودة عملها وحسن ذوقها، متمنين لها طيب العيش ورفاهية الحياة تحت سقفه. أشدهم حماساً كان الن، فأظهر سعادة لا توصف بوضع ليز وشهرتها. أما بربارة فأبدت بعض التحفظ، فظهور ليز بمظهر العروس السعيدة والحاصلة على كل ما ترغب لم يصرف صديقتها عن الغوص في أمور شخصية أكثر أهمية معها. لم يرق أمر الغرفتين المنفصلتين لبربارة واثار فضولها.

لا يعقل أن ينام زوجان، لم يمض على زواجهما أكثر من عدة أسابيع، في غرفتين منفصلتين، بدلاً من أن يسرقا الهنيهات ليكونا جنباً الى جنب.

سألت بربارة ألن أثناء نزهتهما في الحديقة المحيطة بتيرجلين:

ـ الا تظن يا ألن ان هناك سبباً مهماً لاختلاء كل منهما في غرفة؟

ـ ربما هذه عادة السكان هنا.

لم تقتنع بربارة بجواب زوجها مستعيدة وصف ليز الزواج بأنه اتفاق اكثر مما هو خاتمة سعيدة لقصة حب. فبالرغم من أن ليز تبدو أحياناً جذابة، يبقى جايمس فتنون الرجل الذي لا يفضل تمضية لياليهُ وحيداً. قالت تخطىء زوجها:

ـ لا. لا أظنها عادة محلية.

أحاط الن خصرها بذراعه مجيباً بتحبب:

ـ وهذا رأيي أيضاً يا حبيبتي.

أقلق ليز، انتقال خدم جايمس من منزله القديم الى تيرجلين، فكلهم عرفوا بولا ولا شك في أنهم باشروا المقارنة بينها وبين سيدتهم السابقة. منذ وصولهم، أبدوا طاعة وعوناً تامين لكن، لم يظهر أحد منهم حماساً يذكر لتناول الحديث معها مكتفين بالقيام بأعمالهم والانصراف بعد ذلك الى الاهتمام بأمورهم الخاصة.

عبثاً حاولت ان تسبر غور السيدة هورابين لتستوضح بعض الأمور حول طفولة جايمس، وعن والده وخاصة عن والدته التي أسلمت الروح بعد ولادته بساعات. كانت تصطدم دائماً بجدار من الصمت، يثنيها عن الاسترسال في محاولاتها، خوفاً من ردة فعل الخادمة العجوز. الثنائي الوحيد الذي حاز مودة ليز هو آل جيلايان، فروبرت تخلى في الأونة الأخيرة

عن تباهيه أمامها واكتشفت فيه شخصية ذكية، فذة وحكيمة، تتوق أحياناً الى المزاح المهذب وتتميّز باخلاصها الشديد لجايمس. أما زوجته ليليان فقد دأبت على مرافقتها كظلها، من غرفة الى أخرى تسلّيها بثرثرتها اثناء العمل. زادها تعلقاً بها تأكدها من جهلها حقيقة زواجها، فقد أخبرتها ليليان عن دهشتها عندما أعلمها جايمس بعزمه على الزواج في حفل بسيط، بعيد عن الدعاية والأبهة، وأسرّت اليها مدى سرور روبرت برؤية جايمس سعيداً وراضياً مع عروسه وفي منزله. عامل جايمس فتنون ليز باحترام واهتمام، فلم يبخل عليها بشيء، ولم يعد يوماً الى تيرجلين إلاّ محملاً بالهدايا لها من غير مناسبات، فحوت خزانتها مجموعة نفيسة من الجواهر تتناسب مع قطع سابقة لترتديها في الحفلات والسهرات. صفتها كزوجة اقتصرت على منحها اسمه ومعاملته لها، فلم يتخطّ يوماً باب غرفة نومها، وفي المرات التي يضطران فيها للمبيت في منزل أحد الاصدقاء، يناماني في غرفة واحدة ابعاداً للشك انما في سريرين منفصلين.

أحياناً كثيرة يضطر جايمس الى الابتعاد عن تيرجلين اياماً عدة، فتبقى ليز وحدها، فريسة افكارها وتساؤلاتها. تستسلم للأرق باحثة عن جواب يريحها ويخمد ناراً تتأجج في داخلها ولا تعترف بحقيقتها، فتردها أحياناً الى الاجهاد في العمل وأحياناً أخرى الى مفعول القهوة. ترفض الاقرار بأن سبب قلقها هو كرهها الهائل للساعات التي يمضيها بعيداً عنها، وخوفها من ان يمضي ليلته مع امرأة أخرى بحثاً عن ما لم تستطع تقديمه له.

لم يكن يخبرها شيئاً عن سير أعماله بعد عودته، وهي بدورها لم تحاول يوماً الاستفهام فبقيت أسيرة أوهامها وضحية أرقها وشرودها. تحول ليلها الى بحر من الدموع يبلل وسادتها ولا يهدأ إلاّ مع شروق الشمس. تلاحقها صورة بولا ويجثم خيالها على صدرها كلّما حاولت اغماض عينيها، فتنهض مذعورة تحاول طرد هذا الهاجس القاتل من مخيلتها. حولها خوفها الى ورقة خريف ترتعد في مهب ريح الغيرة والشك فغابت الاشراقة عن وجهها واختفت البسمة في غربة طويلة عن شفتيها.

مرت أسابيع ستة على رجوعها الى تيرجلين اعتادت ليز خلالها السهر والقلق، فلا تنام إلاّ في ساعة متأخرة من الليل بعد أن تفقد الأمل من عودة جايمس. باتت مقتنعة بأن هناك سبباً آخر غير العمل يصرفه عنها، وعليها

أن تكون مستعدة لتلقي الصدمة واندثار الحلم. دعا جايمس في احدى الامسيات آل جيليان وثلاثة من أصدقائه القدماء. بن وهو منتج تلفزيوني وزوجته هلغا الممثلة، لكنها لا تضاهي بولا جمالاً وشهرة، ورجل آخر يملك شركة طيران خاصة ويدعى ريكس.

أمضى الجميع سهرة ممتعة، جالسين في غرفة الطعام وقد فتحت نوافذها على الشرفة، وأمامهم صفت أطباق الطعام الشهية التي عملت السيدة هورابين نهاراً كاملاً لتحضيرها. جلست هلغا على حافة الطاولة تخبرهم عن مسرحية تأمل الظهور في أحد فصليها. حدثتهم مطولاً عنها، شارحة سياقها المأساوي وفكرة بن في تحويلها الى مسلسل تلفزيوني.

أصغت ليز اليها باعجاب، وراقبتها بشغف تؤدي دورها ببراعة وكأنها على خشبة المسرح وأمام جمهور غفير. فجأة لمحت خيالاً يقف قرب احدى النوافذ، وجحظت عيناها من هول المفاجأة. أيقنت ان حدسها كان صائباً وان وقت الصدمة قد حان، فبولا كافيل وحدها القادرة على التسبب بها وها هي تتهيأ لذلك. لم يسمع أحد من المدعوين هدير محرك سيارة، وربما طغت ضجة هلغا على وقع أقدام بولا على الشرفة. لثوان، ظنت ليز أن غريمتها قد ظهرت أمام النافذة بفعل ساحر أو انها مجرد شبح يتراءى لها بسبب الاوهام التي تعبث بها هذه الأيام. لكنها بولا كافيل حقيقة، فلم تتمكن من اخفاء ارتباكها وهي ترقبها تدخل الغرفة فأوقعت القهوة على الطاولة وسرى السائل الاسود في كل مكان. بدت بولا جذابة ساحرة بشعرها المتهدل بدلال واغراء على ثوبها الابيض الفاخر والكاشف عن جزء كبير من مفاتنها. تفوح منها رائحة عطر ذكية، تقدمت من ليز وعيناها مسمرتان في عينيها بتحد بارد، وبادرتها بالقول:

ـ لا تجزعي يا صغيرتي، أنا بولا بلحمها ودمها (واستدارت نحو جايمس مبتسمة) أليس كذلك يا سيد فنتون؟

نفث جايمس دخان سيكاره وأجاب بهدوء كلي:

ـ بكل تأكيد.

أظهر المدعوون اهتماماً كبيراً ببولا ورحبوا بها بحرارة، من غير أن يدروا بالشرخ الذي أصاب علاقتها بجايمس. كل ما يعلمونه أنه تزوج فتاة غريبة وفي سرية تامة. احست ليز بانعكاسات ظهور بولا المفاجىء عليها،

وبتحولها من سيدة المنزل الى زائرة لا مكان لها بين المدعوين. وحدهما، روبرت وزوجته شعرا بالقلق لعلمهما بحقيقة ما يجري، وتقديرهما عواقب زيارة بولا الغادرة. أذهلهما موقف جايمس، فلم يصدر عنه أدنى تململ واعتراض على دخول تلك الأفعى منزله بهذه الطريقة، بل أظهر هدوءاً وتودداً غريبين وكأنه كان يتوقع قدومها. مدت بولا يدها لجايمس وهو يحاول الوقوف، قائلة:

- أرجوك الجلوس يا عزيزي فانا لا أريد التسبب بأي ازعاج لكم.

غمغم الحاضرون معترضين على عبارتها وعلا صوت جايمس هاتفاً:

- ما هذا الكلام يا بولا؟

لم يبد عليها أنها سمعت ما قاله فقد كانت مشغولة بتوزيع نظراتها بين طاولة الطعام وارجاء الغرفة.

- كما تخيلتها تماماً (وحولت نظرها الى ليز متابعة) طبعاً مع بعض المفروشات.

لم تكن قاسية في عبارتها وبدت مزاحاً اكثر منها لؤماً، وأضافت بتهكم:

- حسناً، لن أرفض فنجان قهوة. هل هناك المزيد منها؟

قدم لها ريكس كرسياً بينما تناولت ليز فنجاناً نظيفاً لتملأه لها. لكن بولا سارعت الى القول بلهجة آمرة:

- دعيني أتكفل بذلك فقد يسقط من يدك.

نظرت هلغا اليها، تتناول الفنجان من يد ليز وتسكب فيه قليلاً من القهوة، سائلة:

- كيف وصلت الى هنا؟

- أوصلتني سكرتيرتي الى الباب الخارجي (وأردفت بحلق) فانا أسكن في الجوار بعد أن تملكت بيتاً صغيراً يطل على البحر.

علت علامات الدهشة وجوه الحاضرين ما عدا جايمس، فأدركت ليز علمه المسبق بشراء غريمتها ذلك المنزل. أضافت بولا بابتهاج تراقب وقع كلماتها على المستمعين:

- أحب العيش في هذه المنطقة وأفكر في الاقامة نهائياً فيها بالرغم من أن منزلي الجديد لا يفي بالغرض، لكنه يسد حاجاتي في الوقت الحاضر.

دأبت ليز على تتبع أخبار بولا ورؤية صورها في الصحف منذ عودتها الى

تيرجلين. صفحات كاملة تتكلم عن نشاطاتها الفنية، وتحكي باسهاب عن رحلاتها الناجحة الى أميركا وآسيا وعن عزمها على تقديم مسرحية جديدة. لكنها لم تناقش هذه الاخبار مع أحد، ولم يأت أي من الذين زاروها لتهنئتها على ذكر بولا. لا بدّ وأن الموظفين لاحظوا زياراتها المستمرة لجايمس في مكتبه وكتموا الأمر عنها وأخفوا قصة المنزل الجديد. نظرت ليز الى بولا محاطة بنظرات الباقين، تكاد تلتهمها وأيقنت أن المعركة واقعة لا محالة. انها هنا الآن وعليها توقع الاسوأ منها، فهي تقطن في مكان قريب من هنا، وتسكب قهوتها من الابريق الفضي الذي اعتادت استعماله قبلاً وفي الغرفة التي جهزت خصيصاً لها. جاهدت لتنهض عن مقعدها موجهة كلامها الى الضيفة:

ـ لا بدّ وأن منزلك بات جاهزاً، فهل لي بالقاء نظرة عليه.

أجابت بولا بنغمة اعتادت استعمالها يوم كانت ليز موظفة لديها، من غير ان تشيح بنظرها عنها:

ـ ليس الآن، ربما فيما بعد. ما زلت مهندستي المفضلة بالرغم من سعي المتواصل لايجاد بديل، فمن كان يتوقع ما حصل؟

احتقن وجه ليز وكادت عروقها تنفجر، فلم تكتم بولا ضحكتها قائلة:

ـ لا بأس يا صغيرتي، لقد سامحتك الآن (والتفتت الى الآخرين سائلة) ما أخبار كل منكم فأنا لم أركم منذ دهور؟

القت على جايمس نظرة عابرة لم تخف على أحد، وكأنها تفهم الحاضرين عدم حاجتها لمعرفة اخباره لأنها تعرفها من جايمس نفسه. جلست الى الطاولة كضيفة شرف كما لو كانوا ينتظرونها لتكتمل المجموعة. أصدقاء قدماء تجمعهم ذكريات حلوة وقصص غريبة، كل منهم لعب دوراً مختلفاً فيها، يشدّه الحنين الى استعادتها ورواية فصولها من جديد. جلست ليز صامتة تستمع اليهم بدهشة غير مصدقة تأثير بولا على الحاضرين. لم يأبه لها أحد بعد قدومها، فزال شعور بالراحة راودها في بداية السهرة ليحل محله احساس بالانزواء والوحدة. حتى جايمس تخلى عنها ليتحدث الى بولا وكأن أسباب خلافهما تبخرت في دقائق. يتصرفان كصديقين حميمين، تضحك له وتسند رأسها الى كتفه بدلال فيطوقها بذراعه بتودّد صارخ. شعرت ليز بالحرج ازاء موقف زوجها فغاصت كالطفلة الصغيرة في مقعدها تحدّق في

طبقها شاردة مستسلمة للأمر الواقع. لم تسمع غريمتها تدعو اصدقاءها لزيارة منزلها الجديد غداً للسباحة، ولم تنتبه اليها تنظر الى جايمس بعينيها الساحرتين وكأنها تشهده على جمال موقع المنزل ومتعة السباحة في الخليج القريب منه. انها ممثلة قديرة لا تعترف بالخسارة بل تسعى دائماً الى نيل ما تريد بشتى الوسائل. شعرت ليز بوجوب ايقاف غريمتها عن الاسترسال في لعب دور العاشقة السرية أمام اصدقائها فقاطعتها قائلة:

ـ من الأفضل أن أسارع الى تنظيف قماش الطاولة قبل أن يصعب علي ازالة اثار القهوة.

نهضت تنقل الاطباق والفناجين على عربة صغيرة بينما علا صوت بولا مقترحة:

ـ هل ننتقل الى غرفة أخرى أم الى الشرفة؟ فالهواء منعش في الخارج.

تركتهم ليز يتناقشون أمر الانتقال وجرت العربة الى المطبخ حيث سلمتها الى السيدة هورابين، ودخلت غرفة الغسيل لتنظيف قماش الطاولة الحريري. تبعتها ليليان جيليان، ولما أصبحتا في الداخل سألتها باهتمام وقلق:

ـ ماذا ستفعلين بشأن دعوة بولا غداً يا عزيزتي؟ ارتأي ان تعتذري عن تلبيتها.

بدا صوتها كصوت بربارة وأحست ليز للمرة الأولى خلال هذه السهرة باهتمام أحد بها بالرغم من علمها بعقم مساعدة ليليان لها.

ـ اتعتقدين أن هذا هو الحل المناسب؟

ـ في الحقيقة لا أعلم. لكن اذا قررت الذهاب فعليك ايقاف بولا عند حدها، ولا تسمحي لها بتمضية وقت طويل مع جايمس. ماذا سيقول الباقون عنك؟

ابتسمت ليز بحسرة تتخيل نفسها تحاول منافسة بولا في اناقتها وجمالها، فلا أمل في ذلك أبداً. اردفت ليليان بجدية:

ـ انها تظهر لك بوضوح عدم استسلامها وعدم تقبلها لما حصل. وجهت لك ضربة موجعة بشرائها ذلك المنزل في الجوار، وهذا سيحرم زواجك من جايمس فرص النجاح.

أدركت ليز أن آل جيليان لم يكتشفوا الحقيقة بعد، ولم يعرفوا أن حقوقها

تقتصر على الناحية المالية فقط. ليتهما يعلمان بأن زوجها قد أنعم عليها حتى الآن بالهدايا ولا شيء غير ذلك، واذا أراد أن يصبح رفيق بولا من جديد فلن يثنيه أحد. أجابت تدافع عن زواجها السقيم غير مبالية بما ستظنه ليليان.

ـ أنا أثق بجايمس ثقة عمياء.

ـ انت تحبينه، اليس كذلك؟ (ولم تنتظر رد ليز وأردفت) اذن عليك استباق الأمور يا عزيزتي وإلاّ ستنتقل بولا الى هنا في غضون أيام. أعطني ما في يدك وعودي الى ضيوفك.

خطفت قماش الطاولة من يدي ليز ووضعت قليلاً من مسحوق الغسيل فوقه وباشرت تنظيفه تاركة ليز في حيرة من أمرها. لم تجد ليز ضيوفها في غرفة الطعام فأيقنت أنهم عملوا بنصيحة بولا وخرجوا للجلوس على الشرفة المطلة على المناظر الخلابة المحيطة بتيرجلين. فكرت بدعوة بولا وكيف تجابه تحديها لها. لن تقبل الاستسلام بهذه السهولة وتتخلّى عن جايمس أيعقل أن تنقلب أمانيها وآلامها الى صدمة أخرى تضيفها الى صدمتيها السابقتين؟ لن تدع بولا تكيل لها الضربات من غير أن تدافع عن نفسها، ولن تسمح لأي كان أن يحل مكانها في تيرجلين أو في قلب جايمس.

أمضى الجميع سهرة ممتعة. لم تتوقّف هلغا وبولا عن الحديث أبداً، فلديها من الاخبار عن الفن والممثلين والمخرجين الشيء الكثير. ودأبت ليليان على دفع ليز الى الابتسام كلّما لاحظت شرودها وعبوسها من غير أن تقوى على جعلها تتكلم طوال السهرة. كانت تفكر في الغد وتستعد للمواجهة الفاصلة. ستغامر بكل ما تملك، فاما أن تخسر الحلم واما أن تحوله الى حقيقة، تحتفظ بها الى الأبد. لن تتوان عن فعل أي شيء لتدافع عن لقبها وستقاوم حتى النهاية، ولن ترضخ بسهولة كما يتوقع البعض أن تفعل. انها السيدة فنتون الآن وستبقى. دقت الساعة معلنة حلول منتصف الليل، فسارعت ليليان الى القول بعد تثاؤب طويل:

ـ أنا آسفة لكن وقت نومي قد حان، أليس كذلك يا روبرت؟

أشرق وجه ليز فجأة وتبادلت مع ليليان ابتسامة سريعة لم يلحظها الآخرون. لا يهمها ما سيحصل بين جايمس وبولا فلن تكون موجودة لتشاهده، أجابت بولا بصوت أجش وهي تنظر ضاحكة الى جايمس:

ـ هل سامضي الليلة هنا أم سيتكرم أحدكم بايصالي الى منزلي؟
سارعت ليز الى القول:
ـ سأقلك بسيارتي.
شهقت بولا مذهولة لعرض ليز غير المتوقع، ورمقتها بنظرة حادة صائحة:
ـ هل هذه مزحة؟ من طلب مساعدتك أيتها المتطفلة البلهاء؟
ساد الجميع صمت مفاجىء وسارع روبرت الى تدارك الموقف سائلا:
ـ هل تسمحين ان. . .
لكن جايمس قطع عليه عبارته موجهاً كلامه الى بولا متجاهلاً تهجمها على زوجته:
ـ هيا يا بولا، تمني للجميع ليلة هانئة. سأوصلك بنفسي.
استدارت ناحيته مبتسمة وخاطبت الباقين:
ـ طاب مساؤكم. كلكم مدعوون غداً لتمضية النهار في منزلي. أليس كذلك؟
علا صوت جايمس وحده موافقاً:
ـ بكل تأكيد يا عزيزتي.
خرجا معاً متجهين الى السيارة، بينما اتكأت ليز الى ذراع ليليان متجنبة الانهيار، فتمتمت صديقتها بحنق:
ـ ما أقسى هذه المخلوقة، انها لا تتوانى عن الحاق الأذى بأي كان.
استدارت تنتظر ان يعترض احد على كلامها، لكنهم ظلوا ساكتين يرثون لحالة ليز. لم تأبه بعطفهم أو رثائهم، أرادت فقط الابتعاد عن هذا المكان، فاعتذرت قائلة:
ـ اتمنى لكم ليلة هانئة.
ردوا التحية وانصرفوا كل الى غرفته بينما بقيت وحدها على الشرفة فسكبت قليلا من القهوة وتناولت سيكارة وصعدت الى غرفتها. انها تعبة للغاية، لكن عينيها أبتا النوم. كلام روبرت عن امكانية هبوب عواصف الليلة أرعبها وطرد النعاس من مقلتيها. ان صحت توقعاته بشأن العاصفة، فلن تخرج حية من غرفتها صباحاً. انهت قهوتها واستلقت على سريرها لا تدري ان كانت تنتظر العاصفة ام عودة جايمس. لم تكتشف

مدى حبها له إلاّ الليلة. تزوجته من غير أن تتأكد من صدق شعورها نحوه، اما الآن فهي تحس بهذا الحب يغلي في جوفها، ويلتهم جوارحها. ليته يبادلها هذا الشعور فتنسى الماضي ويخطان مستقبلهما معاً. لم تعد تهمها الاموال او الشهرة ولا حتى تيرجلين، حبه لها هو ما تريد الآن.

استيقظت بعد فترة لاهثة تكاد تختنق. صدغاها يخفقان بشدة والوسادة مبللة تحت وجهها. فتحت عينيها لتفاجأ ببريق هائل يملأ غرفتها ويعمي بصيرتها، وبصوت الرعد يدوي في كل مكان أحست وكأن العاصفة دخلت غرفتها، فوضعت يديها على عينيها تحجب الرؤ ية عنهما لكن سهام البريق نفذت من بين أناملها. شعرت بصداع رهيب يلف رأسها ويمتد الى كل أنحاء جسمها. اعتادت عند هبوب العاصفة في الليل، أن تغطي رأسها باللحاف والتقوقع في سريرها حتى زوالها. لكن ان فعلت ذلك الليلة فستختنق. انها بحاجة الى تنشق الهواء واستعادة انفاسها.

تذكرت الليلة التي تلت مقتل والديها. كانت عند عمتها وفوجئت بهبوب عاصفة فقفزت من سريرها مذعورة، وهرولت الى غرفة عمتها تنشد الأمان والطمأنينة، وما ان اقتربت من سريرها حتى ردتها على أعقابها بقساوة صائحة:

ـ لا تتصرفي بحماقة. عودي حالاً الى غرفتك.

طردتها من غرفتها وأقفلت دونها الباب، تاركة أياها في بحر الظلام فريسة الخوف والهلع، أدركت ليز يومها أنها فقدت الحب والاهتمام بفقدانها والديها، ولن تتمكن بعد الآن من ايجاد من تركن اليه عند الحاجة. الشعور نفسه ينتابها هذه الليلة، واحساس مجنون بالوحدة يغلفها، فجايمس بعيد عنها يمضي وقتاً ممتعاً مع بولا كافيل. لو كان طوم هنا لما بقي عند بولا بل لعاد مباشرة ليبقى الى جانبها طوال الليل، يحضنها بين ذراعيه مهدئاً روعها.

نهضت من الفراش تسد اذنيها، تمشي بمحاذاة الجدار لتحمي نفسها من ثورة الرعد والبرق. فتحت الباب بصعوبة بيد مرتجفة وسارت في الرواق الى أن وصلت غرفة مجاورة. كانت تعلم انها خالية، وأن جايمس لم يعد بعد ومع ذلك تقدمت من الباب وقرعته بهدوء. فجأة سمعت جلبة خفيفة وما هي الا ثوان، فتح بعدها الباب وبان جايمس أمامها فتمتمت:

ـ أنا آسفة لازعاجك، لكني خائفة جداً. ولا أستطيع التحمل أكثر ساعدني أرجوك.

طوقها بذراعيه، فارتمت على صدره منهوكة تذرف دمعاً غزيراً. ربت على ظهرها بحنان مطمئناً:

ـ اطمئني يا ليز، فانت في أمان الآن.

لم تسمع هذه العبارة من أحد قبلا ما عدا طوم، وهي الآن بين ذراعي طوم فهو لم يبق في منزل بولا. ضمها كالطفل الى صدره، وحملها الى السرير حيث أنزلها برفق ثم قربها من جديد اليه، يداعب شعرها بأنامله متمتماً:

ـ أعدك بأنه لن يصيبك مكروه ما دمت حياً.

لم تصدّق ما تسمعه أذناها، فالتصقت به تنعم بدفئه وطبعت على أسفل عنقه قبلة ناعمة، ثم رفعت رأسها تجاهه وهمست بصدق:

ـ عانقني. أحبني كما أحبك.

شعرت بذراعيه تضمانها من جديد، فسرت رعشة فرحة في نفسها، وقرّب وجهها من وجهه.

انه الحب الحقيقي الذي طالما حلمت به، رائع وجميل. انه يحبها ويشعرها بالأمان والقوة. لم تعد تحس بالعاصفة أو تسمع صوت الرعد، فالعاصفة التي اشعلتها تصرفات زوجها فيها كانت اقوى من كل شيء.

أفاقت من نومها متأخرة لتجد نفسها وحيدة في سرير جايمس، عقربا الساعة يشيران الى العاشرة، فاستلقت من جديد تحدّق في السقف متمنية في قرارة نفسها لو بقي بقربها حتى تستيقظ، أو يعود الآن ليضمها مرة أخرى الى صدره. ليته أيقظها بهمسة حلوة تشنف أذنها وتصل الى قلبها. لم ترد أن تستيقظ وحيدة هذا الصباح.

اتجهت الى غرفتها، فاغتسلت وارتدت ثيابها وتزينت ثم نزلت الى الطابق السفلي. أحست بنشاط غير طبيعي في أرجاء المنزل، فسألت السيدة هورابين:

ـ هل استيقظ الجميع؟

ـ أجل يا سيدتي، انهم يتناولون الافطار.

ادركت ليز لحظة انضمامها اليهم أنهم على وشك الانتهاء، فاحمرت وجنتاها خجلاً وهي تراقب عيونهم تلتهمها عتاباً واستفساراً، واعتذرت

قائلة:
- أنا آسفة لاستيقاظي هذه الساعة.
هتفت هلغا باهتمام:
- كانت عاصفة رهيبة، حرمتني النوم طوال الليل.
تدخل جايمس مفسراً:
- أخبرتهم ان العاصفة ازعجتك ولم يهجر الأرق عينيك إلّا عند الفجر.
ابتسم لها ابتسامة تافهة لا معنى لها. وتوقعت ان ينهض عن كرسيه مرحباً لكنه لم يفعل، فجلست وسكبت لنفسها فنجان قهوة. نهضت هلغا قائلة:
- حسناً، سأجلب ثوب الاستحمام وأهيىء نفسي، متى سنذهب يا جايمس؟
تفحص جايمس ساعته وأجاب:
- خلال نصف ساعة.
همست ليز بنبرة هادئة مستفهمة:
- الى منزل بولا؟
رد جايمس بطريقة أشعرتها بتفاهة سؤالها، فالكل يعلم بنزهة اليوم:
- أجل يا ليز.
توقعت بعد ما جرى هذه الليلة أن يعدل عن الذهاب الى منزل بولا، وان يحذفها من حياته الى الابد. رشفت قهوتها باضطراب، من غير ان تشعر بمرارتها فقد نسيت اضافة السكر، تفكر بتجربتها العاطفية الليلة الفائتة ومدى تأثيرها عليها. لكنها لم تترك اثراً يذكر على جايمس، فبالنسبة له كانت ليلة عادية ولا تختلف بشيء عن غيرها.

٩- الفانوس السحري

جلس روبرت في المقعد الأمامي الى جانب جايمس بينما شاركت ليليان السيدة فنتون في احتلال المقعد الخلفي وتبعهم الباقون في سيارة أخرى. لم تعط التساؤلات ليز فرصة للراحة، فعادت تضج في رأسها كالبحر الهادر، وتتضارب في سرعة مذهلة بحثاً عن خيط رفيع يهديها الى الحقيقة، فلا تجده، تذكرت أنها لم تنظر الى ساعتها عندما قرعت باب غرفة جايمس البارحة، ربما كانت الخامسة وربما أكثر. قد يكون أمضى الليل بأكمله عند بولا وعاد مع بداية العاصفة. أغمضت عينيها بقلق ممزوج بشعور عارم بالغيرة وكبتت أحاسيسها مخافة أن تخسر كل شيء في لحظات. اتكأت على كتف ليليان تنصت بغير اهتمام الى الحديث الدائر. توقعت عند استيقاظها أن يستمر سوء الأحوال الجوية هذا النهار أيضاً فيضطر الجميع للبقاء في تيرجلين. لكن الشمس أشرقت من جديد، وصفا أديم السماء ولا مفر من تلبية دعوة تلك الممثلة اللعينة. انها تعلم كل العلم أن اليوم سيكون الأطول في حياتها، فتمضية النهار على الشاطىء لن ينتهي في ساعة أو ثلاث، بل ستمتد الجلسة حتى الغسق وربما أكثر من ذلك، عدا عن أنها لا تستسيغ ارتداء ثوب الاستحمام كثيراً، من عادتها ان ترتدي ثوباً مؤلفاً من قطعة واحدة وفوقه قميص ناعم يستر نفور عظامها، أما اليوم فقد قبلت بالواقع صاغرة وراجية ألا يعمد الباقون الى مقارنة جسمها النحيل بجسم بولا كافيل الرائع.

انحرف جايمس الى الجهة اليمنى من الطريق سالكاً درباً رملية ضيقة بان في نهايتها الخليج الصغير الذي تحدثت عنه بولا، وعلى جانبيه مساحات

رملية بيضاء تتخللها صخور ضخمة ملساء. انه يشبه المكان الذي شهد عرض جايمس للزواج منها، فتساءلت ان كانت بولا كافيل قد حصلت على العرض نفسه في هذا المكان أيضاً ليلة البارحة.

بدا منزل بولا وحيداً في ذلك الامتداد الرملي الشاسع، يلمع بألوانه البراقة تحت أشعة الشمس. لا بدّ وأنه كان يخص أحد الصيادين أو ان احدهم بناه لتمضية أوقات الراحة فيه، لكن بولا عرفت كيف تعيد ترميمه، ليغدو جديداً يليق بمكانتها، فطلت أبوابه بلون أزرق زاه يتناسق ولون البحر الممتد أمامه. انه المكان المثالي لتمضية العطلة بالرغم من جو الوحدة المخيم عليه في فصل الشتاء والخطر المحدق به حين تقوى حركات المد فتقرع الامواج بابه وتهدد بقاءه. حاولت ليز التلهي بالقاء نظرة عامة على المكان علّها تصرف نفسها عن التفكير بما سيحدث بعد دقائق، فهذا من شأنه اثارة أعصابها واضعاف عزيمتها على مقاومة غريمتها. وما ان توقفت السيارتان حتى هرعت بولا الى جايمس تطوقه بذراعيها مرحبة:

ـ أهلا بك في منزلك.

ضحك جايمس معلقاً:

ـ يا له من ترحيب حار ومفاجىء.

تمنت لو بمقدورها مشاركتهما الضحك أو قول ما يفهم بولا أنها شاهدت الصورة في تيرجلين ولم تأبه كثيراً بها ولا بالعبارة المكتوبة عليها والتي عاودت استعمالها الآن في ترحيبها لكنها لم تر ما يدعو للضحك في تصرف بولا الوقح.

ترجل بقية المدعوين ودخل الجميع المنزل لمشاهدة غرفه، ما عدا روبرت وجايمس اللذين توجها الى الشاطىء، للتنزه وتبادل الآراء في بعض الاعمال، وليليان التي سارعت الى الاستلقاء على حافة أحد أحواض الزهور، تعرض جسمها لأشعة الشمس.

لم يكن في الداخل ما يستحق الذكر أو التوقف عنده. لا شيء في البيت يدل على نية بولا في الاقامة مدة طويلة. لقد حصلت عليه بسبب وجود جايمس في تيرجلين وليس حباً بالعيش في هذه المنطقة المنعزلة. أشاحت ليز بنظرها الى الخارج تفكر بقول ليليان ليلة أمس. كل شيء يعزز ما تفوهت به في غرفة الغسيل، فبولا تخطط بجدية للعودة الى تيرجلين، وبقاؤ ها هنا

ما هو سوى محطة عابرة في طريقها الى تنفيذ مخططها اللعين. ليس بمقدور ليز الاعتراض على زيارات بولا لجايمس أو حتى التدخل لوضع حدّ لها. كل ما يمكنها عمله هو تجنب البقاء في المنزل، وتحاشي رؤية الاثنين مجتمعين. سترحب بجميع أصدقائه، وستسهر على خدمتهم وتأمين راحتهم مهما طالت اقامتهم في منزلها لكن، عندما يتعلّق الأمر ببولا كافيل فستترك المنزل ولن تعود إلّا بعد زوال رائحة عطرها من أرجائه.

أبدى الجميع اعجاباً شديداً بالمنزل طغى عليه التصنع والرياء خوفاً من اثارة سخط بولا، وأشادت هلغا بأثاثه المريح وتصميمه الحسن، فانفرجت أسارير صاحبته واستدارت نحو ليز تسألها:

ـ ما رأيك يا ليز، هل أعجبك منزلي؟

أدركت ليز أن بولا لاحظت عبوسها فتصنعت الابتسام مجيبة:

ـ كثيراً، انه حقاً منزل رائع.

ـ حسناً، لكن لا أظن أني سأعهد اليك بأمر تزيينه وخاصة بعد ما حصل في المرة الأخيرة فقد غدا أجرك باهظاً نوعاً ما.

انها تعني زواجها من جايمس، وتتهمها باستغلال فرصة عملها في تيرجلين لايقاعه في شباكها. تجاهلت ليز تهجم بولا عليها وسألتها ببساطة:

ـ هل ستمكثين طويلاً هنا كي تعمدي الى تزيين المكان؟ يبدو لي انه صمم لقضاء فصل الصيف فقط.

شعت عينا بولا ببريق غريب:

ـ أحببت هذه المنطقة وصممت على العيش فيها.

تذكرت ليز ما قالته محدثتها ليلة البارحة، فقالت بتهكم:

ـ انما ليس في هذا المنزل، أليس كذلك؟

انسحب الضيوف الى الخارج تاركين بولا وليز بمفردهما، فهم لم ينسوا بعد ما حصل ليلة امس، وكيف كادت السهرة أن تتحول الى عراك. فضلوا الخروج الى الشاطىء كي لا يشهدوا مشاجرة جدية بين الفتاتين، فعدم وجود جايمس يحرج موقفهم. انهم يعرفون بولا حق المعرفة فلم يبخلوا على ليز اثناء خروجهم بنظرة رثاء.

أردفت بولا فور سماعها اغلاق الباب:

- كلانا يعلم أن ما حصل مرحلي، والسبب الحقيقي لزواج جايمس منك.

لزمت ليز الصمت وحاولت مغادرة الغرفة، لكن بولا أسرعت تقف حائلاً بينها وبين الباب مخاطبة اياها بهدوء:

- ظن أني سأعود اليه صاغرة فور سماعي النبأ، لكني لم أفعل لاعتقادي أنه لن يمضي في ذلك حتى النهاية. ظننته يخادع ونسيت عناده اللعين. كوني واقعية يا ليز، أراد امتلاكك ليثير غيرتي وهو يستغلك الآن لتحقيق مأربه.

لم تجرؤ ليز على تحريك شفتيها لأنها ان فعلت سيكون كلامها صراخاً غاضباً. لا تعرف ما قد تتفوه به، لكنها تحس للمرة الأولى رغبة شديدة بالصياح في وجه أحد. استدارت نحو الباب المؤدي الى المطبخ تتوسل النجدة بينما أردفت بولا بدهاء:

- ان كنت تبحثين عن ماري ادموندز فلست في المكان المناسب. طردتها لأنها سمحت لك بالعمل في تيرجلين اثناء وجود جايمس هناك.

همست ليز بصوت يقرب الحشرجة:

- ماذا؟ ماري لم تعرف بوجود جايمس وأنا متأكدة من ذلك. لا يمكنك معاقبتها على ذنب لم تقترفه.

- بامكاني أن أفعل أي شيء، هل فهمت؟ اي شيء.

فتح الباب فجأة ودخلت ليليان لتسمع ليز تصيح:

- اطردت ماري ادموندز لأنها وافقت على ان ابدأ العمل قبل الموعد المحدد؟ هذا ليس عدلاً وستندمين على هذا الجرم.

ألقت بولا نظرة خاطفة على ليليان ثم اجابت باشمئزاز:

- يبدو أن زواجك من مليونير قد أفقدك صوابك. اتظنين نفسك مهمة الى هذه الدرجة؟ أنا وماري اتفقنا على الانفصال بسبب حصولها على وظيفة أفضل.

- أين؟

- لا أدري.

- سأكتشف ذلك بنفسي.

توجهت بولا الى المطبخ تصفف شعرها قائلة:

- حسناً، بلغيها سلامي ان عثرت عليها.

وعادت تحمل ثلاث زجاجات من عصير البرتقال المثلج، وسلمتها الى ليليان قائلة:
- جربي هذا العصير يا ليليان لكن اياك ان تقدمي منه الى ليز، فستظن لشدة انفعالها اني دسيت فيه سماً.
شكرتها ليليان معتذرة عن قبول العصير، وأمسكت بذراع ليز هامسة:
- تعالي نخرج، فأنت بحاجة الى هواء منعش.
ساعدتها في النزول الى الشاطىء، وما ان ابتعدتا قليلاً حتى بادرتها قائلة:
- أظن ان تصرفها مع ماري قانوني، فبولا لا تقدم على طرد أحد من غير ان تحسب حساب العواقب. انها خبيرة في مثل هذه الأمور، ونادراً ما تبقي موظفيها اكثر من شهرين ومن ثم تستبدلهم بآخرين.
- لكن ماري بدت مسرورة بالعمل مع بولا ولا يعقل ان تقترف خطأ قد يفقدها وظيفتها. حدث كل هذا بسبب بدئي العمل قبل الموعد المحدد، مما أزعج بولا فصبت جام غضبها على سكرتيرتها المسكينة.
- لا أعرف ماري ادموندز جيداً، فقد التقيتها عدة مرات في منزل بولا. لكني لا أظنها ستلاقي مشقة في العثور على وظيفة أخرى.
اغمضت ليز عينيها وتمتمت بحسرة:
- إلاّ اذا تمنعت بولا عن اعطائها افادة تجيز لها ذلك. هلا استفهمت من روبرت حول هذا الموضوع؟ لأني ان حاولت الاستعلام عن ذلك من جايمس، فسيتهمني بالتدخل في ما لا يعنيني. قصدت من اطلاعي على ما حدث، ان تربكني وتجعلني أشعر بالذنب لما حصل لماري.
وافقت ليليان على كلامها، ثم امسكت بيدها مبتسمة تسألها:
- لماذا لا تسبحين؟ فالمياه منعشة والسباحة تريح الاعصاب.
- لا أقدر أن أسبح الآن.
- حسناً، سنكتفي بتناول كوب من الماء البارد ونقوم بنزهة على طول الشاطىء. ما رأيك؟
اعتذرت ليز بعد حين عن القيام بنزهة، وجلست على احدى الصخور ترقب روبرت وليليان يبتعدان رويداً رويداً عن ناظريها. الى يمينها، انهمكت بولا وهلغا في تحضير المائدة بينما راح ريكس وبن يشعلان النار.

كانت بولا قد أوصت في الصباح الباكر على الطعام من مطعم قريب، فاعتذرت من ضيوفها على عدم اجادتها الطهي. لم يبال أحد بنوعية الطعام، فالطقس جميل والمكان رائع، وهذان الامران كافيان لانجاح نزهة اليوم.

اضطر روبرت وليليان الى مغادرة المكان باكراً لارتباطهما بموعد سابق، وبقي الآخرون ينعمون بأشعة الشمس الدافئة. تمددت بولا الى جانب جايمس مسندة خدها الى راحة يده، بينما استلقت هلغا الى جانبها غير آبهة بحبيبات الرمل الأبيض تملأ شعرها.

من عادة بولا أن تبقى في الماء مدة طويلة لاقتناعها بأن ذلك يساعد على انعاش الجسم، وتخلصه من تعب العمل والسهر. أما اليوم فقد تخلّت عن عادتها وانصبّ اهتمامها كله على البقاء قرب جايمس. لم تفارقه أبداً، ان مشى مشت معه، وان جلس جلست معه وتدبرت طريقة تبقيه فيها تحت متناول ذراعيها.

نظرت اليهما تلعن حظها، فبولا وهلغا ممثلتان تجيدان لفت الانظار وابراز مفاتنهما. أما هي فلا مفاتن لديها تبرزها ولا جمال تلفت به الانظار. لكن هذا لم يزعجها اليوم، ولم تخجل من الظهور بثوب الاستحمام المحتشم، تغطيه سترة رقيقة تصل الى ركبتيها.

نظرت بولا اليها بازدراء قائلة:

- ألم يحن الوقت لتكشفي لنا عن مفاتنك يا ليز؟ انك تشعرينا بقدوم فصل الشتاء بثيابك هذه.

أجابت ليز بارتباك:

- بشرتي... بشرتي الحساسة لا تسمح لي بالتعرض للشمس.

تدخلت هلغا تعرض المساعدة، ومدت يدها الى حقيبتها تتناول زجاجة صغيرة ناولتها الى جايمس:

- استعملي هذا النوع من الزيت، فسيحمي بشرتك من أشعة الشمس.

فتح جايمس الزجاجة وهم بوضع القليل منها على يده ليمسح به جسم ليز. لكنها اعتذرت عن قبول مساعدته متصنعة الابتسام:

- شكراً، بامكاني القيام بذلك بمفردي.

ناولها الزجاجة ووقف يراقبها تسرع في مسح وجهها وذراعيها فسارعت بولا الى القول وهي تنظر اليه مبتسمة بدهاء:

ـ سأجربه عندما تنتهين منه يا ليز.

للمرة الأولى منذ وصولها الى منزل بولا، وجه جايمس الحديث الى ليز:

ـ هل تسبحين معي؟

اعتذرت ليز للمرة الثانية:

ـ لا أجيد السباحة.

ـ سأعلمك.

ـ أفضل أن تكون تجربتي الأولى في حوض سباحة صغير، حيث بامكاني الاستراحة ساعة اشاء.

امسكت بولا بذراع جايمس بدلال واضح هاتفة:

ـ حسناً، لم يبق سوى أن تراقبينا اذن.

لم تتحرّك ليز من مكانها، وأقفلت الزجاجة ثم أخفتها في الحقيبة. ان فطنت اليها بولا، فستطلب من جايمس أن يمسد لها جسمها، ولن يروقها هذا المشهد أبداً.

هتفت بولا مرة أخرى:

ـ الا تغيرين رأيك؟

ولم تنتظر جواب ليز بل هرعت نحو الماء بخفة غريبة. منظر الماء يغري بالغوص وبالارتماء في احضان ذلك الامتداد الأزرق. أحست ليز برغبة جامحة باللعب واللهو في الماء كما يفعل بن وهلغا، لكنها خشيت أن تتصرف بغرابة قد تثير ضحكهم.

تقدم منها جايمس وسجا على ركبتيه يسألها من جديد:

ـ الا تسبحين معي يا ليز؟

ـ لا شكراً أفضل البقاء هنا.

راقبتهم من بعيد يلعبون ويقفزون في الماء، ثم لمحت جايمس وبولا يبتعدان حتى كادا يغيبان عن ناظريها. بامكانها أن تميز جايمس للون شعره الاسود الداكن، وهو يظهر ويختفي بين الامواج الهادرة وبولا تتبعه عن كثب. توقفا في عرض البحر ولم تعد تشاهد سوى نقطتين قاتمتين بعيدتين وانعكاس أشعة الشمس على صفحة الماء يبهر بصرها ويجعل من العسير ان

تفرق بينهما. ابتعدا مسافة طويلة هرباً من مراقبتها، فالتفتت الى ريكس وقد توقف عن القراءة ليشعل سيكارة، سألته:

- هل بامكانك رؤ يتهما؟

التفت ريكس ناحيتها:

- رؤ ية من؟

هتفت ليز بفارغ الصبر:

- جايمس وبولا.

ابتسم ببرودة زعزعت صواب ليز وأجاب:

- لا تقلقي، فبولا سباحة ناجحة، وجايمس يعوم أفضل من السمك نفسه (ناولها منظاره) استعملي هذا للاطمئنان أكثر.

ركزت ليز المنظار على عينيها وراحت تعبث بجهاز تصحيح الرؤ ية حتى وضحت الصورة أمامها. رأت هلغا أولاً، وقد سطع وجهها في الماء كالفانوس السحري لكثرة ما وضعت من مساحيق، انه منظار رائع يقرب المسافات بطريقة هائلة. تركت هلغا تغوص في الماء وراحت تبحث عن جايمس في ذلك المنبسط الازرق القاتم، وتسارعت خفقات قلبها حين ارتسمت صورته أمام عينيها وأحست بأناملها تتململ لا شعورياً تحاول لمسه. كان يتحدث، وادركت ذلك من تحرك شفتيه وتمنت لو بامكانها سماع ما يقول، أو حتى قراءة الشفاه. لا، لا تريد أن تسمع مغازلته لبولا في تلك الخلوة المنعشة، حيث لا يراهما أو يسمعهما أحد.

هدأ قلقها بعدما تأكدت من سلامتهما، فأرجعت المنظار الى ريكس متمتمة:

- شكراً، انه حقاً رائع.

- ما هو الرائع؟

- رائع أمر هذا المنظار. شعرت أني هناك معهما ورذاذ الماء يكاد يصيب وجهي.

أدرك ريكس لعبتها فلم يرد احراجها:

- أريد ان اهنئك على عملك الرائع في تيرجلين.

- شكراً لاطرائك.

- ليس اطراء بل شعور معجب بالفن. لدي غرفتان في منزلي تحتاجان

الى اعادة تزيين، وأود الحصول على رأيك في ذلك.
- بكل تأكيد. اين منزلك؟
- في مانشستر.
- انها مدينتي المفضلة. اخبرني عن الغرفتين.
تمددت على الرمل تسند رأسها الى مرفقها تستمع اليه يكلمها عن منزله. ورحبت بفكرة الذهاب الى مانشستر لالقاء نظرة عليه. ستقوم بهذه المهمة ما دام هدف ريكس هو تغيير الغرفتين وليس شيئاً آخر.
أخبرها عن تجربتي زواج خاضهما وعن طلاقه الأخير. بدا رقيقاً وجذاباً، لكنه كان قريباً منها اكثر من اللزوم ويتعمد الابتسام طوال الوقت. تساءلت في قرارة نفسها عن معنى تصرفه هذا، فلا يعقل ان يعجب بها بهذه السرعة، خاصة وهي ترتدي ثوب الاستحمام هذا.
انتظرت حتى استدار ليشعل سيكارة، ونهضت على قدميها بخفة.
- الى أين انت ذاهبة؟
- الى المنزل، سأقوم بغسل الاطباق.
- دعي خادمة بولا تتكفل بهذا الأمر.
- انها سكرتيرتها وليست خادمتها وهي اليوم في اجازة. سيكون منظر المطبخ، مرعباً عندما تراه غداً بهذه القذارة، عدا عن اني انشد القليل من الحركة والانتعاش.
انهت كلامها بابتسامة ناعمة وانصرفت متجهة الى المنزل. بدأ الزيت على جسمها يزعجها، وستضطر بعد قليل الى اللجوء الى مياه البحر، لذلك أسرعت في سيرها قبل أن يفطن ريكس الى ذلك. جمعت مخلفات الغداء في غرفة الجلوس بطريقة فوضوية، فعملت ليز على نقلها الى المطبخ. لم تدر سبباً لوجوب قيامها بغسل الصحون، لكنها على الأقل فرصة لتفادي الجلوس في الخارج والاصابة بالصداع مهما كان سببه، وجود بولا الى جانب زوجها، أم اشعة الشمس نفسها.
تمنت عودة روبرت وليليان لكنها تعلم استحالة ذلك، فمن المؤكد انهما عثرا على مكان جميل يتناولان فيه الغداء، ولن يعودا الى تيرجلين قبل حلول الظلام. تعلم توقهما الدائم للانفراد مثل بربارة والن، فليس واجباً ان يحفل كل زواج بالمشاكل التي يعاني منها زواجها من جايمس، والاخبار عن

بدء زوال مفهوم الزواج ليست صحيحة. انه حب ينبض في ملايين المنازل صغيرة وكبيرة، باستثناء تيرجلين. تمنع عن دخول المنزل الذي تحب، ورفض ان ينعم بغيض من فيضه. القت نظرة عبر النافذة الصغيرة المطلة على البحر من غير أن تتمكن من تحديد السابحين، نظراً لبعد المسافة. قد يكونان ابتعدا اكثر، واختفيا عن الانظار، أو أنهما عادا الى الشاطىء.

تخيلتهما يخرجان من الماء جنباً الى جنب. حورية بحر رائعة تطوقها ذراع فارس جذاب من فرسان القرون الغابرة، ثم الرمال الدافئة يضمها الى صدره ويحملها الى مكان ناء لا يصل اليه الزمن. لم تشأ الاسترسال في خيالها، فالغصة تكاد تخنقها واغرورقت عيناها بدموع ثائرة. عليها ان تخنق مشاعرها اذا ارادت ان تبقى بكامل قواها العقلية، فهي حتماً ستحتاجها في الأيام المقبلة.

تساءلت، وهي ترتب الاطباق النظيفة في الخزانة، عن حقيقة وجود سكرتيرة مع بولا هنا. اذا كان هدفها جايمس، فلا يعقل ان تقبل بوجود فتاة أخرى تشاطرها خلوتها. لا بد وأنها تدبرت مسكناً آخر في الجوار تأوي اليه بعد العمل، فيخلو لها الجو لاستقبال جايمس مما يعني انهما قضيا ليلة البارحة بمفردهما. ستعرف الحقيقة ان هي تفحصت الغرف، لكنها لن تفعل ذلك. انها تخشى اكتشاف حقيقة علاقتهما ولو كانت الدلائل واضحة، وتخاف مواجهة واقع يسبب لها صدمة قد تكون قاتلة هذه المرة.

فجأة سمعت وقع خطوات وصوت ريكس هاتفاً:

ـ ليز، هل أنت بخير؟

مسحت عينيها براحة يدها، وخرجت لتلقاه واقفاً في غرفة الاستقبال:

ـ طبعاً أنا بخير. انهيت لتوي ترتيب الاطباق وتنظيف المطبخ، وأفكر في تحضير فنجان من القهوة. ما رأيك؟

جلس على كرسي خشبي قرب النافذة المطلة على الشاطىء مبتسماً:

ـ فكرة مدهشة.

اشعلت ليز النار تحت غلاية ملأتها ماء، ثم أخرجت ستة فناجين من الخزانة ووضعت في كل منها قليلاً من القهوة، ووقفت قرب الباب المؤدي الى الخارج تنتظر غليان الماء.

لم تفكر في تحضير القهوة بل في دخوله، لكنها ارادت تعليل تمضيتها

وقتاً طويلاً هنا، فلم تجد غير القهوة سبباً مقنعاً، عدا عن انها تريد تجنب محادثته أو الجلوس معه.

أبصرت بولا وجايمس يخرجان من الماء وينضمان الى الآخرين. لفت هلغا جسمها بمنشفة كبيرة بينما جلست بولا على صخرة صغيرة تصفف شعرها بيديها. رأت جايمس يتلفت وكأنه يبحث عن أحد، وعندما وقع نظره عليها لوح لها بيده وسار تجاهها تتبعه بولا كظله نافضة الرمل عن جسمها.

بادرتهما ليز لحظة اقترابهما من المدخل:

ـ القهوة جاهزة، هل تمانعين في ارتشاف فنجان منها يا بولا؟

ـ أمانع؟ وهل هناك أفضل من فنجان قهوة بعد نهار مثير كهذا؟ (ولما أصبحت في الداخل هتفت باعجاب) يا لك من فتاة مرتبة، لقد نظفت المكان.

ـ كنت أريد قتل شعور بالضجر بدأ يراودني.

لاحظت بولا وجود ريكس فقالت بازدراء واضح:

ـ مرحباً يا ريكس، هل كنت تساعد ليز؟ لم أعرفك ملماً بالأمور المنزلية.

أجاب ريكس بلهجة مماثلة:

ـ بامكاني المساعدة في أي شيء.

ـ لا شك في ذلك. لماذا توردت وجنتاك يا ليز؟

أحست ليز وكأن بركاناً يوشك أن ينفجر في داخلها. تريد أن تقول كل ما في داخلها، وأن تطلق سراح أحاسيسها المكبوتة. تود أن تصرخ في وجه جايمس الضاحك، وكأنه راض عما تلمح اليه تلك الممثلة الماكرة. لكن صفير الغلاية قطع عليها حركتها ولجم صراخها. هرع جايمس الى المطبخ يتمم تحضير القهوة، بينما صعدت بولا لتغتسل وتغير ثيابها. جلس الباقون في غرفة الاستقبال يستمعون الى حديث هلغا عن بحيرات أميركا الشمالية ومتعة السباحة في مياهها. قبل الغروب بقليل، عاد روبرت وليليان ليرافقا الباقين الى تيرجلين. انتهت عطلة الأسبوع وسيعود الضيوف كل الى عمله. بن وهلغا سيكونان أول المغادرين في الصباح الباكر، وسيتبعهما آل جيليان بعد تناول الافطار.

المفاجأة الكبرى كانت اعلان جايمس عن اضطراره للسفر الليلة بدلاً

من صباح الغد، فقد ظنت ليز أنه سيبادر الى الاعتذار منها عن اهماله لها طيلة النهار ويعوّض عليها ما فاتها من حنانه واهتمامه، لزمت السكوت مؤثرة ادخار غيظها ودموعها الى حين تنفرد بنفسها في غرفتها، وتلقي برأسها المثقل بالهواجس على وسادتها. لم يتوقف بن عن التثاؤب وهو يراقب روبرت وريكس ينقلان الاغراض الى السيارة، ولما هم بدخول سيارته قال والتعب باد عليه:

- لا أدري كيف تشعرون الآن، لكني على وشك الانهيار بسبب السباحة اللعينة. هل يمانع أحدكم في تمضيتي بقية السهرة ممدداً على الأريكة الى أن يحين موعد النوم؟

اجاب روبرت موافقاً:

- هذا ما سيفعله كل منا.

نظرت ليز الى زوجها، تنتظر تفسيراً لما قاله روبرت، لكنها لم تحظ سوى بتفسير مقتضب، تمتم به جايمس وهو يغلق باب سيارته:

- لقد طرأ تعديل بسيط على برنامج العمل.

بدا طبيعياً فيما قاله، والجميع يقدرون وضعه. انه رهينة المسؤوليات الهائلة الملقاة على عاتقه. اعتاد نمط الحياة هذا، وبقي ان يعتاده الآخرون. واكبتهم بولا الى السيارة، وودعتهم مكتفية بالقول:

- سنلتقي في وقت قريب.

عادت ليز الى تيرجلين ورأسها يضج بالاستنتاجات والتساؤلات. لا تجد لها تفسيراً أو جواباً. باتت تكره مرافقة جايمس الى أي مكان، فاليوم اكتشفت قيمتها لديه أو لدى اصدقائه. لا تساوي شيئاً وكأنها غير موجودة. تحسهم كما تحسه، متصنعين ويتكلفون الابتسام لها أو التحدث اليها. لا ترى في عيونهم غير الرثاء لحالتها، ولا تقرأ على شفاههم سوى التعليقات السخيفة. لا بدّ وأنهم راضون عما يحدث، ضالعون في حبك مؤامرة جمع شمل بولا وجايمس من جديد. لم يضع جايمس وقته في تيرجلين، بل استغل عودة الجميع متعبين وانشغالهم بالاستحمام، وراح يتهيأ للرحيل. اما ليز فقد استحمت بسرعة وبدلت ثيابها، ثم جلست أمام المرآة تصفف شعرها. سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها، فنادت:

- تفضل.

دخل جايمس مرتدياً بذلة بيضاء، وقميصاً حريرياً أزرق وتفوح منه رائحة العطر. تقدم منها وطبع على خدها قبلة ناعمة قائلاً:

- اني راحل (واردف باهتمام) هل يمكنك الاهتمام بنفسك الى حين عودتي؟

- بكل تأكيد. لدي أعمال كثيرة أريد انهاءها (تطلعت اليه بعينين عاتبتين تسأله) متى ستعود؟

- الأحد القادم.

- حسناً، طلب ريكس مني تزيين غرفتين قديمتين في منزله.

- عظيم.

توقعت ان يحاول الاستفهام عما دار من حديث بينها وبين ريكس، أو على الأقل الاعتراض على زيارتها له في منزله. أرادت أن تخبره عن تغزل ريكس بها، واعجابه بالنساء النحيفات، لكنها خشيت أن يسخر منها، فتمتمت بانكسار:

- مع السلامة.

- حاولي أن تأتي لزيارتي عندما تسنح لك الفرصة.

نهضت من مقعدها شاخصة اليه في المرآة:

- سأعمل جهدي.

تبعته الى الاسفل، ووقفت أمام الباب الخارجي تودعه ملوحة بيدها، كما فعلت بولا هذا النهار، انما من غير تلك الابتسامة الماكرة التي ارتسمت على شفتيها.

لم يستقل الطوافة بالرغم من اختصارها المسافات بل ركب سيارته مما يعني انه سيضطر الى التوقف في طريقه لتمضية الليل في مكان ما، قد يكون منزل بولا.

وقفت ليليان قرب النافذة تنظر باشفاق الى صديقتها تعود ادراجها بتأن وقلق، فبادرتها قائلة:

- انه يعمل فوق طاقته، ولهذا السبب وصل الى ما هو عليه الآن من غنى وجاه.

- ولا ننسى المساعدة التي وفرتها له مجموعة المؤسسات التي كان يملكها ابوه.

- لم تقدم مساعدة تذكر، فقد كانت شركة صغيرة يوم دخلها جايمس.
- لا تحاولي اقناعي بانه بنى هذه الامبراطورية بنفسه.
- انها الحقيقة يا عزيزتي.

طأطأت ليز رأسها من غير أن تضيف حرفاً. أدركت ما ترمي اليه صديقتها في كلامها عن عمل جايمس، فهي تحاول اظهار تفانيه في العمل الدافع الوحيد لابتعاده الليلة عن المنزل. ليت بامكانها ان تصدقها، فتحصد سعادة لا حدود لها. لكن احساسها بأن جايمس سيمضي ليلته عند غريمتها اللعينة طغى على تفكيرها، وشل قدرتها على التلهي بامر آخر. خلف رحيل جايمس جواً من الهدوء وكأن المنزل فقد قلبه النابض، وجاهدت ليز في المحافظة على ثباتها، تسهر على تأمين راحة ضيوفها، وتنتظر بفارغ صبر انبلاج الفجر لتراهم يغادرون المكان. تحس بتوق جارف الى الراحة بعد الذي عانته هذين اليومين. حتى ليليان شعرت بالتبرم من جودهم في تيرجلين، فهي الأخرى تود العودة الى عملها الليلة بالذات لتنسى وجوههم ورياءهم.

في الصباح التقت ليز ما تبقى من الضيوف الى طاولة الافطار مرتدية ثياب العمل، ولم يمض وقت قصير حتى ودعتهم أمام الباب وهرعت الى الداخل لتبدأ عملها.

لم يغمض لها جفن طوال الليل، تفكر ببولا وجايمس وتحاول جاهدة طرد فكرة تمضيته ليلته الى جانبها. هذه الليلة ستهنأ بالنوم لأنها ستشغل نفسها بالعمل طوال اليوم. لن تتوقف إلّا عندما توشك على الانهيار، وستنهي ما تبقى من غرف في غضون اسبوع وتنتقل بعدها الى أعمالها الخاصة، تبعدها عن وصاية جايمس، واعتمادها على العقود التي يأتيها بها. لن تظل مرهونة لشركته، تنتظر ما يوفره لها من فرص عمل تشعرها بالأسر.

دخلت عليها السيدة هورابين، تذكرها بموعد الغداء، فأجابت ليز بغير اهتمام:

- أجلبي لي اي شيء، فطيرة صغيرة.
- فطيرة صغيرة لن تساعدك على انهاء عملك.

بالرغم من حداثة وجودها في تيرجلين، باتت السيدة هَورابين ملمة

بكل ما يجري في المنزل. علمت بزيارة بولا السبت الماضي، وأين أمضى الجميع نهار أمس. كما أنها تعرف ان جايمس غادر المنزل ليلة أمس. احتارت الى جهة من تقف، فليز تبدو حتى الآن الجهة الخاسرة، وبالرغم من ذلك فهي تشعر بميل غريب الى مساندتها. ابتسمت ليز بارتياح لما أبدته مدبرة المنزل من اهتمام بها، وقالت:

ـ اذن، حضري لي فطيرتين.

لم تمضِ دقائق حتى كانت عربة الطعام الى جانب ليز، وعليها عدد من الفطائر الصغيرة، مع طبق يحوي حساء ذا رائحة شهية. حاولت السيدة هورابين ثني ليز عن العمل بعد الطعام مباشرة لكنها لم تلق منها سوى التمنع والعناد.

ـ من عادتي أن اعمل عشر ساعات من غير راحة، فلا تقلقي علي أيتها العجوز الطيبة.

رن الهاتف مرات عدة خلال النهار. اتصلت ليليان من منزلها تطمئن الى حالة ليز، التي جاهدت كي يبدو صوتها طبيعياً اثناء المكالمة. لم تشأ اقلاق ليليان واقحامها في مشاكلها ما دامت غير قادرة على مساعدتها. باتت تملك خطط مستقبلية خاصة بها، وأهمها انهاء العمل في تيرجلين. عند المساء، اتصل جايمس وكلمته ليز من غرفة النوم الرئيسية في الطابق العلوي. كان الهاتف الاقرب الى مكان عملها عدا عن انها قصدت التحدث من الغرفة التي كانت معدة لبولا، ما دام المتحدث جايمس نفسه. أحست نفسها احدى موظفاته تجيب على اسئلته بصورة آلية وبقع الطلاء تلطخ ثيابها، والغبار يملأ شعرها ويكسو وجهها. كانت تعبة فبدا صوتها ضائعاً كئيباً. بادرها بالاطمئنان عليها فأجابت بارتباك:

ـ اني بخير، لكن التعب بدأ يدب في أوصالي.

ـ لا تبالغي في العمل يا ليز.

ـ وأنت أيضاً.

انها تجهل ما اذا كان تعباً ام لا، وماذا فعل الليلة الماضية. حتى أنها لم تسأله عن مكان وجوده الآن ومن معه. أردفت تتصنع اللامبالاة:

ـ لم يحدث ما يستحق الذكر طيلة النهار. اتصلت ليليان لتنبئني بوصولها بخير الى المنزل.

- أعلم ذلك، فقد رأيت روبرت.
- هذا كل ما لدي من أخبار.
اقترح عليها في نهاية المكالمة أن تخلد الى السرير باكراً. وكادت تسأله ان كان قادماً لكنها عدلت خوفاً من أن تظهر غيرتها فجأة، فقالت:
- فكرة حسنة، شكراً على المكالمة. طبت مساء.
أقفلت الخط وعاودت عملها حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي الصباح الباكر قامت من جديد تدفن نفسها بين علب الطلاء وأوراق الجدران الممزقة. بقيت على هذا الحال أسبوعاً كاملاً مما أثار حفيظة السيدة هورابين وقلقها عليها. أرادت أن تلهيها عن العمل بشتى الوسائل، وعرضت أن تكلمها عن جايمس وعن ماضيه، لكن ليز لم تعطها فرصة، كانت مأخوذة بالعمل، ولم تعد بحاجة لتلك المعلومات التي كافحت للحصول عليها قبلاً. عرفت كل ما تريده بنفسها، عرفت أنها تحبه وأدركت حاجتها اليه الآن والى الأبد. لكن تفكيرها به يجرحها ويدمي قلبها ولا تريد أن يعلم أحد بعمق جرحها. خابرها ريكس يشكرها على عطلة الأسبوع، وعارضاً استضافتها يوماً ما لتطلع على الغرفتين. شكرته ليز وسجلت اسمه في دفتر مواعيدها بعدما وعدت بأن تزوره حالما يسمح لها الوقت بذلك.
مع حلول نهاية الاسبوع، انتقلت ليز الى الغرفة الاخيرة في تيرجلين. انها الغرفة الصغيرة التي شغلتها يوم قدومها للمرة الاولى الى هذا المكان. ستغطي جدرانها بأوراق زهرية، وتطلي بابها الخشبي الصغير باللون الرمادي. لا تدري سبب تركها هذه الغرفة الى النهاية. لكنها تكن لها اهتماماً خاصاً لما فيها من ذكريات محببة الى قلبها. قضت فيها أولى لياليها في تيرجلين ورجعت جدرانها صدى خفقات قلبها اعجاباً بطوم ريدينغ في أرجائها حلمت بمستقبل مختلف تماماً عن الذي تعيشه. كانت اياماً حلوة لن تعود أبداً.

أرادت انهاء عملها قبل هبوط الظلام، علّها تحظى بما يكفيها من وقت لتتبرج وترتدي أحلى ثيابها، استعداداً لقدوم جايمس. ستبدو أنيقة جذابة وستعمل على ان يكون مظهرها مختلفاً عن المرات السابقة، فلديها من الثياب ما يساعدها على ذلك. سيفاجأ بما انجزته من أعمال، فقد اتصل بها عدة مرات وفي كل مرة أخبرته انها ما زالت تعمل في الغرف كاتمة عنه

انها على وشك الانتهاء.

تناولت السلم الخشبي الكبير وتسلقته لتتمكن من لصق الورق على أعلى الجدار. لكنها فوجئت بالمدبرة العجوز تمسك بقاعدته وتهزه مؤنبة:

- أمرني السيد فنتون بالاهتمام بك، فماذا سيقول حين يعلم أنك لا تتوقفين عن العمل قبل منتصف الليل؟

- لن يقول الشيء الكثير على ما اظن.

- أأنت متأكدة من ذلك؟

تهادى الى مسمعيها رنين الهاتف فأسرعت الى غرفة النوم ترفع السماعة. كان المتحدث بولا هذه المرة، فتمنت لو تركت مهمة الاجابة للسيدة هورابين، وتجنبت ازعاج نفسها.

علا صوت بولا هاتفة بتودد كاذب:

- مرحباً يا عزيزتي. أود أن أعلمك اني قادمة الى تيرجلين في عطلة الأسبوع، أي نهار الجمعة القادم.

- حقاً؟

- أجل، فقد تلقيت دعوة لذلك، لكنني فضلت اعلامك بالأمر فربما فضّلت مغادرة المنزل.

انها تتحداها في دارها، تريد طردها منه واسترجاع ما سلب منها. استجمعت قواها الخائرة واجابت بصراحة:

- زيارتك لا تقلقني ابداً ولا أرى داعياً لرحيلي عن منزلي.

- صحيح؟ كنت أظن العكس. الى اللقاء اذن.

أرجعت ليز سماعة الهاتف الى مكانها تلوم نفسها على ما قالته. زيارة بولا لتيرجلين ستقوض كل شيء وتقلب حياتها رأساً على عقب، لن توفر سلاحاً إلّا وتستعمله في وجهها حتى تخر صاغرة طالبة الرحمة. وجايمس، ماذا سيكون موقفه؟ هل سيمدّ يد العون الى زوجته، ام يساند غريمتها وحبه القديم ضدّها؟

عادت الى عملها شاردة الذهن تستعيد تفاصيل تلك المكالمة المشؤومة. انه الفصل الأخير من المؤامرة المحاكة ضدها، وستقود بعده بولا الى هنا لتكون سيدة المنزل وزوجة صاحبه. أحست بتعب هائل زاده قلقها من العطلة القادمة. لن تتحمّل وجود عدوتها هنا، وسيلاحقها طيفها في كل

مكان تهرب اليه، يقلق راحتها ويدمّر حلمها. عملت من غير تركيز، فيداها ترتجفان وعيناها تدمعان. قريباً يسدل الليل ستاره وعليها أن تتوقف عن العمل. بامكانها اتمام الغرفة غداً صباحاً قبل استيقاظ جايمس. لن تهتم بمظهرها أو بثوبها بعد الآن، فلا فائدة من ذلك ما دامت بولا ستنتقل الى هنا الأسبوع المقبل. جلست على احدى درجات السلم تحدق في رسوم الاوراق على الجدران. قلوب صغيرة حمراء اللون، تطير كالفراشات حول قلبها الحزين الباكي. تلتهمه نيران الغضب من زوجها وبولا لاحتقارهما اياها، ولامعانهما في اذلالها وتحطيمها.

فجأة فتح الباب واطل جايمس بعينين تختصران كل عتاب الدنيا وتأنيب الأرض. لم تتوقع قدومه الآن ومفاجأته اياها تعمل حتى هذه الساعة.

ـ ماذا تفعلين في هذه الساعة المتأخرة؟

أجابت بارتباك:

ـ ماذا تعتقدني فاعلة؟ اني أنهي الغرفة الأخيرة، ثم لم أتوقع قدومك باكراً.

ـ ولم العجلة؟

ردت ليز تجمع بين التحدي والانكسار:

ـ يجب أن يكون جاهزاً لاستقبال السيدة كافيل. فهي لم تره بعد انتقالنا الى هنا. صار بامكانها الآن التجول فيه بفخر واعتزاز (وهتفت بمكر) آه تذكرت، هل تمانع في دعوتي ريكس لتمضية نهاية الاسبوع هنا؟

أجاب جايمس بحزم:

ـ أجل أمانع في ذلك.

ـ اذن من الأفضل ان ازوره بنفسي في منزله.

اوشك ان يبتسم وقال بتهكم:

ـ اذا ذهبت بحالتك هذه، اعتقد انه سيردك على أعقابك ويستغني عن خدماتك.

ايقنت ليز انه يهزأ منها وأنها تحولت في النهاية الى مدعاة للسخرية له ولبولا، فصاحت:

ـ بامكانك الحصول على المنزل بكامله لك ولاصدقائك. احضر من تشاء الى هنا. دعني فقط انجز هذه الغرفة لاني لا أقدر أن اتركها على هذه

الحال، فما زلت أملك بعضاً من الكرامة بالرغم مما حصل. هل ستمضي الليل هنا، أم انك في طريقك الى منزل بولا.

استغل جايمس توقفها عن الكلام لالتقاط انفاسها ليقول:

ـ تملكين صوتاً جيداً بالرغم من كراهيتك للصراخ.

لم يدعها تضيف كلمة اخرى، بل غادر الغرفة مقفلاً الباب خلفه، فبقيت في مكانها مسندة ظهرها الى سور السلم. زالت العاصفة من داخلها وانطفأت نار الحنق التي اندلعت منذ دقائق. هدأت بعد ذهابه بالرغم من علمها انه ذاهب الى منزل بولا. لكنها تنبهت فجأة الى خطورة قيادته السيارة وهو في هذه الحالة، فقفزت عن السلم وهرعت الى الباب الخلفي لتجد المرآب خالياً. هرولت الى المدخل الآخر ورأته يهم بادارة المحرك. صاحت بهلع تنزل الدرجات الرخامية:

ـ مهلا، أرجوك.

فتح جايمس باب السيارة فارتمت بين ذراعيه لاهثة:

ـ لا تقد السيارة. اذهب سيراً على قدميك ان أردت، لكن أرجوك ألاّ تستعمل السيارة.

أجاب جايمس مدهوشاً:

ـ ولم لا؟

ـ قد تظنني مجنونة، لكني فجأة أدركت سبب خوفي من المشاجرات والصراخ.

أمسك بيدها وسار بها الى الباب، وأجلسها بقربه على احدى الدرجات كما سبق وفعلا في بدء علاقتهما. همس بنبرة ملؤها العاطفة والاهتمام:

ـ هل ستخبرينني عن هذا السبب؟

دفنت وجهها بين يديها وتمتمت بصوت متهدج:

ـ مشاجرة عنيفة سبقت وفاة والدي. نادراً ما كانا يتشاجران، فكنا كلنا نعيش في سعادة وهناء. لكني لا أقدر على نسيان تلك المشاجرة وما رافقها من صراخ. خرجا بعدها ولم يعودا أبداً، ومنذ ذلك الحين لم أصرخ أو أتشاجر مع أي كان (أردفت والدموع تبلل وجنتيها) أصبحت المأساة قطعة من حياتي، صدى يضج في اعماقي، ويتحول في الليل الى كابوس رهيب، أشعر بأصابعه تمتد الى عنقي لتخنقني. أنا آسفة، فالتعب يجعلني

ابدو سخيفة أحياناً. لقد أنهيت المنزل كله.

طوقها جايمس بذراعيه وهمس بحنان:

ـ لا أريد ان احظى بمنزل جاهز وأخسرك.

ضمها الى صدره يساعدها في صعود الدرجات الباقية، ودخلا غرفة الجلوس وأجلسها على الاريكة الوثيرة وقعد قربها.

نظرت في عينيه سائلة:

ـ الن تذهب الى منزل بولا الليلة؟

ـ كلا.

ـ على كل حال، ستزور تيرجلين الاسبوع المقبل. اتصلت بي منذ ساعة لتخبرني أنها تلقت دعوة لذلك.

ـ لقد دعت نفسها.

ـ ألست انت صاحب الدعوة؟

ـ كلا.

ـ ألست حبيبها؟

التقت عيناه عينيها في عناق خجول وأجاب:

ـ أنا حبيبك أنت وحدك.

اختلط الأمر عليها فلم تعد واثقة مما تسمعه:

ـ لكن زواجنا... لم يكن حقيقياً. طلبت مني الموافقة على الزواج لأنك...

قاطعها قائلا بهدوء:

ـ سألتك الزواج لأني اردت الاعتناء بك. لم أحتمل نظرة بولا الى الزواج ومعانيه.

اذن طمع بولا هو الذي أوصلها الى هنا. أرادت أن تحصل على كل شيء لنفسها. لكن ما دورها في هذا كله؟ هل تمت المساومة عليها بعد أن تخلى عن بولا؟

ـ ألهذا السبب تهاجرتما؟

ردّ جايمس بجفاء:

ـ انه أحد الاسباب. بامكاني شراء كل ما أريد، ودفع أي ثمن. لكنني ادركت في النهاية أن لا علاقة للزواج بالمال. لم أرد أن اشتري عروساً بل أن

احبها. لذلك لم أقبل ببولا زوجة لي. اعتقدت أني لا أملك قرشاً واحداً باسمي، أليس كذلك؟
ـ أجل، الى ان . . .
ابتسم قائلا من غير أن يدعها تكمل عبارتها:
ـ علمت من أنا قبل أن أخبرك.
ـ كيف اكتشفت ذلك؟
ـ أتذكرين تلك الليلة التي أوصلتك فيها الى شقتك؟ التقيت بعدها باري مايسون في الفندق الذي كنت أنزل فيه.
أكمل جايمس حديثه بهدوء:
ـ أخبرني انه اتصل بك وكنت محور حديثكما، وعزا تخلّيك عنه الى يأسك من نجاحه في عمله. كان واثقاً من زوال يأسك معي.
انه صادق، فهذه طريقة باري في الكلام عندما يفقد السيطرة على نفسه، ويستسلم للغضب. لقد خبرته طويلاً وهي واثقة من أن جايمس لم يضطر حتى الى طرح ولو سؤال واحد للاستفسار فباري لا يتوقف عن الكلام إلاّ بعد نفاد جعبته.
ـ لم أعلم من أنت إلاّ بعد مكالمة باري، لكني لم أصدقه ساعتئذ. هل اعتقدت اني وافقت على الزواج منك طمعاً في ثروتك؟
ـ تقريباً.
لم يفاجئها جوابه، فقد راودها هذا الظن مرة، لكنه كان خاطئاً وأدركت بعد حين انها تحبه. قالت مستفهمة:
ـ لماذا بقيت مصراً على الزواج اذن؟
ـ سبق وشرحت لك. لأني بحاجة الى زوجة، ولم أرد اختيارها من بين اللواتي كن يتهافتن للزواج مني.
أحست بتسارع خفقات قلبها وشهقت:
ـ آه.
ـ ولأني أحببتك منذ اللحظة الاولى، وأردتك شريكة حياتي مهما كان الثمن.
انعكس شوقه وحاجته اليها على محياه، وأحست ليز بوهج الحب المتفجر من عينيه، يلفح وجهها وجسمها، فصاحت تطلق سراح شعورها المكبوت

في صدرها منذ أمد:
- اذن لماذا؟ لماذا تصرفت بغرابة تلك الليلة في باريس؟
- بدا لي أنك لا تريدينني.
- كنت خائفة.
- وأنا أيضاً.
لا يعقل ان يشعر شخص مثله بالخوف وهو المشهور بمغامراته وقدرته غير المحدودة على الوصول الى أي فتاة. لكنه يبدو الآن كولد يافع وقع في الحب للمرة الأولى.
- لا أصدق ما تقوله.
أجاب بصوت أجش:
- لم اجرؤ على لمسك خوفاً من ان أسيء اليك. شعرت بميل جارف اليك، لكني لم ألق تجاوباً منك فلم أتمكن من مواجهتك بعد العاصفة. أنت فتاة باردة وبالرغم من ذلك تمنيت لو ترتمين بين ذراعي تلك الليلة، لكنك لم تفعلي.
مدت ليز ذراعيها تجاهه:
- خلتك ستطوقني بذراعيك ولكنك لم تقدم على ذلك.
غمرها رافعاً اياها الى وجهه، فأيقنت ان زمن الخوف ولّى الى غير رجعة. لن يقلقها كابوس ولن تخيفها فكرة ما دامت قريبة منه، محمية بذراعيه.
رقصت عيناها فرحاً وهمست معترفة:
- غيرتي من بولا تنهشني وتقلق راحتي.
أبقاها أسيرة ذراعيه، وكأنه يؤكد لها عدم تخليه عنها بعد الآن وقال:
- لم أدر بقدومها الأسبوع الفائت، لكنها أسدت لي خدمة كبيرة، فأنا أيضاً أشعر بالغيرة من ريكس.
هتفت ليز بدهشة:
- غير معقول! أنسيت قولك لي عن امكاني القيام بأي شيء، شرط أن أطلعك عليه قبلاً.
عانقها مرة أخرى وأجاب:
- كنت مستعداً لتقبل أي شيء، ما دمت قادراً على الاحتفاظ بك.

ضحكت ملء فمها معلقة:
- لا بدّ وأني تزوجت من شخص يعاني انفصاماً في شخصيته. ماذا عن عطلة الأسبوع المقبل؟ هل ندعو بولا وريكس معاً الى تيرجلين؟
- لم لا؟ غير أننا لن نكون هنا، فأنا عملت من غير توقف منذ الأحد الماضي لأحظى بأسبوع هادىء نقضيه معاً. سيكون أسبوع عسل ولا أحلى.
لم تشعر بهذه السعادة منذ زمن طويل. عاد الحظ فابتسم لها بعد عبوس، وانقشع أفق حياتها بعد تجهم. رحل الكابوس عن صدرها، وتحررت أهدابها من ثقله. بات بامكانها ان تحب من غير خوف، وان تحيا من غير هواجس.
ستحبه كما لم تحب أحداً من قبل، وستعيد الحياة الى تيرجلين وتجعله صورة حية لذلك المنزل الصغير، رفيق طفولتها الحزينة. نظرت الى نفسها وعلقت بدلال:
- يا لمنظري الكريه. احتاج الى حمام ساخن لازيل هذه الاوساخ عن جسمي.
- ثم الى السرير مباشرة، اليس كذلك؟
- لم أعد افكر بالنوم.
انسلت يداه برفق الى ظهرها، وطوقتا خصرها مقرباً وجهها من وجهه:
- ومن أتى على ذكر النوم.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى
السر الدفين
طال انتظاري
الوجه الآخر للذئب
برج الرياح
الماضي لايعود
لقاء الغرباء
وردة قايين
عصفور فى اليد
الغيمة أصلها ماء
الهوى يقرع مرة
خيط الرماد
الصقر واليمامة
حتى تموت الشفاه
أصابع القمر
وعاد فى المساء
القرار الصعب
الفريسة
أريد سجنك
خطوات نحو اللهب
دمية وراء القضبان

عذراء فى المدينة
الامواج تحترق
العروس الاسيرة
رجل بلا قلب
سيدة القصر الجنوبى
شهر عسل مر
عيناك بصري
من أجل حفنة جنيهات
رجل من نار
نداء الدم
ليالي الفجر
ما أقصر الوقت
قلب فى المحيط
المجهول الجميل
الزواج الابيض
أقدام فى الوحل
قال الزهر آه
كيف أحيا معك
غضب العاشق
مزرعة الدموع
الواحة

آخر الأحلام
هل تخطىء الانامل
البحر الى الأبد
الحصار الفضي
الشبيه
الكذبة
الندم
انت لي
جراح باردة
طائر بلا جناح
عاطفة من ورق
قطار فى الضباب
قل كلمة واحدة
مندلا
تعالى
السعادة فى قفص
هاربة
هذيان
أرياف العذاب
اللهب والفراشة
لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

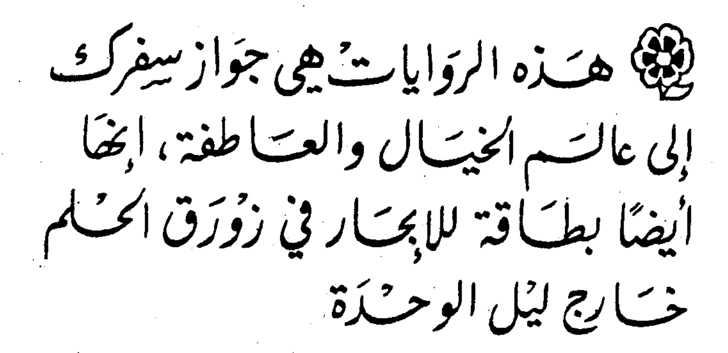
- الضائعون
- صرخة البرارى
- دليلي
- دخان
- الثأر
- وفازت
- خذ الحب واذهب
- اللؤلؤة
- لا تقولى لا
- المجهول
- بين السكون والعاصفة
- رمال فى الأصابع
- الشريدة
- شاطىء العناق
- ذهبى الشعر
- تعالى إلى الأدغال
- الفخ
- فى قبضة الأقدار
- دليلة
- القيد
- الماس اذا التهب
- الحمقاء الصغيرة
- حائرة
- نهر الذكريات
- نبع الحنان
- اليخت
- إثنان على الطريق
- سيد الرعاة
- غفرت لك
- عنيد
- صعب المنال
- أين المفر
- القرصان
- اللمسات الحالمة
- لحظات الجمر
- النجمة والجليد
- توأم التنين
- البحار الساحر
- جرح الغزالة
- لمن ترف الجفون
- الشمس والظلال
- أنين الساقية
- شريك العمر
- سمعاً وطاعة
- أيام معها
- صحراء الثلج
- الأغنية المتوحشة
- بانتظار الكلام
- يدان ترتجفان
- ممر الشوق
- المفاجأة المذهلة
- أسوار وأسرار
- الإرث الآسر
- عروس السراب
- الحد الفاصل
- الحصن المرصود
- كالسحر
- تناديه سيدي
- أعدني إلى أحلامي
- المنبوذة
- الخطاف
- الوعد المكسور
- السجينة
- الخلاص
- هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسى

أرجوحة المصير
الراية البيضاء
العذاب إذا ابتسم
الرجل الفراشة
أنشودة البحيرة
النصف الآخر
دورها فى اللعبة
حورية التلال
سيدة نفسها
دون أن تدرى
ضحية
صخرة الأمنيات
عقد الأصداف
عد فقيراً مثلى
لا تعتذرى أبداً
قبل أن ترحل

لو لم تسافر
لقاء واحد يكفى
مصارع الثيران
مازلنا غرباء
نصف الحقيقة
منارة فى الأنواء
وحدهما فقط
أطياف بلا وجوه
البحث عن وهم
الوادى السرى
بحر العتاب
بين الحلم والواقع
عروس إبليس
فصول النار
قيد الوفاء
لا أحد سواك



❀ هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء، ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...

مِنَ القَلبُ ... إلى القَلبُ

